شَرْحُ
أَغْرَاضِ السُّوَرِ
فِي تَفْسِيرِ «التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ»
لِابْنِ عَاشُورَ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أ. د. يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّبْل

أستاذ الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

مقدمة الشرح

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملاً يا رب العالمين.

أيها الأخوة: الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اليوم المبارك يوم الأربعاء الموافق ٢٦من شهر الله الحرم، من عام ١٤٤٤من الهجرة، نجلس في هذا المجلس المبارك وبين أيدينا كتاب من كتب بلاغة القرآن الكريم، وهذا الكتاب يتعلق بما له علاقة بالسور، السورة الواحدة مستقلة، وهذه السورة سواء قلنا من السور الطوال أو السور القصار هي في الحقيقة تتمثل في موضوع من موضوعاتها وتجد لها أغراض وإن قلّت السورة.

إذا كانت سورة الكوثر وهي ثلاث آيات أُلفت فيها مؤلفات لما اشتملت عليه من مقاصد وأغراض وأهداف، فسور القرآن كلها بهذه المكانة وعلى هذا النمط تجد أن لكل سورة من سور القرآن لها مقاصد، ولها أهداف، و لها أغراض تشتمل عليه.

وهذه الأهداف والأغراض والمقاصد يقف عندها المفسرون أو بعض المفسرين فيستنبط، فيستنبط ويستخرج ما تدل عليه هذه السورة من أهداف ومن مقاصد من موضوعات أحيانًا ومن أغراض.

وأغراض السور وأهداف السور ومقاصد السور له علاقة وثيقة ببلاغة القرآن الكريم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ينزل السورة كاملة في مدد مختلفة هي كأنها كتلة واحدة وقطعة واحدة، تجدها مشتملة على مثلما ذكرنا هذه الأغراض وهذه الأحداث وهذه المقاصد، والمفسرون والعلماء لهم جهود مباركة في استخراج هذه الأهداف وهذه الأغراض.

ومن العلماء الذين اعتنوا بهذا اعتناءً واضحًا بارزًا **"محمد الطاهر بن عاشور"** رَحِمَهُ اللهُ تعالى المتوفى سنة ١٣٩٣ وكتابه (التحرير والتنوير).

أبدع في هذا الكتاب وذكر أوجهًا كثيرة من بلاغة القرآن الكريم، وله عناية تامة بالبلاغة القرآنية والمقاصد القرآنية والأهداف، ولذلك جاء بعض المعاصرين فاستخرج هذه الأهداف من كتاب (التحرير والتنوير) وجعلها مستقلة، أهداف وأغراض وموضوعات السورة، كلها متقاربة، ألفاظ متقاربة ومعانٍ متقاربة.

الشاهد من الكلام: أننا إن شاء الله في هذا اللقاء وما بعده من لقاءات بعدما أنهينا كتاب (كشف المعاني) ننتقل إلى هذا الكتاب الجميل الحقيقة المفيد، وهو يتعلق بتدبرات القرآن الكريم، وتأملات القرآن الكريم، وهو ما يسمى بـ (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ابن عاشور تفسيره من التفاسير الضخمة الواسعة المطولة، مكث فيه أربعين سنة وهو يشتغل على هذا التفسير حتى أنهاه، وراجعه، وأضاف عليه إضافات حتى طُبع، طُبع (التفسير والتنوير) في ثلاثين مجلدًا، فهو من التفاسير الضخمة المطولة.

له عناية بوجوه كثيرة من وجوه القرآن الكريم، ويركز مثل ما ذكرنا على البلاغة القرآنية.

نبدأ بهذا الكتاب على بركة الله، هذا هو المجلس الأول نبدأ بالمقدمة ثم ندخل على أغراض السور.

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعد؛ ...

فإن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أولى ما صرفت الهمم للعناية به، تلاوة، وحفظًا وتدبرًا وعملاً، وإن من أعظم ما يعين على ذلك في فهم مقاصد السور، والوقوف على أغراضها، وما تحتوي عليه من موضوعات.

ولقد كان للمفسرين الأوائل عناية بذلك، ولكن كم ترك الأول للآخر؛ فقد كان للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ القدح المعلى في ذلك الشأن؛ حيث عني بأغراض السور ومقاصدها أيما عناية، وذلك في تفسيره العظيم (التحرير والتنوير).

حيث التزم فيه أن يصدر كلّ سور ة من سور القرآن بيان أغراضها، وما تشتمل عليه من مقاصد بإيجاز وافٍ، وتحرير عالٍ يدل على اتساع وطول باع.

قال رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة تفسيره: ولم أغادر سورة إلا بينت إلى أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته، ومعاني جمله، كأنها فِقَرٌ متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله.

ونظرًا لعظم شأن ذلك التفسير؛ ولأنه مليء بكنوز من العلم والمعارف والثقافة، ولكونه مطولًا يقع في ثلاثين جزءًا وفي صفحات يصل عددها إلى أحد عشر ألفًا ومائة وسبعين وتسعين صفحة بخط صغير، ولو كان الخط أكبر لكانت الصفحات أكثر.

وهذا مما يصرف عن قراءته؛ فقد رأيت أن أقربه ليتبين ما يحويه ذلك التفسير العظيم من اللطائف الرائعة، واللفتات البارعة رغبة في عموم النفي، وإسهامًا في التعريف بذلك العمل الجليل الذي لا يخطر لكثير من طلبة العلم فضلا عن غيرهم ما يشتمل عليه من نفائس العلم وغواليه.

وقد سميته (لطائف من تفسير التحرير والتنوير) وقد صُدر بمقدمة وأربعة مباحث تحتوي على معاني عامة في سيرة ابن عاشور، وتعريف عام بتفسيره، ومنهجه فيه، وخلاصة ما اشتمل عليه مع مقدمة في علم البلاغة، ثم بعد ذلك تم الشروع في (التقريب) الذي خرج في مجلدين.

ولقد كان من ضمن ذلك أغراض السور؛ حيث نقلتها كاملة في الكتاب المذكور، ثم بدا ليس أن تفرد تلك الأغراض في كتيب خاص يسهل تداوله ونشره، ولأجل أن يُفيد منه جمهور الناس من طلاب العلم، وحفظة القرآن وغيرهم.

كما أنه قد يفيد أئمة المساجد الذين يقومون الحديث على جماعة مساجدهم في شتى الكتب، فذلك مما يناسب قراءته خصوصًا في شهر رمضان.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن تسمية الشيخ "ابن عاشور" لتلك الأغراض متفاوتة، ففي غالب السور يسميها "أغراضًا" وفي بعضها "مقاصد" على تنوع عباراته، فتارة يقول: "أغراض هذه السورة" وتارة يقول: "أغراضها" وتارة يقول: "مقاصدها"، وتارة يقول: "هذه السورة تضمن كذا وكذا" إلى غير ذلك مما ويورده.

فلا مشاحة إذًا أن يُقال: "مقاصد السور أو أغراضها".

وسوف أنقل هذه الأغراض بنصها وبعبارة الشيخ، وقد يصحب ذلك تعليقات يسيرة في الهامش، مع مراعاة أن تلك النقول من طبعة دار "سحنون" فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعلها خالصًا لوجهه الكريم، كما أسأله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر للشيخ ابن عاشور وأن يجزل له الأجر والمثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشرح:

هذه مقدمة موجزة، وهادفة، وواضحة، وعباراتها جيدة، مثلما ذكرنا ركز على أنه سيستل ويستخرج هذه الأغراض الموجودة في كتاب **"ابن عاشور"** في تفسيره؛ لأن الكتاب كما ذكر المؤلف أنه واسع ضخم، من الصعب أن الإنسان يستطيع أن يقرأ في هذا الكتاب ويطول النفس فيه.

ولذلك حاول استخراج هذه العلوم أو هذه الأهداف ووضعها في كتاب مستقل تسعل على كلّ إنسان أن يقرأه.

ومثلما ذكر هو قال: مرة تسمى **"مقاصد"** ومرة تسمى **"أغراض"** وأحيانًا أيضًا تسمى بـ **"أهداف السورة"** ولا مشاحة في اصطلاح، لكن إذا دققنا في العبارة وجدنا أن المقاصد أدق من الأغراض؛

فالأغراض خص من المقاصد، لأنك إذا قلت: مقصد السورة، كأنه المحور الذي تدور عليه السورة وموضوعها الأساس يدور على هذا.

وإذا قلت: أغراض السورة، معناه أنك ستتحدث عما تشتمل عليه السورة من موضوعات كثرة، فتجد السورة أحيانًا فيها أغراض كثيرة، فيها عشرة أغراض أو خمسة عشر غرض، كلّ السورة سيقت من أجل هذه الأغراض.

مثلاً: عندك السور المكية من أغراضها **"تقرير عقيدة الإيمان بالله"** من أغراضها **"تقرير عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء والحساب والجنة والنار"** من أغراضها **"أنها تؤكد على الإيمان بالرسول ﷺ وبدعوته وبنبوته ورسالته"** وأحيانًا يكون من أغراضها **"أن تؤكد على قضية الإيمان بالقرآن الكريم وأنه مُنزل من عند الله"**، وهكذا فتجد الأغراض أوسع.

أحيانًا تسمى **"أغراض"** وأحيانًا تسمى **"مقاصد"** والمقاصد أخص من الأغراض، وأحيانًا تسمى أهداف السورة، السورة لها أهداف، السورة تركز على موضوعات، يعني لها غرض ولها هدف تؤكد عليه، وكلها عبارات متقاربة.

الآن ينتقل المؤلف إلى أغراض سورة **"الفاتحة"** نأخذ نحن سورة **"الفاتحة"** ونشوف.

أغراض سورة الفاتحة

فالفاتحة تضمنت مناجاةً للخالق، جامعةً التنزه عن التعطيل، والإلحاد، والدهرية بما تضمنه قوله سبحانه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وعن الإشراك بما تضمنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وعن المكابرة والعناد بما تضمنه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فإن طلب الهداية اعتراف بالاحتياج إلى العلم، ووصف الصراط بالمستقيم اعترافٌ بأن من العلم ما هو حقٌّ ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط.

ومن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما، وعن الضلالة التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحقة، فتذهب بفائدتها، وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط، وذلك بما تضمنه قوله سبحانه: ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، كما أجملناها قريبًا.

ولأجل هذا سميت هاته السورة "أم القرآن" كما تقدم، ولما لُقن لمؤمنون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها؛ ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريًا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل.

قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكـــر حـــاجتي أم قـــد كفـــاني ... حيـــاؤك إن شـــيمتك الحيـــاء

إذا أثنـــى عليـــك المـــرء يومًـــا ... كفـــاه عـــن تعرضـــه الثنـــاء

فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد، لكل بليغ مُجيد.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ **"ابن عاشور"** أجمل ولخص لنا هذه السورة سورة **"الفاتحة"**، سورة **"الفاتحة"** هي أعظم سورة في كتاب الله على لسان الرسول ﷺ أن أعظم سورة في كتاب الله هي سورة **"الفاتحة"**.

وهي أم القرآن، وهي أم الكتاب، وهي السبع المثاني، وهي فاتحة الكتاب، وفاتحة القرآن كله، وفاتحة الصلاة، ولا تصح الصلاة إلا بها، كلّ هذه تدل على عظم هذه السورة.

هذه السورة كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: **"إن الله أنزل مائة وأربعة كتب، ثم جمع علوم هذه الكتب كلها المائة والأربعة جمعها في أربع كتب، في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ثم جمع علوم هذه الكتب الأربعة في القرآن، ثم جمع علوم القرآن هذا كله في المفصل، ثم جمع علوم المفصل كلها في الفاتحة"**.

فـ **"الفاتحة"** جمعت كلّ العلوم المتقدمة، مائة وأربعة كتب، ثم في الأربعة الكتب التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ثم كلّ ما في هذه العلوم وضعه الله في القرآن، ثم وضعه في المفصل، ثم جاء ووضعه في الفاتحة، فالفاتحة جمع العلوم كلها.

حتى قال بعضهم وزاد: **"وجمع الله علوم الفاتحة كلها في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]" فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، هي العلوم كلها، إذا عرفت العبادة وعرفت أن تعبد الله وتستعين به فهذا معناه أنك حصلت على جميع العلوم، فسورة الفاتحة سورة عظيمة، لو وقفنا معها وتأملناها وتدبرناها لوجدت فيها الأشياء العجيبة.

يقول هنا: **(فالفاتحة تضمنت مناجاةً للخالق)** يعني أنت أيها المخلوق تناجي العالمين، شوف الآيات الثلاث الأول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

الثلاث الآيات الأول كلها ثناء على الله، **"أثنى علي عبدي، حمدني عبدي، مجدني عبدي"** للحديث «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: "الحمد لله" حمدني عبدي، "الرحمن الرحيم" أثنى علي عبدي، "مالك يوم الدين" مجدني عبدي**».

فأنت إذا مجدت الله، وحمدته، وعظمته، بهذه الكلمات بعد الثلاث الآيات الآن تلتفت، الآية فيها التفات بلاغي، تلتفت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني نخلص العبادة لك، ونوحدك، ولا نعبد معك غيرك، ونستعين لأنك لا تستطيع أن تبعد إلا بعون من الله.

ثم بعد ذلك إذا اعترفت وتوجهت إلى الله بأنك لا تعبد إلا إياه بعد ذلك تدعو الله بأفضل الأدعية على الإطلاق، أفضل الأدعية على الإطلاق أنك تدعو بدعاء هذه السورة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[الفاتحة: ٦]، يهتدي به من يبحث عنه، ويثبت عليه من هو قد وفقه الله، ويطلب الزيادة كلّ من وفق لسلوك هذا الصراط المستقيم.

والصراط المستقيم كما فسره السلف **"الإسلام، القرآن، الدين، الشرع"** كلّ ذلك داخل فيه.

والتحذير من طرق الغواية التي وقع فيها من وقع كاليهود المغضوب عليهم، أو النصارى الضالين ومن سلك مسلكهم، فالسورة تحذر من طرق الغواية، وتدلك على طريق النجاة، طريق الصراط المستقيم؛ الذين أنعم الله عليهم، فتكون في زمرتهم، هذا ملخص السورة العظيمة.

الشيخ هنا يقول: **"هذه مناجاة"** يناجي العبد ربه بهذه السورة.

ثم يقول: **(جامعةً)** أي هذه السورة، بتنزيه الله عن صفات التعطيل، عن أهل التعطيل الذين عطلوا صفاته، وعن أهل الإلحاد الذين ألحدوا فيه، وعن الدهرية الذين لا يعترفون بالبعث؛ وإنما يقولون: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، دهرية ما يعترفون بالبعث.

التعطيل في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

والإلحاد في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، يلحدون في صفاته.

والدهرية في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وأيضًا تنزيه الله عن الشرك في عبادته في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فيدل على الإخلاص، وأنه لا نعبد إلا أنت، لا نعبد غيرك.

قال: **(وعن المكابرة والعناد)** والتكبر، بأنك تطلب من الله وتنكسر بين يديه وتخضع له أن يهديك إلى الصراط المستقيم.

يقول: **(فإن طلب الهداية اعتراف بالاحتياج إلى العلم)** اعترافك وبيان ضعفك هذه طلب الهداية، تطلب من الله الهداية، والصراط وصفه الله بأنه مستقيم، **(اعترافٌ بأن من العلم ما هو حقٌّ ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط)** فأنت تريد الصراط المستقيم الخالص، العلم الخالص الصافي، لا المشوب بما يكدره.

قال: **(ومن اعترف بهذين الأمرين)** أي أمرين؟ اعترافه بأنه محتاج إلى العلم، واعترافه بأنه يريد الحق لا يريد الباطل **(فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما)**.

يقول: إذا اعترفت بأنك محتاج إلى الهداية، وأنك لا تريد إلا الهداية التي تنجو بها، لا أي هداية، فإذا اعترفت بهذين فقد أعددت لنفسك اتباع أحسنهما.

قال: (وعن الضلالة) وهذا في آخر السورة، التحذير من طرق الغواية عن الضلالات (التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحقة، فتذهب بفائدتها، وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط) الجاهل البسيط والجاهل المركب، الجاهل البسيط الذي ما يدري جاهل على طبيعته، ما تعلم، أمي جاهل ما يعرف.

والجهل المركب هو الذي لا يدري أنه جاهل، نقول له: هذا الصح وهذا هو الصوب، يقول: لا، مثل اليهود والنصارى، ما يدري أنه جاهل، إذا قيل له: هذا الحق، قال: لا، فهذا يسمونه جاهل مركب، فالبسيط يكون أهون.

قال: (وذلك بما تضمنه قوله سبحانه: ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، كما أجملناها قريبًا) يقول: تطلب من الله البعد عن طرق الغواية والضلال التي وقع فيه هؤلاء.

قال: (ولأجل هذا سميت هاته السورة "أم القرآن") يقول: (هاته) و"هاته" لغة في "هذه" يجوز أن تقول: "هاته" و"هذه"، ودائمًا يستخدمون "هاته" للمؤنث، و"هذا" للمذكر.

يقول: (أم القرآن كما تقدم) لماذا سميت "أم القرآن"؟ لاشتمالها، كأنها هي الأم.

قال: (ولما لُقن لمؤمنون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها؛ ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم).

يعني أنت الآن إذا أدرت أن تدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القنوت أو في أي وقت من أوقات الدعاء ترفع يديك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، أول ما تبدأ ينبغي لك أن تحمد الله وتثني عليه، فتحمده بما يستحق من صفات الحمد، ثم تدخل على الدعاء، وهذا تعويد لك علشان أنت ما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، على طول، تُقدم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

فأنت تقول: يا غفور، يا رحيم، يا ذا الجلال والإكرام، يا من وسعت رحمته كلّ شيء اغفر لي، تقدم هذا الثناء ثم تدعو، فهذا يعلمك، يكون تلقين لك وتعليم.

قال: قدم الحمد في مناجاته **(جريًا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل)** كما ذكر في بيت أمية بن أبي الصلت وهو يمدح عبد الله بن جدعان، عبد الله بن جدعان كان من أكرم العرب، وكان لا يرد سائلاً.

ولما ذُكر عند النبي ﷺ ومُدح عند النبي ﷺ، قالوا: هل ينفعه ذلك في الآخرة؟ قال: «**لا ينفعه، إنما ثناء في الدنيا**».

لماذا لا ينفعه في الآخرة؟ لأنه لم يقل لا إله إلا الله، يقول النبي ﷺ: «**إنه لم يقل مر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»، فلم يعترف به إله فلذلك لم ينفعه، ولكن أكرمه في الدنيا بثناء الناس عليه.

هذه السورة العظيمة التي اشتملت عليه، والشيخ **"أبن عاشور"** أعطاك تصور عن هذه السورة، فالآن أنت استوعبت هذه السورة، بعد ذلك تدخل مفرداتها وبيان معانيها، ودلالاتها، لكن الشيخ يقول: لابد أن يكون عندك تصور عن السورة. طيب نأخذ سورة **"البقرة"**.

أغراض سورة البقرة

محتويات هذه السورة: هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقًا لتلقيبها فسطاط القرآن؛ فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان.

الشرح:

الفسطاط ما هو؟ الفسطاط مثل القبة أو الخيمة، بيت الشعر الواسع الكبير، فكأن سورة البقرة فسطاط القرآن كله، يعني كأنها هي اشتملت على القرآن كله، حوت جميع موضوعات القرآن، فهي فسطاط القرآن واسعة.

كلمة **"فسطاط القرآن"** هذه سماها بعض السلف، إما من التابعين أو من جاء بعدهم، لكن النبي ﷺ سماها **"الزهراء"** قال: «**اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران**»، فسماها **"الزهراء"**، والزهراء هو **"النور الساطع الظاهر"** يقولون: **"نجمٌ أو كوكبٌ أزهر"** إذا كان نوره يضيء بقوة، فهي تضيء للمسلم طريقه.

✍ **النبي ﷺ ماذا قال في سورة "البقرة"؟**

قال: «**أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيع البطلة**».

فسورة **"البقرة"** سورة عظيمة، يقول: «**البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان**»، فأخذها بركة، فإذا عرفت السورة، وعرفت موضوعاتها فهذا يكون أدعى إلى أن تتمسك بهذه السورة.

يقول: **(هذه السورة مترامية أطرافها)** واسعة، مائتين وستة وثمانين آية، بخلاف سورة الفاتحة سبع آيات، **(وأساليبها ذات أفنان)** الأفنان هي الأغصان، يعني واسعة، **(قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقًا لتلقيبها فسطاط القرآن)** يعني واسعة كبيرة، **(فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان)** يعني لا يمكن أن تجمعها.

قال ابن العربي: **"تأملت سورة البقرة فوجدت فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حلال، وألف حرام"** في هذه السورة، فهي سورة عظيمة.

يقول: **(فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان)** وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها.

ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها، وقد حكيت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمه في نظم الكلام، وسدًى متين من فصاحة الكلمات.

الشرح:

يقول: **(اللحمة والسدى يُطلقان على عدة أمور، ومنها قولهم: لحمة الثوب وسداه، فاللحمة أعلاه، والسدى أسفله)** فهي جمعت بين هذا وهذا.

الحقيقة سورة **"البقرة"** لما وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو لما أرشد الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة **"الفاتحة"** المسلمين إلى كيف يعبدونه؟ وكيف يدعونه؟ الدعاء والعبادة في السورة هذه، وكيف يتقربون إليه؟ جاءت صفات المؤمنين وعبادتهم في هذه السورة، يعني أمة محمد جاءت تفاصيل عبادتها في هذه السورة كلها **"الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأخلاق، والمعاملات، والعلاقات الزوجية مع الأسرة مع الزوجة"** كلها مجتمعة **"أحكام الطلاق، أحكام الزواج، أحكام العدد"** كلها مجتمعة في هذه السورة.

✍ **قبل هذه الموضوعات التي أرشدت المسلمين للتمسك بها قبلها ماذا تكلمت السورة؟**

تكلمت عن اليهود ومواقفهم مع أنبيائهم مع الله مع شرعهم، كيف كانوا؟ مواقفهم قبيحة وسيئة جدًا، علاقتهم مع رب العالمين من أسوأ العلاقات.

✍ **الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لماذا ذكرهم في البداية؟**

✍ **أربعين آية كلها تتحدث عن بني إسرائيل "اليهود" لماذا؟**

لأن الله يريد لنا خطورة هذه الطائفة، ويبين لنا أن الله أنعم عليهم؛ لأنك تسمع عندما تقرأ فيها، ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، أنعم الله عليهم نعم عظيمة ولكن لم يعرفوا قدرها.

فلما كفروا بها وكفروا بنعمة الله أراد الله أن يحذر هذه الأمة؛ قال: انتبهوا أن تسلكوا مسلك هؤلاء اليهود.

✍ **ولهذا لما تقرأ سورة الفاتحة ماذا تقول في الأخير؟**

تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. **"غير المغضوب"** أين؟ في سورة **"البقرة"**، وقوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، أين؟ في سورة **"آل عمران"** فجمعت الزهراوين بين التحذير من هؤلاء، والتحذير من هؤلاء، فكأن سورة الفاتحة حذرت من طائفتين جاء تفصيلهما فيما بعد.

وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتيننا من تفسيرها، ولكن هذا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها، وقد حكيت بنسج المناسبات، والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام وسدًى متين من فصاحة الكلمات.

ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسمٌ يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس.

الشرح:

هذا القسم الأول الذي هو توجيه المؤمنين لأخذ هذه العبادات والأخلاق والمعاملات فيما يتعلق بدينهم.

وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.

الشرح:

هو يقول: **(قسمٌ يثبت سمو هذا الدين)** يعني عظمة هذا الدين بتحذير أن يسلك المسلم طريق اليهود، ثم بيان شرائعه.

وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة، ويتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الأفانين.

ويحضر لنا من أغراضها أنها ابتدأت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديًا إجماليًا بحروف التهجي المفتتح بها رمزًا يقتضي استشرافهم بما يرده بعده، انتظارهم لبيان مقصده فأعقب التنويه بشأن القرآن، فتحول الرمز إيماء إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشدُّ وقعًا على نفوسهم، فتبقى في انتظار

ما يتعقبه من تصريح التعجيز الذي سيأتي بعد قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].. الآيات.

فعدل بهم إلى ذات جهة التنويه بفائق صدق هذا الكتاب وهديه، وتخلص إلى تصنيف الناس تجاه تلقيهم هذا الكتاب انتفاعهم بهديه أصنافًا أربعة، وكانوا قبل الهجرة صنفين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك التلقي.

الشرح:

✍ **ما معنى هذا الكلام؟**

يقول: إن السورة افتتاحيتها أولًا ﴿الم﴾ [البقرة: ١]، حروف مقطعة، هذا رمز لتحدي العرب المعاندين لعظمة هذا القرآن بحروف التهجي، ولهذا صرح بعدها بآيات فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولن يستطيعوا ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، لم تفعلوا ولن تفعلوا فهذا تحدي لهم.

ثم يقول: إن السورة دخلت إلى بيان أصناف الناس الأربعة: **"المتقين، والكفار، والمنافقين"** والآن يأتيك بتفاصيلهم.

وإذا كان أشد الأصناف انتفاعًا بهديه هم المؤمنين بالغيب المقيمين الصلاة، يعني المسلمين ابتدئ بذكرهم، ولما كان أشد الأصناف عنادًا وحقدًا صنفا المشركين الصرحاء والمنافقين لُف الفريقان لفًا واحدًا، فقورعوا بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة.

ثم خص الإطناب صنف أهل النفاق، تشويهًا لنفاقهم، وإعلانًا لدخائلهم ورد مطاعنهم، ثم كان خاتمة ما قرعت به أنوفهم صريح التحدي الذي رمز إليه بدءًا تحديثًا يلجئهم إلى الاستكانة، ويخرس ألسنتهم عن التطاول والإبانة، ويلقي في قرارات أنفسهم مذلة الهزيمة، وصدق الرسول إذا تحداهم، فكان ذلك من رد العجز على الصدر.

فاتسع المجال لدعوة المنصفين إلى عبادة الرب الحق الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، وأنعم عليهم بما في الأرض جميعًا.

وتخلص إلى صفة بدء خلق الإنسان؛ فإن ذلك تذكيرًا لهم بالخلق الأول قبل أن وجد أصنامهم التي يزعمونها من صالح قوم نوح ومن بعدهم، ومنة على النوع بتفصيل أصلهم عل مخلوقات هذا العالم، وبمزيته بعلم ما لم يعلمه أهل الملأ الأعلى.

الشرح:

✍ **الآن هو ماذا يقول؟**

هو يريد أن يصل يعني يأخذك إلى السورة تدريجيًا آية آية يمشي على .. يقول: **"الأصناف الأربعة"** لكن هو إلى الآن ما ذكر إلا ثلاثة، قال: **"المتقين، ثم الكفار، ثم المنافقين"** أن الرابعة؟ الذي يظهر لي والله أعلم أنه يقصد اليهود؛ لأنه سيأتي كلام طويل عنهم، ولعله أراد بذلك طائفة **"اليهود"**.

ثم يقول بعد ذلك: أطنبت السورة في بيان خطورة النفاق، وكشف عورهم، ثم يقول: إنها بعد ذلك ذكرت مواقف الكفار في عبادة الأصنام، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ثم دخلت إلى قصة خلق آدم، وتمييز آدم أو تفضيله بالعلم، أنه تميز بالعلم، وانتصر حتى على الملائكة والملأ الأعلى بالعلم.

يقول: (وكيف نشأت عداوة الشيطان).

وكيف نشأت عداوة الشيطان له ولنسله؛ لتهيئة نفوس السامعين لاتهام شهواتها، ولمحاسبتها على دعوتها، فهذه المنة التي شملت كلّ الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها كانت مناسبة للتخلص إلى منة عظمى تخص الفريق الرابع وهم أهل الكتاب.

الشيخ: الفريق الرابع هم أهل الكتاب مثلما قلت لك اليهود خاصة.

الذين هم أشد الناس مقاومة لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولًا في عامة العرب؛ لأن أهل الكتاب يومئذ هم أهل لعلم، ومظنة اقتداء العامة لهم من قوله: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: ٤٠].. الآيات.

فأطنب في تذكيرهم بنعم الله وأيامه له، ووصف ما لاقوا به نعمه الجمة من الانحراف عن الصراط السوي، انحرافًا بلغ بهم حد الكفر، وذلك جامع لخلاصة تكوين أمة إسرائيل وجامعتهم في عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم ما كان من أهم أحداثهم مع الأنبياء الذين قفوا موسى.

الشيخ: "قفوا" يعني اتبعوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إلى أن تلقوا دعوة الإسلام بالحسد والعداوة؛ حتى على الملك جبريل، وبيان أخطائهم؛ لأن ذلك يلقي في النفوس شكًا في تأهلهم بالاقتداء بهم، وذكر من ذلك نموذجًا من أخلاقهم، من تعلق الحياة.

الشيخ: حبهم للحياة.

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ومحاولة العمل بالسحر، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، إلى آخر الآية، وأذى النبي بموجَّه الكلام: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

ثم قُرن اليهود والنصارى والمشركون في قَرن حسدهم المسلمين، والسخط على الشريعة الجديدة، ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥]، إذا قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ثم ما أثير من الخلاف بين اليهود والنصارى، وادعا كلّ فريق أنه هو المحق، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، إلى قوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

ثم خص المشركون بأنهم أظلم هؤلاء الأصناف الثلاثة؛ لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام، وسعوا بذلك في خرابه، وأنهم تشابهوا في ذلك هم واليهود والنصارى، واتحدوا في كراهية الإسلام.

وانتقل بهذه المناسبة إلى فضائل المسجد الحرام ومبانيه، ودعوته لذريته بالهدى، والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد.

وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأن من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة ادخره الله للمسلمين آية على أن الإسلام هو القائم على أساس الحنيفية.

وذكر شرائع الله بمكة، وإبكات أهل الكتاب في طعنهم على تحويل القبلة، وأن العناية بتزكية النفوس أجدر بالعناية باستقبال الجهات، ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وذُكروا بنسخ الشرائع لصالح الأمم، وأنه لا بدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما.

ثم عاد إلى محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ﴾ [البقرة: ١٦٤] .. الآية، ومحاجة المشركين في يوم يتبرؤون فيه من قادتهم، وإبطال مزاعم دين الفريقين في محرمات من الأكل، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقد كمل ذلك بذكر صنف من الناس قليل وهم المشركون الذين لم يظهروا الإسلام، ولكن أظهروا مودة المسلمين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤].

الشرح:

كلّ ما تقدم هو يسير معك في بيان أغراض السورة من أولها إلى آخرها، بيان أهل النفاق، ثم بيان اليهود والنصارى ومواقفهم، ثم المشركون وأن الله قرن بين هؤلاء وهؤلاء، إلى آخر ما ذكره في الجزء الأول من السورة، وشيء من الجزء الثاني.

بعد ذلك سينتقل إلى بيان تشريعات المسلمين، من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ثم آية القصاص، ثم آية الوصية، ثم آية الصيام، هذه كلها سيتكلم عنها.

ولما قضى حق ذلك كله بأبدع بيان وأوضح برهان انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالًا بقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ثم تفصيلاً: "القصاص، الوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج، الجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة والمعاملات المالية والإنفاق في سبيل الله والصدقات والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع، والربا، والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء، والعدة، والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان".

وخُتمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية، وذلك من جوامع الكلم، فكان هذا الختام تذييلاً وفذلكة.

الشيخ: "فذلكة" يعني خلاصة.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .. الآيات.

وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى سبقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات؛ تجديدًا لنشاط القارئ والسامع كما يُسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع، وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع، من تمجيد لله وصفاته، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشيخ: يقصد آية الكرسي.

ورحمته وسماحة الإسلام، وضرب أمثال ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، واستحضار نظائر ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وعلم، وحكمة، ومعاني الإيمان والإسلام، وتثبيت المسلمين، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والكمالات الأصلية، والمزايا التحسينية، وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها، وفوائدها، لا من هيئاتها، وعدم الاعتداد بالمصطلحات، إذ لم ترم إلى غايات، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، والنظر والاستدلال، ونظام المحاجة، وأخبار الأمم الماضية، والرسل وتفاضلهم واختلاف الشرائع.

الشرح:

يعني ما ترك رَحِمَهُ اللهُ ابن عاشور شيئًا مما أشارت إليه سورة البقرة إلا وذكرها، فأعطاك موضوعات وأغراضها كلها من أول آية من الحروف المقطعة إلى آخر آيات السورة التي هي دعاء المؤمنين، كلّ هذه تكلم عنها وأجملها لك، وبين لك أغراض السورة، وقال: سورة **"البقرة"** حقيقة هي فسطاط القرآن، وهي التي اشتملت على جميع شرائع الإسلام، وأخذها بركة، وتركها حسرة.

الآن سينتقل، يعني بعدما بين أغراض سورة **"البقرة"** سيتكلم عن سورة **"آل عمران"** ويمشي على السور، لكنه أطال هو في سورة البقرة؛ لأنها الحقيقة طويلة، وموضوعاتها كثيرة، هذا هو السبب.

لعلنا نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في اللقاء القادم نأخذ سورة **"آل عمران"** وما بعدها إن شاء الله لنتعرف على هذه السورة وما بعدها، مما اشتملت عليه من أغراض وموضوعات تفيدك في تدبر السورة وتأملها، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ .

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، هذا اليوم يوم الأربعاء الموافق ٤ من شهر صفر، من عام ١٤٤٤من الهجرة، الكتاب الذي بين أيدينا (أغراض السور) عند **"ابن عاشور"** في تفسيره (التحرير والتنوير) قرأنا في هذا الكتاب وأخذنا شيئًا من بعض سور القرآن الكريم، والآن نواصل ما توقفنا عنده.

أغراض سورة آل عمران

واشتملت هذه السورة من الأغراض على: الابتداء بالتنويه بالقرآن ومحمد ﷺ، وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيا، والتنويه بفضيلة الإسلام، وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبل دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أُنزلا قبل القرآن؛ تمهيدًا لهذا الدين؛ فلا يحق للناس أن يكفروا به.

وعلى التعريف بدلائل إلهية الله تعالى وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله من جعلوا له شركاء، أو اتخذوا له أبناءً، وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أعد للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطانهم، ثم الثناء على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وآل بيته، وذكر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق لله.

وذكر الذين آمنوا به حقًا، وإبطال إلهية عيسى ومن ثم أفضى إلى قضية وفد نجران ولجاجتهم، ثم محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية، وأنهم بُعداء عنها، وما أخذ الله من العهد على الرسل كلهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم، وأن الله جعل الكعبة أول بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين، وأظهر ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافتراءهم في دينهم، وكتمانهم ما أنزل إليهم، وذكر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام.

وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وذكرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية، وهون عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وذكرهم بالحذر من كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر؛ فكانوا مثلاً لتمييز الخبيث من الطيب.

وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلقي الشدائد والبلاء، وأذى العدو،وودعهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم.

ثم ذكرهم بيوم أحد، ويوم بدر، وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما، ونوه بشأن الشهداء من المسلمين، وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذمة الربا، وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله.

الشرح:

هذه أغراض سورة **"آل عمران"** الحقيقة أن المتدبر المتأمل للقرآن الكريم ينظر إلى كلّ سورة على أنها قطعة واحدة يتأملها وينظر فيها، فكل سورة لها موضوع أو لها محور ولها أساس قاعدة تنطلق منها الآيات.

وكلّ سورة لها عدة أغراض، خاصة السور الطوال تتحدث عن مجموعة أغراض فيها، وكلّ سورة لها بداية مثل المقدمة للكتاب، وكلّ سورة لها نهاية.

فأنت إذا أخذت السورة خاصة مع السور الطوال، إذا أخذت سور **"آل عمرن"** هذه وقرأت فيها وتأملتها وبدأت تتصفح آياتها وهي مائتا آية، وتأملتها تأمل دقيقًا وجدت أن لها مقصدًا دقيقًا وهو **"قضية الثبات على الحق، وأسباب الثبات"**.

ولذلك الله صرح حيث قال من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨].

✍ **والثبات يدور حول ماذا؟**

حول: الشبهات التي أثيرت فيها، والشهوات، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤]، الشهوات تغري الإنسان من النساء والأموال؛ حتى تشغله عن طاعة الله ويموت على ذلك.

أو الشبهات وهي أخطر، مرض الشبهات الذي وقع فيه النصارى، في جعلهم عيسى إما أن يكون إلهًا أو هو ابن الله، فهذه أشياء خطيرة تحتاج إلى ثبات.

وما جرى في النصف الثاني من السورة بالحديث عن **"أحد"** وما ثبت من المسلمين في **"أحد"** ومن تزعزع، ومن رجع من المنافقين، ومن ضعفاء الإيمان، ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٢]،

هؤلاء من المؤمنين، ولكن الله ثبتهم، ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، فثبتهم، فالمسألة مسألة **"ثبات"** والسورة تدور حول هذا الشيء، ثم الأغراض التي ذكرها المؤلف هنا أغراض كثيرة.

نستطيع أن نقول السورة انقسمت قسمين:

القسم الأول مع النصارى ومجادلتهم وبيان شبهتهم وإبطال هذه الشبهات التي احتجوا بها؛ لما قالوا: كيف يولد من غير أب؟ هذا ما يمكن، فالله أبطلهم، قال: أنتم تنظرون أنه ولد بغير أب، لماذا لا تنظرون إلى آدم فهو من غير أم ولا أب، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فإذا استغربت في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذًا يجب عليك أن تستغرب في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتقول: **"آدم"** هو ابن الله، لماذا ما تقول مثل هذا الكلام؟! فأبطل شبهاتهم كلها.

ولما قالوا: إن إبراهيم يهودي أو نصراني، قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، فالسورة تحدثت في قضية الخطاب مع النصارى.

ثم الانتقال بعدها: لأن عبد الرحمن بن عوف سأله رجل فقال: ما قصتكم في أحد؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: اقرأ الآية عشرين بعد المائة، لو تقرأ الآن مائة وعشرين وهي ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١].

جاء الحديث عن غزو أحد بتفاصيل، ومواعظ، وتذكير، ودروس وعبر، هذه السورة هو تكلم عنها بشكل تفصيلي، هذا موضوع السورة.

فكل سورة لها محور، لها موضوعات، لها مقدمة، لها خاتمة، مقدمة السورة **"تقرير وحدانية الله"** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

"تقرير هذه الكتب التي أنزلها الله وبيان منزلة هذه الكتب، وبيان القرآن وعظمته وأنه فوقها" هذه المقدمة.

الخاتمة كما ختم الله سورة **"البقرة"** ختم سورة **"آل عمران"** في أي شيء؟ في بيان صفات المتقين الأبرار ودعائهم، **"البقرة"** ذكرت أنهم آمنوا وصدقوا ثم دعوا، وهذه ذكرت أيضًا أنهم يتفكرون في خلق

السموات والأرض، ويدعون بهذه الأدعية الطيبة فاستجاب الله لهم، استجاب الله دعاءهم، هذه هي الحقيقة السورة.

الآن ينتقل المؤلف إلى أغراض سورة **"النساء"** والحقيقة كلّ سورة تحتاج منا إلى تأمل وتدبر والنظر فيها، فهذا يعينك على تدبرها وفهمها، الآن أصبح عندك تصور واضح عن سورة **"آل عمران"**، الآن ننتقل إلى سورة **"النساء"**.



أغراض سورة النساء

وقد اشتملت على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله، وأنهم محْقُوقون بأن يشركوا ربهم على ذلك.

الشيخ: يعني حقٌّ عليهم أن يشكروا ربهم على هذه النعمة.

وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة، وبالرفق بضعفاء النوع من اليتامى، ويراعوا حقوق صنف النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهن، والإشارة إلى عقود النكاح والصداق، وشرع قوانين المعاملة مع النساء في حالتي الاستقامة والانحراف من كلا الزوجين، ومعاشرتهن والمصالحة معهن، وبيان ما يحل للتزوج منهن، والمحرمات بالقرابة أو الصهر، وأحكام الجواري بملك اليمين.

وكذلك حقوق مصير المال إلى القرابة، وتقسيم ذلك، وحقوق حفظ اليتامى في أموالهم، وحفظها لهم، والوصاية عليهم.

ثم أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء، وأحكام القتل عمدًا وخطأ، وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدفاع عن المعتدى عليه، والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة، والتحذير من اتباع الهوى، والأمر بالبر، والمواساة، وأداء الأمانات، والتمهيد لتحريم شرب الخمر، وطائفة من أحكام الصلاة، والطهارة، وصلاة الخوف.

ثم أحوال اليهود؛ لكثرتهم بالمدينة، وأحوال المنافقين وفضائحهم، وأحكام الجهاد لدفع شوكة المشركين، وأحكام معاملة المشركين، ومساويهم، ووجوب هجرة المؤمنين من مكة، وإبطال مآثر الجاهلية.

وقد تخلل ذلك مواعظ وترغيب،ونهى عن الحسد، وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع، أو بحكم الفطرة، والترغيب في التوسط في الخير والإصلاح، وبث المحبة بين المسلمين.

الشرح:

هذه أغراض السورة بشكل تفصيلي، ومثلما ذكرنا السورة لها مقدمة، و لها خاتمة، ولها محور تدور حوله الآيات كلها، يربطها محور واحد.

✍ **ما محور سورة "النساء"؟**

سميت بسورة **"النساء"** حتى أنك أحيانًا تربط الموضوع بالسورة بتسميتها ففيه رباط، **"البقرة"**، **"آل عمران"**، **"النساء"**، **"المائدة"** في رابط، فعندنا **"النساء"**، النساء هي أصل السورة.

✍ **الموضوع يدور على ماذا؟**

على الضعفاء وكيف وقف القرآن معهم؟ الضعفاء من النساء، والضعفاء من الأيتام، والضعفاء من الرجال، من كلّ جنس.

ثم هي تتحدث عن **"علاقات المجتمع بعض ببعض"**.

أول ما بدأت **"بعلاقة الزوج مع زوجته"**، قال تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، علاقة الزوج، وأصله يرجع إلى علاقة آدم وحواء.

ثم بعد علاقة الزوج **"علاقة الذرية"** قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

ثم تنتقل السورة من خارج البيت إلى المجتمع حولك، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، كلّ هذه محيطة بالمجتمع، محيطة بك.

ثم نتنقل العلاقة بعد ذلك من محيط المسلمين إلى العلاقة مع غير المسلمين، مع اليهود، مع النصارى، مع المنافقين، كلّ هذه تتحدث السورة عنها، كيف يتعاملون؟ كيف لو قُتل واحد كافر؟ لو قتل مؤمن بين صفوف الكفار ماذا يصنع المسلمون؟

المنافقون كيف يكون موقف المؤمنين؟ قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ [النساء: ٨٨]، اعرف حقيقة المنافقين، وكذلك علاقة اليهود والنصارى إلى آخر السورة، فالسورة تدور حول هذا الشيء.

بدايتها **"في أمر الناس جميعًا بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي خلقهم وأوجدهم"**.

وخاتمتها **"ببيان سعة عمل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

ننتقل إلى السورة التي تليها **"المائدة"**.

أغراض سورة المائدة

وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبئ بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولذلك افتتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود، أي بما عاقدوا الله عليه حين دخولهم في الإسلام، من التزام ما يؤمرون به؛ فقد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على الصلاة، والزكاة، والنصح لكل مسلم؛ كما في حديث جابر بن عبد الله في الصحيح.

وأخذ البيعة على الناس بما في سورة الممتحنة؛ كما روى عبادة بن الصامت، ووقع في أولها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، فكانت طالعتها براعة استهلال.

الشرح:

براعة الاستهلال هي: **"الافتتاح عند العرب في أشعارهم"** يسمونها **"براعة الاستهلال"** يعني يبرع الشاعر بأن يستهل القصيدة، أو براعة استهلال الخطيب، تجد الخطيب في الجمعة يلقي الخطبة ببراعة، براعة الاستهلال يجذب الحاضرين، كلّ سورة لها براعة في استهلالها، يعني في افتتاحيتها.

وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام، وفيها شرائع الوضوء، والغسل، والتيمم، والأمر بالعدل في الحكم.

والأمر بالصدق في الشهادة، والأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحرابة، وتسلية الرسول ﷺ عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها، والحكم بين أهل الكتاب.

وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تُفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه، وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابين، وذكر مساوٍ من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب، وأنهم أرجى للإسلام.

وذكر قضية التيه وأحوال المنافقين، والأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل لهم، والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس، وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر، والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به، والتهاون فيه، واستدعاؤهم للإيمان بالرسول الموعود به.

وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى، وتمجيد الله تعالى.

الشرح:

هذه أغراض السورة، سورة طويلة مائة وعشرين آية، أغراضها بهذا الشكل، الحقيقة لو تأملت تسميتها سورة **"المائدة"** لماذا؟ الأكثر سيقول: لأن الله ذكر فيها قصة مائدة النصارى، أو الحواريين، لكن إذا تأملت أكثر وأكثر وجدته نعم لذكر القصة، ومن باب آخر لأن السورة تتحدث عن المطعومات والمشروبات.

من المشروبات كالخمر ونحوه، ومن المطعومات ما ذكر الله من بهيمة الأنعام، أو مما جاءك عن أهل الكتاب ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وعن الصيد، وأحكام كثيرة، ما الذي يباح؟ ما الذي يحرم عليك؟

وهي ترجع كلها هذه إلى العقود؛ لأن الله افتتحها بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، العقود في الزواج، الزواج من الحرائر العفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب، والإيماء، والعقود أيضًا فيما يتعلق بعلاقة المسلمين مع غيرهم، مع اليهود، مع النصارى، مع الكفار، ففيها عقود كثيرة.

ثم ذكر موضوعات متفرقة فيها، مثل علاقة المسلمين مع اليهود، ومع النصارى، ومع أهل الكتاب، وبيان مثالبهم، بيان موقف النصارى وأنهم أقرب مودة، وغيرها من الأحكام التفصيلية الكثيرة، لكن كلها تدور حول هذه العقود التي افتتحت بها ببراعة الاستهلال، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١].

وهي تدور على المطاعم، بهيمة الأنعام ما الذي يُباح؟ وما الذي يحرم؟ قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [المائدة: ٣].

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، وغيرها، كلّ هذه تدل على أنها تدور حول هذه الأشياء، ولذلك عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: **"هي آخر القرآن نزولًا"** من آخر سور القرآن نزولًا؛ لأن ما أحل الله فيها فهو الحلال، وما حرم

فيها فهو الحرام، ولذلك يقولون: ليس فيها نسخ، هذا ما تذكره هذه السورة، وبعدها يأتي سورة **"الأنعام"** و**"الأعراف"** وما بعدها.

لعل نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله نستكمل، والكتاب الحقيقة ممتع جدًا؛ لأنه يتعلق بالتدبر والتفكر، واستيعاب هذه السور ومفهومها.

الآن لو سألنا قلنا لواحد: سورة **"يونس"** تدور حول أي شيء؟ يمكن يصعب عليه الجواب، لكن لو قرأ هذا وتدبر وتأمل عرف الهدف من سورة **"يونس"** أو سورة **"هود"** أو كذا، فالكتاب يفيدك في تدبر القرآن.

نقف عند هذا القدر وإن شاء الله نكمل في اللقاء القادم، والله أعلم.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب يتعلق ببلاغة القرآن الكريم، وكتاب (التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"** كتاب من كتب التفسير المتأخرة، **"ابن عاشور"** توفي سنة ١٣٩٣هـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى من بلاد تونس المغرب العربي.

وكتب هذا التفسير ومكث فيه أربعين سنة وهو يكتب فيه، وخرج بهذا الكم الهائل الغفير وهو ما يقع في ثلاثين مجلدًا.

كان يستفتح تفسيره في كلّ سورة بذكر أغراض السور ومقاصد السور، فأحيانًا يذكر المقصد، وأحيانًا يذكر الأغراض، نحن قرأنا في هذا الكتاب والآن وصلنا إلى سورة **"الأنعام"**.

أغراض سورة الأنعام

أغراض هذه السورة: ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله؛ لأنه مبدع العوالم جواهر وأعراضًا؛ فعلم أنه المتفرد بالإلهية.

وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره، وأعراضه.

الشرح:

ما معنى الجواهر؟

وما معنى الأعراض؟

الجواهر هي "الأجسام" فالجدار جوهر، والسقف جوهر، جسم الإنسان جوهر، الكتاب، والعوارض هي "الألوان التي تعرض" مثلما تقول: كتاب أزرق وأحمر وأصفر، والسماء مثلاً بيضاء صافية أو حمراء أو نحو ذلك، مثل هذه الأشياء.

لكن هذه من ألفاظ المتكلمين أصحاب المنطق، يقولون: "الجوهر" و"العرض" ونحو ذلك، لكن المفترض ما يأتي بمثل هذه العبارات.

هو ماذا يقول؟

يقول: (ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله) قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

قال: (لأنه مبدع العوالم جواهر وأعراضًا؛ فعلم أنه المتفرد بالإلهية) طيب مبدع العالم أو مبدع السموات والأرض وما فيهن من مخلوقات ويكفي.

وخلق الإنسان، ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفًا ولا علمًا، وتنزيه الله عن الولد والصاحبة.

قال أبو إسحاق الإسفراييني: وفي سورة الأنعام كلّ قواعد التوحيد.

الشرح:

هذا متقدم الإسفراييني، عبارته جميلة وواضحة، يقول: (وفي سورة الأنعام كلّ قواعد التوحيد) قواعد التوحيد الأساسية، توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، توحيد الأسماء والصفات، توحيد الله في أفعاله، هذه قواعد التوحيد.

وموعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى وأنهم ما يضرون بالإنكار إلا أنفسهم، ووعيدهم بما سيلقون عند انزع أرواحهم ثم عند البعث.

وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي ﷺ من طلب إظهار الخوارق؛ تهكمًا.

وإبطال اعتقادهم أن الله لقنهم على عقيدة الإشراك؛ قصدًا منهم لإفحام الرسول ﷺ، وبيان حقيقة مشيئة الله، وإثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق.

الشرح:

يقولون: لو شاء الله ما أشركوا، يقول: هذه عقدية الإشراك، يقولون: إن الله لقنهم، وهذا غير صحيح، أبطله القرآن.

والإنحاء على المشركين تكذيبهم بالبعث، وتحقيق أنه واقع، وأنهم يشهدون بعده العذاب، وتتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها، وسيندمون على ذلك.

كما أنها لا تغني عنهم شيئًا في الحياة الدنيا؛ فإنهم لا يدعون إلا الله عند النوائب، وتثبيت النبي ﷺ وأنه لا يؤاخذ بإعراض قومه وأمره بالإعراض عنهم.

وبيان حكمة إرسال الله الرسل، وأنها الإنذار والتبشير، وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات.

وأن تفاضل الناس بالتقوى والانتساب إلى دين الله، وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال، وبيان أن التقوى الحق ليست مجرد حرمان النفس من الطيبات؛ بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتزكية.

وضرب المثل للنبي مع قومه بمثل إبراهيم مع أبيه وقومه، وكان الأنبياء والرسل على ذلك المثل من تقدم منهم ومن تأخر.

والمنة على الأمة بما أنزل الله من القرآن؛ هدى لهم كما أنزل الكتاب على موسى، وبأن جعلها الله خاتمة الأمم الصالحة.

الشيخ: قوله: (بأن جعلها) يعني جعل هذه الأمة (خاتمة الأمم الصالحة).

وبيان فضيلة القرآن ودين الإسلام وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات، وتخللت ذلك قوارع للمشركين، وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بنعم اشتملت عليها مخلوقات الله، وذكر مفاتح الغيب.

وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وفيما حرموه على أنفسهم مما رزقهم الله.

الشرح:

المؤلف في عرضه لأغراض سورة **"الأنعام"** هو فصل تفاصيل دقيقة جدًا، وتتبع السورة من أولها إلى آخرها، وأنا في نظري أن سورة **"الأنعام"** انقسمت إلى قسمين كما مثلها في سور القرآن الكريم.

سورة "البقرة" مثلاً انقسمت إلى جزأين:

الجزء الأول كله في مناقشة اليهود في مواقفهم مع الله ومع رسوله، ومع شريعته.

والقسم الثاني في ما ذكره الله في خصائص هذه الأمة، وما منحها.

سورة "آل عمران" نفس الشيء قسمها الله قسمين:

القسم الأول في الحديث عن عيسى وموقف النصارى منه.

والقسم الثاني في غزوة أحد.

سورة "الأنعام" انقسمت إلى قسمين:

القسم الأول في بيان عقائد الكفار الباطلة، وتقرير عقيدة الإسلام، وعقيدة الإيمان بالله، وعقيدة التوحيد، ولذلك تجد النصف الأول كله عن **"تقرير عقيدة التوحيد وإبطال عقائد المشركين"** إبطالها بالحجج والأدلة العقلية والنقلية.

القسم الثاني من بداية الجزء أو نقول القسم الأخير كله في إبطال عقائد الكفار فيما شرعوه لأنفسهم، هم شرعوا في الأطعمة أشياء محرمة، هذه كلها ناقشها القرآن وأبطلها، هذا باختصار، والمؤلف ذكر تفاصيل فيما يتعلق بهذه السورة.

أغراض سورة الأعراف

أغراضها: افتتحت هذه السورة بالتنويه بالقرآن، والوعد بتيسيره على النبي ﷺ ليبلغه، وكان افتتاحها كلامًا جامعًا وهو مناسب لما اشتملت عليه السورة من المقاصد، فهو افتتاح وارد على أحسن وجوه البيان، وأكملها شأن سور القرآن.

وتدور مقاصد هذه السورة على محور مقاصد منها: النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله، وإنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة، ووصف ما حل بالمشركين، والذين كذبوا الرسل: من سوء العذاب في الدنيا، وما سيحل بهم في الآخرة.

وتذكير الناس بنعمة خلق الأرض، وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض، وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله، وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان.

وتحذير الناس من التلبس ببقايا مكر الشيطان من تسويله إياهم حرمان أنفسهم الطيبات، ومن الوقوع فيما يزج بهم في العذاب في الآخرة.

ووصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين، وكراماته للمتقين، والتذكير بالبعث وتقريب دليله، والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله لفائدة الإنسان.

والتذكير ببديع ما أوجده الله لإصلاحها وإحيائها، والتذكير بما أودع الله في فطرة الإنسان من تكوين أصله أن يقبلوا دعوة رسل الله إلى التقوى والإصلاح.

وأفاض في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، وما لاقوه من عنادهم وأذاهم، وأنذر بعدم الاغترار بإمهال الله الناس قبل أن ينزل بهم العذاب، وإعذارًا لهم أن يُقلعوا عن كفرهم وعنادهم؛ فإن العذاب يأتيهم بغتة بعد ذلك الإمهال.

وأطال القول في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون وفي تصرفات بني إسرائيل مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وتخلل قصته بشارة الله ببعثة محمد ﷺ وصفة أمته، وفضل دينه، ثم تخلص إلى موعظة المشركين كيف بدلوا الحنيفية، وتقلدوا الشرك؟ وضرب لهم مثلاً بمن آتاه الله الآيات فوسوس له الشيطان؛ فانسلخ عن الهدى،

ووصف حال أهل الضلالة، ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول، ووصف آلهتهم بما ينافي الإلهية، وأن لله الصفات الحسنى صفات الكمال.

ثم أمر الله رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والمسلمين بسعة الصدر، والمداومة على الدعوة، وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله بذكره سرًا وجهرًا، والإقبال على عبادته.

الشرح:

هذه أغراض سورة **"الأعراف"** سورة **"الأعراف"** تعتبر أطول سورة مكية، بعدها سورة **"الأنعام"** سورة **"الأعراف"** سورة عظيمة وواسعة، فالمؤلف ذكر عددًا من أغراضها لكن الحقيقة هي تدر في مقصدها على **"بيان هلاك الأمم وأسبابه"**.

ولذلك في أول السورة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، فالسورة في بدايتها وافتتاحياتها كما ذكر هنا قال: إنها افتتحت افتتاحًا جميلاً حسنًا، فهي إشارة إلى هلاك الأمم وأسبابه.

ولذلك ذكر الله فيها عدد من الأمم السابقة: **"نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى"** أمم كثيرة، ثم ذكر أصحاب السبت، وذكر الذي أتاه الله الآيات، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

ذكر قصص كثيرة وكلهم أصابهم ما أصابهم من الهلاك بسبب الإعراض، وبيّن أن سبب ذلك كله راجع إلى الشيطان الذي أخرج آدم وزوجه من الجنة، هذه هي السورة، فهي سورة التهديد والوعيد والهلاك.

أغراض سورة الأنفال

أغراض هذه السورة: ابتدأت ببيان أحكام الأنفال، وهي الغنائم وقسمتها، ومصارفها، والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله في أمر الغنائم وغيرها.

وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل، وذكر الخروج إلى غزوة بدر، وبخوفهم من قوة عددهم، وما لقوا فيها من نصرٍ وتأييد من الله ولطفه بهم.

وامتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء، ووعدهم بالنصر والهداية إن اتقوا بالثبات للعدو والصبر.

والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء، والأمر باجتماع الكلمة، والنهي عن التنازع، والأمر بأن يكون قصد النصرة للدين نُصب أعينهم.

ووصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر، وذكر مواقع الجيشين، وصفات ما جرى من القتال، وتذكير النبي ﷺ بنعمة الله عليه، إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة، وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أمانًا لأهلها، فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصد عن المسجد الحرام.

ودعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام، وإيذانهم بالقتال، والتحذير من المنافقين، وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله، ولم يشركوا نعمة الله.

وأحكام العهد بين المسلمين والكفار، وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن المسلم، وأحكام الأسرى، وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة، وولايتهم، وما يترتب على تلك الولاية.

الشرح:

يعني باختصار سورة الأنفال ذكر الله فيها **"أسباب النصر"** أسباب معنوية، وأسباب حسية، أسباب معنوية الطاعة والتقوى والإيمان، والذكر، وغيرها، والأسباب الحسية اتخاذ القوة، والسلاح، ونحو ذلك، هي في الحقيقة كلها تدور على **"أسباب النصر"**.

أغراض سورة التوبة

فافتتحت السورة بتحديد مدة العهود التي بين النبي ﷺ وبين المشركين، وما يتبع ذلك من حالة حرب وأمن، وفي خلال مدة الحرب مدة تمكينهم من تلقي دعوة الدين وسماع القرآن.

وأتبع بأحكام الوفاء والنكث على موالاتهم، ومنع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحج، وإبطال مناصب الجاهلية التي كانوا يعتزون بأنهم أهلها.

الشيخ: قوله: (وإبطال مناصب الجاهلية) أي سقاية الحاج وعمارة المسجد، يدعون أنهم هم أهلها وكذا، فرد الله عليهم.

وإعلان حالة الحرب بين المسلمين وبينهم، وإعلان الحرب على أهل الكتاب من العرب حتى يعطوا الجزية، وأنهم ليسوا بعيدًا عن أهل الشرك، وأن الجميع لا تنفهم قوتهم ولا أموالهم.

وحرمة الأشهر الحرام، وضبط السنة الشرعية، وإبطال النسيء الذي كان عند الجاهلية، وتحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله، ونصر النبي ﷺ وأن اله ناصر نبيه، وناصر الذين ينصرونه.

وتذكيرهم بنصر الله رسوله يوم حنين، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما هيأ له من الهجرة إلى المدينة، والإشارة إلى التجهيز بغزوة تبوك.

وذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلف بلا عذر، وصفات أهل النفاق من جبن، وبخل، وحرص على أخذ الصدقات مع أنهم ليسوا بمستحقيها.

وذكر أذاهم الرسول ﷺ بالقول، وأيمانهم الكاذبة، وأمرهم بالمنكر، ونهيهم عن المعروف، وكذبهم في عهودهم، وسخريتهم بضعفاء المؤمنين.

والأمر بضرب الجزية على أهل الكتاب، ومذمة ما أدخله الأحبار والرهبان في دينهم من العقائد الباطلة، ومن التكالب على الأموال.

وأمر الله بجهاد الكفار والمنافقين، ونهى المؤمنين عن الاستعانة بهم في جهادهم والاستغفار لهم، ونهى نبيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم، وضرب المثل بالأمم الماضية.

وذكر الذين اتخذوا مسجد الضرار عن سوء نية، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة، وانتقل إلى وصف حالة الأعراب من محسنهم ومسيئهم، ومهاجرهم ومتخلفهم.

وقوبلت صفات أهل الكفر والنفاق بأضدادها صفات المسلمين، وذكر ما أعد لهم من الخير.

وذكر في خلال ذلك فضل أبي بكر، وفضل المهاجرين والأنصار، والتحريض على الصدقة، والتوبة، والعمل الصالح.

الشرح:

أين ذُكر فضل أبو بكر؟ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، هذا ثناء من الله على أبو بكر، فهذا ذكره.

والجهاد وأنه فرض على الكفاية، والتذكير بنصر الله المؤمنين يوم حنين بعد يأسهم، والتنويه بغزوة تبوك وجيشها، والذين تاب الله عليهم من المتخلفين عنها.

والامتنان على المسلمين بأن أرسل فيهم رسولًا منهم جبله على صفات فيها كلّ خير لهم، وشرع الزكاة ومصارفها، والأمر بالفقه في الدين، ونشر دعوة الدين.

الشرح:

بالجملة سورة التوبة أحيانًا تسمى بسورة **"براءة"** فيها أحاديث عن القتال وأحواله، كلها عن القتال وأحواله، ومن الذين يقاتلون؟ وذكرت هذه السورة جميع أصناف الناس، **"كفار، معاهدين، ذميين، يهود، نصارى، منافقين، ضعفاء إيمان، الأعراب، الجهلة والمتعلمين، والبخلاء"**.

ما تركت من صفات في الناس إلا وذكرت، وما في صنف من أصناف الناس إلا وذكر في هذه السورة، وهي تدور حول من الذين يقاتلون؟ ومن الذين لا يقاتلون؟ وكيفية القتال، وأحوال القتال، ونحو ذلك، كلها تدور على هذا الأمر، كشف عوار المنافقين أكثر وأكثر.

أغراض سورة يونس

من أغراض هذه السورة: ابتدأت بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ بدلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن دلالة نبه عليها بأسلوب تعريضي دقيق بني على الكناية بتهجية الحروف المقطعية في أول السورة كما تقدم في مفتتح سورة البقرة، ولذلك أتبعت تلك الحروف بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

إشارة إلى أن إعجازه لهم هو الدليل على أنه من عند الله، وقد جاء التصريح بما كنى عنه ههنا في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨].

وأتبع بإثبات رسالة محمد ﷺ وإبطال إحالة المشركين أن يرسل الله رسولًا بشرًا، وانتقل من ذلك إلى إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلالة أنه خالق العالم ومدبره، فأفضى ذلك إلى إبطال أن يكون لله شركاء في إلهيته.

وإلى إبطال معاذير المشركين بأن أصنامهم شفعاء عند الله، وأُتبع ذلك بإثبات الحشر والجزاء؛ فذلك إبطال أصول الشرك.

وتخلل ذلك بذكر دلائل المخلوقات، وبيان حكمة الجزاء، وصفة الجزاء، وما في دلائل المخلوقات من حكم ومنافع للناس.

ووعيد منكري البعث المعرضين عن آيات الله، وبضد أولئك وعد الذين آمنوا؛ فكان معظم هذه السورة يدور حول محور تقرير هذه الأصول.

فمن ذلك التنبيه على أن إمهال الله تعالى الكافرين دون تعجيل العذاب هو حكمة منه، ومن ذلك التذكير بما حل بأهل القرون الماضية لما أشركوا وكذبوا الرسل.

والاعتبار بما خلق الله للناس من مواهب القدرة على السير في البر والبحر، وما في أحوال السير في البحر من الإلطاف

وضرب المثل للدنيا وبهتجتها وزوالها، وأن الآخرة هي دار السلام، واختلاف أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة، وتبرؤ الآلهة الباطلة من عبدتها.

وإبطال إلهية غير الله تعالى بدليل أنها لا تغني عن الناس شيئًا في الدنيا ولا في الآخرة، وإثبات أن القرآن منزل من الله، وأن الدلائل على بطلان أن يكون مفترى واضحة.

وتحدي المشركين بأن يأتوا بسورة مثله، ولكن الضلالة أعمت أبصار المعاندين، وإنذار المشركين بعواقب ما حل بالأمم التي كذبت بالرسل، وأنهم إن حل بهم العذاب لا ينفعهم إيمانهم، وأن ذلك لم يلحق قوم يونس؛ لمصادفة مبادرتهم بالإيمان قبل حلول العذاب، وتوبيخ المشركين على ما حرموه مما أحل الله من الرزق.

وإثبات عموم العلم لله تعالى، وتبشير أولياء الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتسلية الرسول عما يقوله الكافرون، وأنه لو شاء آمن من في الأرض كلهم.

ثم تخلص إلى الاعتبار بالرسل السابقين: نوح، ورسل من بعده، ثم موسى، وهارون، ثم استشهد على صدق رسالة محمد ﷺ بشهادة أهل الكتاب.

وختمت السورة بتلقين الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مما يعذر به لأهل الشك في دين الإسلام، وأن اهتداء من اهتدى لنفسه وضلال من ضل عليها، وأن الله سيحكم بينه وبين معانديه.

الشرح:

سورة **"يونس"** من السور المكية، تدور حول **"تقرير أمور العقائد"** من توحيد الله ونبذ الشرك وإبطاله، وإثبات الإلوهية لله تعالى، وتقرير رسالة الرسول ﷺ والقرآن أنه حق، أن القرآن منزل من عند الله وهو كلام الله، والحديث أيضًا عن اليوم الآخر وتقرير يوم المعاد.

هذه الأصول تقررها السور المكية، وسيأتينا في سورة **"الرعد"** وفي الكثير من سور القرآن تقرر قضية،، وسورة **"الفرقان"** وغيرها تقرر قضايا التوحيد وقضايا العقائد الصحيحة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقرآن إلى آخره.

وهي تدور هذا السورة الحقيقة حول **"أسباب النجاة"** لو تلاحظ أن كلمة **"النجاة"** تتكرر فيها، يعني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في أولها: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[يونس: ٢٢، ٢٣].

وبيّن أنه نجا قوم **"يونس"** بأسباب توبتهم ورجوعهم إلى الله، فهي تدور حول هذا الموضوع الدقيق.

بعدها سورة **"هود"** السور تتوالى علينا، والحقيقة الكتاب جميل جدًا، ويحثك على التدبر والتأمل في هذه السور العظيمة.

نقف عند هذا القدر وإن شاء الله نكمل في اللقاء القادم ما توقفنا عنده.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك في هذا اليوم يوم الأربعاء الموافق ١٨ من شهر صفر، من عام ١٤٤٤هـ الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"**.

طيب نواصل القراءة في الكتاب عندنا سورة **"هود"** وما بعدها.

أغراض سورة هود

وأغراضها: ابتدأت بالإيماء إلى التحدي؛ لمعارضة القرآن بما تومئ إليه الحروف المقطعة في أول السورة.

الشيخ: يعني تشير، الإيماء هو **"الإشارة"**.

وباتلائها بالتنويه بالقرآن، وبالنهي عن عبادة غير الله تعالى، وبأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نذير للمشركين بعذاب يوم عظيم، وبشير للمؤمنين بمتاع حسن إلى أجل مسمى.

وإثبات الحشر والإعلام بأن الله مطلع على خفايا الناس، وأن الله مدبر أمور كلّ حي على الأرض، وخلق العوالم بعد أن لم تكن، وأن مرجع الناس إليه وأنه ما خلقهم إلا للجزاء.

وتثبيت النبي ﷺ وتسليته عما يقوله المشركون وما يقترحونه من آيات على وفق هواهم، ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢].

وأن حسبهم آية القرآن الذي تحداهم بمعارضته؛ فعجزوا عن معارضته فتبين خذلانهم، فهم أحقاء بالخسارة في الآخرة.

وضرب مثل لفريقي المؤمنين والمشركين، وذكر نظرائهم من الأمم البائدة من قوم نوح، وتفصيل ما حل بهم وعاد وثمود، وإبراهيم، وقوم لوط، ومدين، ورسالة موسى؛ تعريضًا بما في جميع ذلك من العبر وما ينبغي منه الحذر؛ فإن أولئك لم تنفعهم آلهتهم التي يدعونها.

وأن في تلك الأنباء عظة للمتبعين بسيرهم، وأن ملاك ضلال الضالين عدم خوفهم عذاب الله في الآخرة؛ فلا شك في أن مشركي العرب صائرون إلى ما صار إليه أولئك، وانفردت هذه السورة بتفصيل حادث الطوفان وغيضه.

ثم عرض باستئناس النبي ﷺ وتسليته باختلاف قوم موسى في الكتاب الذي أوتيه، فما على الرسول وأتباعه إلا أن يستقيم فيما أمره الله، وأن لا يركنوا إلى المشركين، وأن عليهم بالصلاة والصبر والمضي في الدعوة إلى الصلاح؛ فإنه لا هلاك مع الصلاح، وقد تخلل ذلك عظات وعبر، والأمر بإقامة الصلاة.

الشرح:

يتكلم المؤلف عن أغراض هذه السورة، ولاشك أن السورة من السور الطوال التي تعرضت لعدة أغراض مهمة، وهي في الحقيقة نستطيع أن نقول: محور السور ة ومقصد السورة كلها يدور حول **"أسباب هلاك هذه الأمم"** وهو الكفر الإعراض والعناد وعدم قبول الدعوة، كلها تدور حول هذا.

وبيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن هذه الأخبار يعني التي تأتي النبي في مثل هذه الأمور أنها أخبار من الغيب، ولذلك تلاحظ في نهاية قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

ففيها أخبار غيبية لا يعلمها محمد ولا قومه، وتدل على أن هذا القرآن منزل من عند الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أشاد ونوه بالقرآن الكريم في أول السورة، وأنه تحدى الناس أو تحدى العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله مفتريات.

✍ **السؤال هنا:**

✍ **لماذا قال عشر مع أنه في سورة أخرى قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، فلماذا هنا اختار عشر سور؟**

هذه أشار إليها الشنقيطي أن سورة **"هود"** قبلها عشر سور من أول القرآن، يعني من سورة **"الفاتحة"** إلى سورة **"يونس"** عشر سور، فلما جاءت الحادية قال: فأتوا بعشر من هذه المتقدمة، وما استطاعوا ولن يستطيعوا.

السورة تدور حول هذا الأمر الذي ذكرناه وهو أسلوب التهديد والتخويف والوعيد الشديد مع أن هذه الأخبار كلها منزلة من عند الله، وأنها غيبية بذكر قصص دقيقة تبين أن هذا القرآن منزل من عند الله،

يعني ذكر الله فيها قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك سميت **"هود"** لكثرة تردد لفظ **"هود"** فيها أكثر من غيرها.

عندنا قصة قوم صالح، وثمود، وقوم لوط، وإبراهيم، وشعب، ستة أنبياء، كلهم ذكر الله قصصهم، وأشار إلى موسى في آيات مختصرة.

النبي ﷺ ورد عنه في الحديث وإن كان بعضهم يضعفه، قال: «**شيبتني هود وأخواتها**»، قالوا: لماذا خص هود؟ قال: لأن فيها آية قوية جدًا على الرسول ﷺ وعلى غيره، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

فالنبي خوطب بأن يكون مستقيمًا كما أمره الله، وهذه يعني قوية جدًا، ولذلك قال: «**شيبتني هود وأخواتها**»، ولأن فيها آيات عظام جدًا، ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هلاك الأمم بأنواع من العذاب، ثم الحديث عن اليوم الآخر، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤]، كلّ هذه آيات قوية جدًا.

ننتقل إلى: (سورة يوسف)

سورة "يوسف" باختصار: سورة **"يوسف"** نزلت في وقت النبي ﷺ وهو في أشد الضيق والحزن، سورة **"يوسف"** قيل: إنها نزلت في عام الحزن، في العام الذي مات فيه عمه أبو طالب وخديجة زوجته، وضاقت به الأرض، مكية قبل الهجر بثلاث سنوات.

فضاقت به الأرض ﷺ حتى خرج إلى الطائف، لما أراد أن يدخل إلى مكة منعوه، فجاءت هذه السورة تسلية، بأن هذا ما جرى ليوسف، وما جرى لأبيه من الحزن والضيق، ثم جاء الفرج.

جاء الفرج بأن جمع الله شمل يوسف وأبويه وإخوانه، فحصل ما حصل ليوسف من الكرب الشديد ولأبيه، ثم جمعهم الله، وكأنه إشارة إلى محمد ﷺ ما حصل لك من الكرب أن الله سيفرج هذا الحزن.

أغراض سورة يوسف

من مقاصد هذه السورة: روى الواحدي والطبري يزيد أحدهما على الآخر عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «أنزل القرآن فتلاه رسول الله ﷺ على أصحابه رمانًا، فقالوا –أي المسلمون بمكة–: يا رسول الله لو قصصت علينا ، فأنزل الله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢].».

فأهم أغراضها: بيان قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

وفيها إثبات أن بعض المرائي قد يكون أنباءً بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية، كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] .. الآيات.

الشرح:

"ابن عاشور" ينقل عن كتب اليهود والنصارى، وينقل عن كتب الفلسفة، ولذلك تلاحظ فيه بعض العبارات.

مثلاً يقول: (وفيها إثبات أن بعض المرائي) يقصد الرؤى، (قد يكون أنباءً بأمر مغيب) يقول: هذه الرؤى إذا رؤيت قد تصح وتكون خبرًا من السماء (وذلك من أصول النبوءات) أصلاً رؤى الأنبياء إذا رأوا رؤية رؤيته هذه وحي، رؤيا الأنبياء وحي، ولذلك إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما رأى أن يذبح ابنه إسماعيل رآه ثلاث مرات فحققه هذا؛ لأنه وحي.

والنبي ﷺ كان يرى رؤى قبل الوحي فتأتي مثل فلق الصبح، تأتي أمامه يراها، قالوا: هذا من تمهيد الوحي، فرؤيا الأنبياء وحي.

وهنا يقول: (وذلك من أصول النبوءات) **"ابن عاشور"** مالكي ويقرأ بقراءة الإمام نافع، ويهمز النبي، يقول: **"النبيء"** حتى في القرآن يقرأها، ولذلك قال: (النبوءات).

ثم قال: (وذلك من أصول النبوءات) كتب هنا تعليق يقول: **"هي الفلسفة الإشراقية"** والمفترض ألا يأتي بمثل هذه العبارات؛ لأن كلام عن القرآن الكريم وإثبات بعض الرؤى ونحوها.

وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده.

الشرح:

الرؤى تعبيرها ما أحد يتعلمها، ما تستطيع أن تروح تتعلم على شيخ، تقول: أريد أن تعلم عندك كيف تفسر الرؤى؟ ما يمكن، ولا في مدارس، ولا كتب مؤلفات في دراسات كيف تعبر الرؤى؟ لأن هذه موهبة.

تجد شخص عامي ما درس شيء ويفسر وتفسيره واضح، فهي مواهب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لذلك ما تستطيع أن تتعلمه، إلا مع التجارب والاختلاط، وتتبع أشياء تستطيع يعني يكون عندك شيء لتعبير الرؤى، وإلا هي مواهب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وتحاسد القرابة بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر.

وتسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهم من الأذى، وقد لقي النبي ﷺ من آله أشد مما لقيه من بعداء كفار قومه.

الشرح:

آله يعني القرباء، يقول: إن يعقوب ويوسف وجدوا من أقرب الناس لهم من الأذى، يعني أبناؤه، يعني يعقوب وجد من أبناءه أذى، ويوسف وجد من أخوته أذى.

فيقول: إن النبي ﷺ وجد من أقاربه في مكة أذى، يعني عمه أبو لهب آذاه، وناس أقاربه آذوه هذا المقصود.

مثل عمه أبي لهب، والنضر بن الحارث، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وإن كان هذا قد اسلم بعد وحسن إسلامه؛ فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البُعداء كما قال طرفة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

وفيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف عليهما السلام على البلوى، وكيف تكون لهم العاقبة.

الشرح:

هذا هو المحك، هذا هو المقصد من القصة كلها والسورة كاملة **"صبر الأنبياء على ما يأتيهم من البلوى وحسن العاقبة بعد ذلك"**.

وفيها العبرة بهجرة قوم النبي ﷺ إلى البلد الذي حل به كما فعل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك إيماء إلى أن قريشًا ينتقلون إلى المدينة مهاجرين؛ تبعًا لهجرة النبي ﷺ.

الشرح:

يقول: إن يعقوب كان في فلسطين مستقر في الشام، فانتقل إلى مصر لما دعاه ابنه يوسف، قال: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]، جاؤوا واستقروا في مصر، وخلاص إلى رجعوا إلى فلسطين، إلى أن مرت سنين طويلة حتى جاء فرعون وموسى، فلما جاء موسى أمرهم بأن يرجعوا إلى بلاده، ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، فامتنعوا.

ولذلك لما جاؤوا إلى مصر، مصر ليست لهم، مصر للأقباط وليست لهم، ولذلك الأقباط قوم فرعون استضعفوهم واستخدموهم، فجعلوهم خدم عندهم وأذلوهم، بسبب أنهم تركوا شريعة الله فسلط الله عليهم.

وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل.

الشرح:

كيف استرقاق السارق؟ لما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ثم قال: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦].

لما وجدوا الصواع في رحل أخيه هو ما حكم بشريعة مصر، لو حكم بشريعة مصر ما استطاع أن يأخذ أخاه، ولكن قال: أنتم في دينكم إذا سرق ماذا تصنعوا له؟ قالوا: إذا سرق الشخص وكُشف أنه سرق يؤخذ ويصبح رقيق؛ لأنه قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، الملك حق مصر.

لكن الله كاد ليوسف، قال: أنتم كيف تحكمون أريد أن أحكم بحكمكم؟ وهو كان يعلم، ولذلك قالوا: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [يوسف: ٧٨]، قال: لا، السارق هو من نأخذه.

وإن في هذه السورة أسلوبًا خاصًا من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشًا بأن ما يقوله القرآن هو شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ.

وكان النضر يتردد على الحيرة، فتعلم أحاديث (رستم) و (اسفنديار) من أبطال فارس؛ فكان يحدث قريشًا بذلك ويقول لهم: "أنا والله أحسن حديثًا من محمد؛ فهلم أحدثكم أحسن من حديثه".

ثم يحدثهم بأخبار الفرس؛ فكان ما في بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة؛ تحديًا لهم بالمعارضة على أنها مع ذلك قد طورت كثيرًا من القصة من كلّ ما ليس له كبير أثر في العبرة.

ولذلك ترى في خلال السورة ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]، مرتين ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، فتلك عبر من أجزاء القصة.

وما تخلل ذلك من الحكمة في أقوال الصالحين كقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

الشرح:

عمومًا هي أطول قصة في القرآن الكريم، ومثلما ذكرنا تدور حول **"الحزن وتفريج الكرب"**.

الطالب: أطول قصة متصلة؟

الشيخ: نعم.

الطالب: وقصة موسى؟

الشيخ: قصة موسى مكررة، حتى لو جمعت أي قصة من قصص موسى في جميع القرآن تجدها مكررة، لكن قصة يوسف بسطت بسطًا واحدًا في سورة واحدة، بدأ بيوسف وهو صغير إلى أن تولى الملك، فهي مبسوطة أوسع، وفيها من تفريج الكرب ورفع الحزن ونحو ذلك الدروس والعبر الكثيرة.

ننتقل إلى: (سورة الرعد).

سورة **"الرعد"** سورة مكية، والسور المكية دائمًا تدور على أمور مهمة، وهي **"توحيد الإلوهية والعبادة، إثبات أن القرآن نزل من عند الله، والإيمان بالرسول ﷺ، الإيمان باليوم الآخر"**.

هذه دائمًا تدور عليها السور المكية، وتختلف السور من التأكيد على هذه القضايا الأربع، وهذه السورة سورة الرعد أكدت على قضية القرآن الكريم؛ لأنه تكرر فيها أكثر من مرة لفظ القرآن، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: ٣١]، في آيات كثيرة أشار فيها إلى القرآن، قال: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٧]، فيها الكثير الحديث عن القرآن.

أغراض سورة الرعد

مقاصدها: أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية، والبعث، وإبطال أقوال المكذبين، فلذلك تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءًا ونهاية.

الشرح:

مقصدها: **"إثبات صدق الرسول، وتوحيد الإلهية والبعث"** الجزاء والجنة والنار، **"والرد على أقوالهم"** قال: **(وإبطال أقوال المكذبين)**.

ومهد لذلك بالتنويه بالقرآن، وأنه منزل من الله، والاستدلال على تفرده تعلى بالإلهية بدلائل خلق العالمين.

الشرح:

قال: **"دلائل خلق العالين ونظامها"** نظام خلق السماوات وما فيها من الكواكب والنجوم، وتسخيرها، في أول السورة الحديث عنها، السماوات والأرض والعرش، ثم تكلم عن الأرض، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤]، هذا الحديث عن نظام الأرض ونظام السماوات.

ونظامها الدال على انفراده بتمام العلم، والقدرة، وإدماج الامتنان؛ لما في ذلك من النعم على الناس.

الشرح:

لأنه قال: ﴿وَسَخَّرَ﴾ [الرعد: ٢]، فهذا وجه الامتنان، الوجه الأول من سورة **"الرعد"** كله حديث عن العالم العلوي والسفلي.

ثم انتقل إلى تفنيد أقوال أهل الشرك، ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديهم أن يحل بهم ما حل بأمثالهم، والتذكير بنعم الله على الناس، وإثبات أن الله هذا المستحق للعبادة دون آلهتهم، وأن الله العالم بالخفايا، وأن الأصنام لا تعلم شيئًا، ولا تنعم بنعمة.

والتهديد بالحوادث الجوية أن يكون منها عذاب للمكذبين، كما حل بالأمم قبلهم، والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار.

الشرح:

قال: **(والتهديد بالحوادث الجوية)** يعني الرعد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣]، البرق والرعد هذه حوادث جوية.

قال: **(أن يكون منها عذاب للمكذبين، كما حل بالأمم قبلهم، والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار)** قال: الدنيا متاع، وذكر يعني،، كلها واضحة.

وبيان مكابرة المشركين في اقتراحهم مجيء الآيات على نحو مقترحاتهم.

الشرح:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، وردت مرتين في السورة.

ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير، وأن الرسول ﷺ ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسل عليهم السلام من قبله، والثناء على فريق من أهل الكتب يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله، والإشارة إلى حقيقة القدر، ومظاهر المحو والإثبات، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال.

الشرح:

يعني موضوعات كثيرة تدور حول القضايا التي ذكرناها **"قضية الإلهية وتوحيد الإلهية، وما يثبت ذلك من العالم العلوي والعالم السفلي، ثم القرآن وبيان حقيقته"**، ثم **"البعث والجزاء والجنة والنار"**

و**"إثبات رسالة النبي ﷺ"** كلها تدور حول هذا، لكن أكثر شيء فيه تركيز هو **"إثبات القرآن وأنه منزل من عند الله"**، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

ننتقل إلى: (سورة إبراهيم).

سورة إبراهيم تتحدث عن أي شيء؟ تدور حول **"النعم وموقف الناس منها هل هم يشكرون أم يكفرون؟"** فالسورة في الحقيقة تتحدث عن النعم وتبين موقف الذين ينكرون بهذه النعم ويكفرون بها، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ولذلك قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

في سورة النحل لما كانت نعم من الله كثيرة؛ قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، في فرق بين هذا وهذا.

وفي قصة موسى مع قومه في ذكره لما قال: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، قال في آخرها،، سوف تأتي الآية.

أغراض سورة إبراهيم

واشتملت من الأغراض على أنها ابتدأت بالتنبيه إلى إعجاز القرآن، وبالتنويه بشأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من الضلالة، والامتنان بأن جعله بلسان العرب.

الشرح:

قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، انظر التركيز على النعمة، ثم قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فهي تدور حول النعم، وكفران النعمة من بي آدم، فهذا أكثر ما تحدثت عنه السورة، وساق الله فيها مثلين، مثل لكفران النعمة، ومثل لشكران النعمة، من الذي كفر بالنعمة ومن شكر فيها؟

الذين كفروا النعمة هم أهل مكة وقريش، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

ثم ذكر الشاكر للنعمة وهو إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولذلك في سورة **"النحل"** لا ساق الله النعم ذكر نموذجين **"من كفر بالنعمة ومن شكر"** من الذين كفروا بالنعمة؟ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]، ثم ذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، فالتدبر تجد فيه أشياء عجيبة.

وتمجيد الله تعالى الذي أنزله، ووعيد الذين كفروا به بمن أنزل عليه، وإيقاظ المعاندين بأن محمد ﷺ ما كان بدعًا من الرسل، وأن كونه بشرًا أمر غير مناف لرسالته من عند الله كغيره من الرسل، وضرب له مثلاً برسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون؛ لإصلاح حال بني إسرائيل.

وتذكيره قومه بنعم الله، ووجوب شكرها، وموعظته إياهم بما حل بقوم نوح وعاد ومن بعدهم وما لاقته رسلهم من التكذيب، وكيف كانت عاقبة المكذبين.

وإقامة الحجة على تفرد الله تعالى بالإلهية بدلائل مصنوعاته، وذكر البعث، وتحذير الكفار من تغرير قادتهم وكبرائهم بهم من كيد الشيطان، وكيف يتبرؤون منهم يوم الحشر، ووصف حالهم وحال المؤمنين يومئذٍ.

وفضل كلمة الإسلام وخبث كلمة الكفر، ثم التعجيب من حال قوم كفروا نعمة الله، وأوقعوا من تبعهم في دار البوار بالإشراك، والإيماء إلى مقابلته بحال المؤمنين، وعد بعض نعمه على الناس تفصيلاً ثم جمعها إجمالًا، ثم ذكّر الفريقين بحال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الشيخ: الفريقين من المؤمنين والكفار.

ليعلم الفريقان من هو سالك سبيل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن هو ناكب عنه من ساكني البلد الحرام.

وتحذيرهم من كفران النعمة، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل، وتثبيت النبي ﷺ بوعد النصر، وما تخلل ذلك من الأمثال، وختمت بكلمات جامعة من قوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، إلى آخرها.

الشرح:

الطالب: يا شيخ ما وجه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ﴾ [إبراهيم: ١٩]..؟

الشيخ: قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

الطالب: قول الشيطان يبين ماذا؟

الشيخ: هذه في سياق النعم، تذكير بالنعم، تسخير الشمس والقمر دائبين، والأنهار، فهذا تذكير، وأما الحديث عن إبليس وعن أهل النار فهذا تحذير للذين كفروا نعمة الله.

ننتقل إلى: (سورة الحجر).

سورة الحجر تتحدث عن **"الحفظ"** سبحان الله العظيم تكلم عن ما يتعلق بالحفظ، فالله حفظ القرآن، وحفظ السماوات من الشياطين، وحفظ الرسل، وأشياء كثيرة ستأتينا بيانها، كلها تدور حول **"الحفظ"** حتى أن الحجر وهي البيوت التي في الجبال لقوم ثمود تحفظهم من البرد، والشمس، وأشياء كثيرة.

أغراض سورة الحجر

مقاصد هذه السورة: افتتحت بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتحدي بإعجاز القرآن، وعلى التنويه بفضل القرآن وهديه.

وإنذار المشركين بندم يندمونه على عدم إسلامهم، وتوبيخهم بأنهم شغلهم عن الهدى وانغماسهم في شهواتهم، وإنذارهم بالهلاك عند حلول إبان الوعي الذي عينه الله في علمه.

وتسلية الرسول ﷺ على عدم إيمان من لم يؤمنوا، وما يقولونه في شأنه، وما يتوركون بطلبه منه، وأن تلك عادة المكذبين مع رسلهم.

وأنهم لا تجدي فيهم الآيات والنذر لو أسعفوا بمجيء آيات حسب اقتراحهم به، وأن الله حافظ كتابه من كيدهم، ثم إقامة الحجة عليهم بعظيم صنع الله، وما فيه من نعم عليهم، وذكر البعث ودلائل إمكانه.

وانتقل إلى خلق نوع الإنسان وما شرف الله به هذا النوع، وقصة كفر الشيطان، ثم ذكر قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر.

وختمت بتثبيت الرسول ﷺ وانتظار ساعة النصر، وأن يصفح عن الذين يؤذونه، ويكل أمرهم إلى الله، ويشتغل بالمؤمنين، وأن الله كافيه أعداءه.

مع ما تخلل ذلك من الاعتراض، والإدماج من ذكر خلق الجن، واستراقهم السمع، ووصف أحوال المتقين، والترغيب في المغرفة، والترهيب من العذاب.

الشرح:

يقول: **(مع ما تخلل ذلك من الاعتراض)** وما المقصود بالاعتراض؟ يقول: الإطناب التوسع في بعض الأشياء، السورة تستعرض أشياء موضوعات تخرج عنها.

هنا قال: (مع ما تخلل ذلك من الاعتراض، والإدماج) الإدماج نفس الشيء هو**"أن يدمج المتكلم غرضًا في جملة من المعاني قد نحاه ليوهم السامع أنه لم يقصده"** يعني يذكر أشياء أحيانًا تخرج عن كلامه.

لعل نقف عند سورة **"النحل"** إن شاء الله يأتي الكلام بإذن الله عن بقية هذه، الحقيقة أن الكتاب مهم جدًا ومفيد في بابه، وهو يتعرض إلى أغراض السورة والتدبر فيها، وما تحتوي هذه السور من موضوعات جميلة.

نقف عند هذا القدر وإن شاء الله نستكمل ما تبقى من الكتاب في لقاءات قادمة بإذن الله.

الله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك وهذا اليوم يوم الأربعاء الموافق ٢ من شهر ربيع الأول، من عام ١٤٤٤هـ.

أغراض سورة النحل

أغراض هذه السورة: معظم ما اشتملت عليه السورة إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية.

أغراض سورة الإسراء

أعطى محمد ﷺ من الفضائل أفضل مما أعطي على من قبله.

وأنه أكمل له الفضائل؛ فلم يفته منها فائت؛ فمن أجل ذلك أحله بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل؛ فلم يستأثرهم بالحلول بذلك المكان الذي هو مهبط الشريعة الموسوية، ورمزُ أطوار تاريخ بني إسرائيل وأسلافهم، والذي هو نظير المسجد الحرام في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم كما سننبه عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

فأحل الله به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن هجر وخرب؛ وإيماءً إلى أن أمته تجدد مجده، وأن الله مكنه من حرمي النبوة والشريعة؛ فالمسجد الأقصى لم يكن معمورًا حين نزول هذه السورة، وإنما عمرت كنائس حوله، وأن بني إسرائيل لم يحفظوا حرمة المسجد الأقصى؛ فكان إفسادهم سببًا في تسلط أعدائهم عليهم، وخراب المسجد الأقصى.

وفي ذلك رمز إلى أن إعادة المسجد الأقصى ستكون على يد أمة هذا الرسول الذي أنكروه رسالته.

ثم إثبات دلائل تفرد الله بالإلهية، والاستدلال بآية الليل والنهار، وما فيهما من المنن على إثبات الوحدانية.

والتذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم، وترك شكر غيره، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

وإظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علمه الله المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه ومعاملة بعضهم مع بعض، والحكمة في سيرتهم وأقوالهم، ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم.

وعن ابن عباس أنه قال: «التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل».

وفي رواية عنه: «ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى».

الشرح:

هو يقصد الوصايا العشر، منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وبعدها: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، هذه الوصايا العشر قيل: إنها كانت في التوراة.

أي من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

يعني بالتوراة الألواح المشتملة على الوصايا العشر، وليس مراده أن القرآن حكى ما في التوراة، ولكنها أحكام قرآنية موافقة لما في التوراة.

على أن كلام ابن عباس معناه: أن ما في الألواح مذكور في تلك الآي، ولا يريد أنهما سواء؛ لأن تلك الآيات تزيد بأحكام، منها قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٥]، إلى قوله: ﴿لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، مع ما تخلل ذلك كله من تفصيل، وتبيين عريت منه الوصايا العشر التي كتبت في الألواح، وإثبات البعث والجزاء.

والحث على إقامة الصلوات في أوقاتها، والتحذير من نزغ الشيطان، وعداوته لآدم وذريته، وقصة إبايته من السجود، والإنذار بعذاب الآخرة، وذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك.

وتهديد المشركين بأن الله يوشك أن ينصر الإسلام على باطلهم، وما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين واستعانتهم باليهود، واقتراحهم الآيات، وتحميقهم في جهلهم بآية القرآن وأنه الحق.

وتخلل ذلك من المستطردات والنذر والعظات ما فيه شفاء ورحمة، ومن الأمثال ما هو علم وحكمة.

الشرح:

بشكل عام سورة **"الإسراء"** في الحقيقة هي تدور حول **"القرآن"** تدور حول **"معجزة القرآن"** وبين عظمة هذا القرآن، في آيات كثيرة تجد أن كلمة **"القرآن"** في سورة **"الإسراء"** وردت أكثر من غيرها من السور، تجد كلمة **"القرآن"** تتكرر.

في قوله تعالى في أولها: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وفي آخرها: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

جاءت آيات كثيرة تنص على كلمة القرآن فيها، فهي تدور على **"معجزة القرآن"** وقدم الله قبلها معجزة الإسراء والمعراج؛ لأن معجزة الإسراء والمعراج معجزة حسية مشاهدة، ونقلها النبي ﷺ لهم، وأخبر بها المشركين فرفضوها ولم يقبلوها، مع أنهم دائمًا هم يقولون: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

فأعطاه الله الآية أنه نقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعُرج به إلى السماء ثم عاد قبل طلوع الفجر في وقت وجيز جدًا، حصل له كله وهم يعني يقولون: **"تُضرب أكباد الإبل من مكة إلى المسجد الأقصى أو إلى فلسطين تأخذ أشهر فكيف تقضيها أنت في ليلة؟"** فهذه معجزة أمامهم مشاهدة، ومع ذلك لم يؤمنوا.

فهي أكدت على قضية القرآن، يتخللها موضوعات أخرى كثيرة ووصايا وكذا، وبلا شك أن السورة تمر فيها موضوعات كثيرة.

أغراض سورة الكهف

أغراض السورة: افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن؛ تطاولًا من الله تعالى على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب.

وأدمج فيه إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدًا، وبشارة للمؤمنين، وتسلية رسول الله ﷺ عن أقوالهم حين تريث الوحي لما اقتضته سنة الله مع أوليائه من إظهار عتبه على الغفلة عن مراعاة الآداب الكاملة.

وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا وزينتها، وأنها لا تكسب النفوس تزكية، وانتقل إلى خبر أصحاب الكهف المسئول عنه، وحذرهم من الشيطان وعداوته لنبي آدم؛ ليكونوا على حذر من كيده.

وقدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها، وهي قصة موسى والخضر عليهما السلام؛ لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف؛ فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج في طلب العلم.

وفي ذكر قصة موسى تعريض بأحبار بني إسرائيل؛ إذ تهمموا بخبر ملك من غير قومهم، ولا من أهل دينهم، ونسوا خبرًا من سيرة نبيهم.

وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي ﷺ وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحاب الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها، وما يعقبها من البعث والحشر، والتذكير بعواقب الأمم المكذبة للرسل، وما ختمت به من إبطال الشرك ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى.

وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ فكان في هذا الختام محسن رد العجز على الصدر.

الشرح:

سورة **"الكهف"** هي تدور الحقيقة على **"الفتن"** وكيف يسلم الإنسان من الفتن؟ ونحن نعرف أن أعظم الفتن فتنة المسيح الدجال، والنبي ﷺ أرشد الأمة إلى أن من أسباب عصمة الإنسان من المسيح الدجال قراءة سورة الكهف، أو حفظ الآيات العشر من أولها أو آخرها.

لكن تلاحظ أن السورة تدور حول فتن أربعة، فتنة الدين في أصحاب الكهف، وفتنة المال في صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى، وفتنة السلطة في ذي القرنين، فهي تدور حول أربع فتن عظيمة، وهي أعظم فتن الدنيا.

فهي تدور حول الفتن، ولذلك سميت **"الكهف"** كأنها حسن ووقاية من الوقوع في الفتن، ولذلك أرشد النبي ﷺ لقراءتها كلّ جمعة حتى يكون الإنسان له نور من الجمعة إلى الجمعة، وحفظ وحصن له.

وما ذكر المؤلف بعد ذلك من تخلل موضوعات كثيرة بلا شك أن كلّ السور فيها موضوعات كثيرة، لكنها تدور على أربع موضوعات أساسية.

أغراض سورة مريم

أغراض السورة: ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران، وقداستهم في الخير "وهل ينبت الخطي إلا وشيجه".

الشرح:

هذا بيت شعر:

وهـل ينبـت الخطـي إلا وشـيجه وتنبـت إلا في منابتهـا النخـل

قصده: أن "مريم" نبتت في بيت صالح فكيف تتهمونها؟! وهم الذين يقولون: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، فهم ينزهونها ثم يتهمونها، وهذا تناقض منهم.

ثم التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم، والإنحناء على بعض خلفهم من ذرياتهم الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين، وأتوا بفاحش من القول؛ إذ نسبوا لله ولدًا، وأنكر المشركون منهم البعث وأثبت النصارى ولدًا لله تعالى.

والتنويه بشأن القرآن في تبشيره ونذارته، وأن الله يسره بكونه عربيًا ليسر تلك اللغة.

الشرح:

قوله: (ليسر تلك اللغة) يعني لكون اللغة يسيرة يسر القرآن، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

والإنذار مما حل بالمكذبين من الأمم من الاستئصال، واشتملت على كرامة زكريا؛ إذ أجاب الله دعاءه، فرزقه ولدًا على الكبر وعقر امرأته.

وكرامة مريم بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها، وهو إرهاص لنبوءة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومثله كلامه في المهد، والتنويه بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام.

ووصف الجنة وأهلها، وحكاية إنكار المشركين البعث بمقالة أبي بن خلف، والعاصي بن وائل وتبجحهم على المسلمين بمقامهم ومجامعهم، وإنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها.

ووعد الرسول النصر على أعدائه، وذكر ضرب من كفرهم بنسبة الولد لله تعالى، والتنويه بالقرآن، ولملته العربية، وأنه بشير لأوليائه، ونذير بهلاك معانديه كما هلكت قرون قبلهم.

وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشر مرة.

الشيخ: قصده اسم "الرحمن"، "الرحمن" تكرر فيه ست عشر مرة.

وذكر اسم الرحمن أربع مرات.

الشيخ: هو عكس، يقول: (وقد تكرر في السورة صفة الرحمن) هي اسم الرحمن وصفة الرحمن، ثم قال: (وذكر اسم الرحمن) وما هو اسم الرحمن؛ بل صفة الرحمن (أربع مرات).

فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشتركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ووقع في هذه السورة استطرادًا بآية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

الشرح:

الآن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ **"ابن عاشور"** يفصل في الأغراض، ويذكرها كأنه يمشي على السورة آية آية، هي في الحقيقة سورة **"مريم"** إذا تأملتها تأمل جيدًا وجدت أن مقصد السورة هو مقصد **"الرحمة، وضعف الإنسان وحاجته، وغنى الله عَزَّ وَجَلَّ وعدم احتياجه للخلق"** السورة تدور حول هذا المعنى.

فذكر الله ضعف زكريا واحتياجه للولد، ومريم وولادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر أيضًا إبراهيم وأنباؤه، كله يدور حول احتياج البشر للذرية، وأن الله غني، ورحمة الله فوق ذلك كله، وان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غني عن اتخاذ الولد، ولذلك في آخر السورة أكد الله على قضية اتخاذ الولد، وأن قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩١].

فنزه نفسه عن اتخاذ الولد، ثم بعد ذلك تأتي قضية الموضوعات الأخرى، يعني مما يتكلم عليه دائمًا السور المكية من **"تقرير التوحيد، وتقرير الرسالة، وتقرير القرآن، وتقرير نبوة محمد، واليوم الآخر، والبعث والجزاء"** هذا تدور عليه السور المكية في الغالب.

لعلنا نقف عند هذا القدر وإن شاء الله نستكمل، وصلنا الآن إلى نصف القرآن، وإن شاء الله نستكمل في اللقاء القادم ما توقفنا عنده.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك وفي هذا اليوم يوم الأربعاء الموافق ٩ من شهر ربيع الأول، من عام ١٤٤٤ هـ الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب يتعلق بأغراض السور من خلال (التحرير والتنوير) لـ "ابن عاشور" رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

"ابن عاشور" كَتَبَ تفسيره (التحرير والتنوير) وأجاد فيه وتوسعه، وتفسيره يغلب عليه التفسير البلاغي، واهتمامه بالأوجه البلاغية القرآنية، وكان رَحِمَهُ اللهُ يقدم في كلّ سورة مقدمة تعريف بالسورة.

ومن الأمور التي كان يتكلم عنها في مقدمته ما تجتمع عليه السورة من موضوعات ومن أغراض، فجمعت هذه الأغراض في كتاب مستقل، وقرأنا في هذا الكتاب لنتعرف على أغراض السور، والآن وصلنا إلى سورة **"طه"**.

أغراض سورة طه

أغراضها: احتوت من الأغراض على: التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها.

والتنويه بأنه تنزيل من الله لهدي القابلين للهداية؛ فأكثروا في هذا الشأن.

والتنويه بعظمة الله تعالى وإثبات رسالة محمد ﷺ بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس، فضرب المثل لنزول القرآن على محمد ﷺ بكلام الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبسط نشأة موسى، وتأييد الله إياه، ونصره على فرعون بالحجة والمعجزات، وبصرف كيد فرعون عه وعن أتباعه، وإنجاء الله موسى وقومه، وغرق فرعون، وما أكرم الله به بني إسرائيل في خروجهم من بلد القبط، وقصة السامري وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل في مغيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكلّ ذلك تعريض بأن مآل بعثة محمد ﷺ صائر إلى ما صارت إليه بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من النصر على معانديه؛ فلذلك انتقل من ذلك إلى وعيد من أعرضوا عن القرآن ولم تنفعهم أمثاله ومواعظه.

وتذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم، ورتب على ذلك سوء الجزاء في الآخرة لمن جعلوا مقادتهم بيد الشيطان وإنذارهم بسوء العقاب في الدنيا.

وتسلية النبي ﷺ على ما يقولونه وتثبيته على الدين، وتخلل ذلك إثبات البعث وتهويل يوم القيامة وما يتقدمه من الحوادث والأهوال.

الشرح:

هذا ما ذكره رَحِمَهُ اللهُ في موضوع **"أغراض سورة طه"** يعني الموضوعات التي تحدثت عنها سورة **"طه"** قد فصل فيها تفصيلاً دقيقًا أنها مفتتحة بفواتح السورة، مفتتحة بالحروف المقطعة التي فيها التحدي بالقرآن، والتنويه بأنه منزل من عند الله، وتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم بعد ذلك بسط الكلام عن قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ نشأة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والحديث عن نشأة موسى وولادته ثم رسالة موسى إلى فرعون، وموقف فرعون من رسالة موسى، والإتيان بالسحرة، وموقف السحرة من معجزة موسى، وإيمانهم وتصديقهم بموسى.

ثم بعد ذلك إغراق فرعون، ثم بعد ذلك الحديث عن بني إسرائيل بعد إنجائهم، والحديث عن السامري وما اتخذ لهم من العجل عبادة من دون الله، ثم الحديث يعود مرة أخرى في توجيهات لأهل مكة إلى آخر السورة، وقصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كلّ هذا تكلم عنه المؤلف.

لكن إذا أردنا أن نتصور سورة **"طه"** تصورًا دقيقًا في أصل موضوعها، ومقصد السورة وهدفها الأساس هو بيان أن السعادة في القرآن الكريم، وأن الشقاوة في البعد عن القرآن الكريم.

ولذلك تلاحظ في أول السورة قال: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، بل لتسعد، وقال في آخر القصة في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

الشقاوة هي **"البعد عن منهج الله، وعن القرآن"** والسعادة الحقيقية وانشراح الصدر في الإقبال على هذا القرآن، ولهذا عظم الله القرآن، ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۝٣ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٢ - ٥].

فعظم القرآن، وبيّن أن موسى احتاج إلى السعادة، واحتاج إلى انشراح الصدر فدعا ربه، وليس له وسيلة بالنسبة لموسى إلا الدعوة، ولكن أمة محمد ﷺ وفي مقدمتهم رسولهم محمد ﷺ انشراح الصدر والسعادة هي في القرآن الكريم.

ولذلك كلّ السورة تدور حو بيان القرآن الكريم والسعادة في التمسك به، ولذلك ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

ثم تأتي هذه الآيات بعد ذلك في السورة كلها تدور هذا الغرض الأساس وهو السعادة والشقاوة.

أغراض سورة الأنبياء

أغراض السورة: والأغراض التي ذكرت في هذه السورة هي: الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه، وإنه لتحقق وقوعه كان قريبًا، وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم، وخلق الموجودات من الماء، التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله.

والتذكير بأن هذا الرسول ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله، وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.

والتنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين، وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.

والتذكير بما أصاب الأمم السالفة من جزاء تكذيبهم رسلهم، وأن وعد الله للذين كذبوا واقع، ولا يغرهم تأخيره فهوجاء لا محالة، وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.

وذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم، لتجزى كلّ نفس بما كسبت، وينتصر الحق على الباطل.

ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق؛ إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة، وتنزيه الله تعالى عن الشركاء، وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وما يكره على فعل ما لا يريد، وأن جميع لمخلوقات صائرون إلى الفناء، وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.

ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء، وتنظير أحوالهم وحال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم، وأن الرسل كلهم جاؤوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعًا.

وأثنى على الرسل، على من آمنوا بهم، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق، ويعين رسله على تبليغ شرعه.

الشرح:

فيا يتعلق بسورة **"الأنبياء"** هي سورة مكية، نزلت بمكة، السور المكية غالبًا تدور موضوعاتها حول **"القرآن الكريم، وحول الرسالة، وحول توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وحول البعث، وإثبات وتقرير البعث"**.

لكن السورة هنا جاءت بأغراض مهمة جدًا وهي في الحقيقة إذا نظرنا فيها أنها تتحدث عن الأنبياء، يعني ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة **"الأنبياء"** ستة عشر نبيًا، يعني في سورة **"الأنعام"** ذكر الله فيها ثمانية عشر نبينًا، ولكن سردًا بأسمائهم، وهنا ذكر ستة عشر نبيًا توسع في الحديث عنهم.

وكلّ هذا يدور حول ماذا؟ على **"إثبات رسالة محمد** ﷺ**"** والرد على المشركين بأن محمد سبقه رسله وجاء قبله رسل، فليس هو بدعًا من الرسل، ليس هذا الأمر جديد حتى تعترضون عليه، وإنما هو مثل الرسل، وهو مخلوق يعني من بني آدم مثلما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

فكلهم على هذا المنهج، لكن العجيب كما ذكر بعض المعاصرين لفتة جميلة في ذكر الأنبياء، وإن كانت السورة سيقت في ذكر الأنبياء للتنويه بذكر أخبار الأنبياء والرسل وذكر مواقفهم؛ إلا أنك تجد أكثر مواقفهم هي ضعفهم، واحتياجهم لرب العالمين.

فـ **"نوح"** عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، و**"أيوب"** عَلَيْهِ السَّلَامُ ينادي: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، و**"يونس"** ينادي في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، و**"زكريا"** ينادي ربه ألا يدعه فردًا.

فكلهم جاؤوا في سياق الضعف، حتى إن إبراهيم يُلقى في النار فيحتاج إلى رب العالمين، فينجيه الله من النار، يعني كلها سياقات تدل على أنه مع أن الله أعطاهم من الكرامات، وأعطاهم من المعجزات، ونوه بشأنهم ورفع قدرهم، إلا أنه يدل على ضعف الإنسان وأنه بشر وأنه محتاج إلى رب العالمين.

السورة تدور حول هذا الأمر والمؤلف ذكر أغراضًا كثيرة كلها تدور على ما تمر به هذه الآيات؛ حتى في ذكر الملائكة مع أنهم ملائكة خلقهم الله لعبادته وتعظيمه وتسبيحه وتقديسه، إلا أن الله شدد في

أمر الملائكة وقال: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

أغراض سورة الحج

ومن أغراض هذه السورة: خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، والاستدلال على نفي الشرك، وخطاب المشركين بأن يُقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلهية، وعن المجادلة في ذلك؛ اتباعًا لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئًا، ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة.

وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم وأنهم يُعرضون عن الحجة ليضلوا الناس.

وأنهم يرتابون في البعث وهو ثابت لا ريبة فيه، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة؟ ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب، ثم من نطفة ثم وطوره أطوارًا.

وأن الله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتحيى، وتخرج من أصناف النبات؛ فالله هو القادر على كلّ ذلك؛ فهو يحيي الموتى، وهو على كلّ شيء قدير.

وأن مجادلتهم بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ووصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام.

والتعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ينتمون إليه، ويحسبون أنهم حماة دينه، وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين، وتذكير لهم بما من الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع؛ فكفروا بنعمته.

وتنظيرهم في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فيحل بهم العذاب.

وأنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله؛ فلا يغرهم تأخير العذاب؛ فإنه إملاء من الله لهم كما أملى للأمم من قبلهم، وفي ذلك تأنيس للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.

وأن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال أمر به افترق الناس إلى ملل كثيرة، وأن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم لمشاهدة جزاء أهل الهدى وجزاء أهل الضلال.

وأن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله؛ فكان لكل فريق جزاؤه، وسلى الله رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمؤمنين بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل، ولكن الله يحكم دينه، ويبطل ما يلقي الشيطان، فلذلك ترى الكافرين يعرضون، وينكرون آيات القرآن.

وفيها التنويه بالقرآن والمتلقين له بخشية وصبر، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن، وبغض المرسل به، والثناء على المؤمنين، وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية وسماهم المسلمين.

والإذن للمسلمين بالقتال، وضمان النصر، والتمكين في الأرض لهم، وختمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وان الله اصطفى خلقًا من الملائكة ومن الناس؛ فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى، وأن الله هو مولاهم وناصرهم.

الشرح:

هذه سورة **"الحج"**، سورة **"الحج"** من أعاجيب سور القرآن الكريم؛ حتى قال بعض السلف: **"هي من أعاجيب سور القرآن الكريم"** فيها المكي، وفيا المدني، وفيها الصيف، وفيها الشتاء، وفيها الليل، وفيها النهار، وفيها السفر، وفيها الحضر، فيها أنواع النزولات كلها، وفيها أيضًا أحوال الناس.

تحدثت عن أحوال الناس، تحدثت عن المنافقين، وعن المؤمنين، وعن الكفار، وعن أهل الكتاب، وعن المشركين، وعن الصابئين، وعن المجوس، فيها موضوعات عجيبة، ولكن المتأمل للسورة الذي يقرأها بتأنٍ ويقرأها بتدبر ويتأمل فيها يجد السورة انقسمت قسمين.

✍ **ولقد اختلف العلماء في نوع السورة هل هي مكية أم مدنية؟**

والاختلاف قوي جدًا، والذي يظهر والله أعلم أن السورة تعد من أواخر ما نزل بمكة، ومن أوائل ما نزل بالمدينة، فهي على قسمين: **"مكي ومدني"** ولذلك الحقيقة هي تتحدث.

في الأصل إذا أردنا أن نصل إلى موضوع السورة الحقيقي فهي انقسمت قسمين:

القسم الأول: قسم يسمى القسم المكي وهو الحديث عن البعث والجزاء والحساب، بعث الناس وإخراجهم من قبورهم، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، فتحدثت الآية عن **"الساعة، وعن خروج الناس من قبورهم، وبيان قدرة الله على ذلك، وأنه لا يعجزه شيء"**.

وضرب لنا دليلين أو أتى بدليلين من المشاهدة ومن الحس، ومما لا يمكن لأي إنسان، ، يعني دليلين عقليين لا يمكن لأي إنسان أن ينكر ذلك:

الدليل الأول: الخلق الأول، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، فكيف تنكر البعث ولا تنكر الخلق الأول؟! من الذي خلقك أولًا؟ هو الله، من الذي سيعيدك؟ هو الله، لماذا أنت لا تؤمن بالإعادة وتؤمن بالنشأة، فالذي يؤمن بالنشأة يجب عليه أن يؤمن بالإعادة ما في الفرق.

ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، هذا الدليل الأول العقلي.

الدليل الثاني: دليل خلق النبات، أنزل من السماء ماء، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، ترى الأرض هامدة مغبرة، قاحلة وليس فيها نبات، ينزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليها من السماء ماء فتنبت، فتنبت الزرع والخضار والمنظر الجميل؛ فالذي أحياها هو الذي يحيي الموتى ولا فرق.

فتحدث القسم الأول في السورة عن موضوع أو نقول القسم المكي عن موضوع **"البعث، واليوم الآخر، وخلق الناس، وإعادتهم"** ولذلك تجد في آخر السورة الحديث مرة أخرى عن البعث.

والقسم الثاني يتحدث عن موضوع من موضوعات السور المدنية وهو **"الكلام عن الحج"** وعن فريضة الحج، وأنه ركن من أركان الإسلام، وكلّ الحديث عن الحج ثم عن الجهاد، نجد الرابط بين هذه الأمور الثلاثة **"البعث، والحج، والجهاد"** أن الحج نوع من البعث، أو تشبيه الحج بالبعث، الناس يخرجون متجردين من الدنيا عليهم لباس واحد، يقفون في مكان واحد، ينتظرون التحرك يتحركون من مكان إلى مكان، من عرفات، من مزدلفة، ومن منى، كلّ هذا يذكرك باليوم الآخر بالحشر.

ونعتبر صعيد عرفات كموقف يوم القيامة، ثم الجهاد، والجهاد والحج قرينان، هذا ما تتحدث عنه السورة، ثم تأتي تفصيلات أخرى دقيقة ذكرها المؤلف فيما يتخلل هذا الموضوع الأساس.

أغراض سورة المؤمنون

أغراض السورة: هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية، وإبطال الشرك، ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه.

فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلو به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس، واستقامة السلوك، وأُعقب ذلك بوصف خلق الإنسان أصله، ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية؛ لتفرده بخلق الإنسان، ونشأته؛ ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكون ذاته، ثم بعدمه بعد الحياة، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات، وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبًا.

وانتقل إلى الاعتبار بخلق السماوات، ودلالته على حكمة الله تعالى، وإلى الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات، وما في ذلك من دقائق الصنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحمل.

ومن تسخير المنافع للناس، وما أتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر، وورد ذكر الحمل على الفلك؛ فكان منه تخلص إلى بعثة نوح، وحدث الطوفان.

وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدي والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح، وما تلقاها به أقوامهم من الأعراض والطعن والتفرق، وما كان من عقاب المكذبين، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا.

وبتنبيه المشركين على أن حالهم مماثل لأحوال الأمم الغابرة، وكلمتهم واحدة، فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية المكذبة.

وقد أراهم الله مخائل العذاب لعلهم يقلعون عن العناد، فأصروا على إشراكهم بما ألقى الشيطان في عقولهم.

وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية، ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت، وفي يوم القيامة.

وبأنهم عرفوا الرسول، وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله؛ فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة، ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق.

وما تخل ذلك من جوامع الكلم، وختمت بأمر النبي ﷺ أن يغض عن سوء معاملتهم، ويدفعها بالتي هي أحسن، ويسأل المغفرة للمؤمنين، وذلك هو الفلاح الذي ابتدأت به السورة.

الشرح:

هذه السورة سورة **"المؤمنون"** ظاهر موضوعها متعلق بعنوانها، فهي تتحدث عن **"المؤمنين"** وعن **"صفات المؤمنين"** في آياتها العشر الأول التي نزلت دفعة واحدة في صفات المؤمنين، ثم قابلت ذلك بصفات الكافرين المعاندين، وساقت عددًا من الأمم التي كفرت ولم تقبل الحق وكان مآلها إلى الهلاك، فذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بتفصيل دقيق ثم قصة عاد، قيل: إنهم قوم عاد، وقيل: إنهم قوم ثمود.

ثم الحديث عن موسى وهارون عليهما السلام، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم بعد ذلك بدأت تبين بعض أوصاف المؤمنين المتقين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧، ٦١]، إلى آخر ما ذكر الله من صفات المؤمنين.

ثم مخاطبة ومناقشة المشركين في توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وإقرارهم بتوحيد الربوبية، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، ثم تعود السورة بذكر المؤمنين، والتنويه بشأنهم وأنهم هم الفائزون، كما أنهم هم المفلحون فهم الفائزون.

فهذه السورة تدور حول **"صفات المؤمنين وما يقابل المؤمنين من صفات الكفار"**.

لعلنا نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في اللقاء القادم نواصل بقية أغراض السور بإذن الله.

نسأل الله أن يبارك لنا ولكم، وأن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، والله أعلم.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في الكتاب الثاني وهو كتاب (أغراض السور) من تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) هذا اليوم هو اليوم ١٦ من شهر ربيع الأول، من عام ١٤٤٤ هـ، قرأنا في هذا الكتاب ووصلنا إلى سورة "النور".

أغراض سورة النور

شملت من الأغراض كثيرًا من أحكام معاشرة الرجال للنساء، ومن آداب الخلطة والزيارة، وأول ما نزلت بسببه قضية التزوج بامرأة اشتهرت بالزنا، وصدر ذلك ببيان حد الزنا، وعقاب الذين يقذفون المحصنات، وحكم اللعان، والتعرض إلى براءة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مما أرجفه عليها أهل النفاق، وعقابهم، والذين شاركوهم في التحدث به.

والزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات، والأمر بالصفح عن الأذى مع الإشارة إلى قضية مسطح بن أثاثة، وأحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة، ودخول البيوت غير المسكونة، وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة، وإفشاء السلام.

والتحريض على تزويج العبيد والإماء، والتحريض على مكاتبتهم، أي إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم.

وتحريم البغاء الذي كان شائعًا في الجاهلية، والأمر بالعفاف، وذم أحوال أهل النفاق، والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي ﷺ.

والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان، وضرب المثل لهدي الإيمان، وضلال الكفر، والتنويه ببيوت العبادة والقائمين فيها، وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى، وبدائع مصنوعاته، وما فيها من منن على الناس، وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين، وأن الله علم بما يضمره كلّ أحد، وأن المرجع إليه، والجزاء بيده.

الشرح:

هذا ما ذكره المؤلف **"ابن عاشور"** رَحِمَهُ اللهُ في أغراض سورة **"النور"** واختصر الأمر واختصاره واضح جدًا، وكأنه اقتصر على نصف السورة، يعني هو بدأ ببيان ما تشتمل عليه السورة في آياتها الأول، واستمر إلى أن وصل يعني بدائع صنع الله وهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [النور: ٤١]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ [النور: ٤٥]، إلى هنا.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]، بعد هذه الآيات جاء الحديث عن أهل النفاق، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ [النور: ٤٧]، ومواقفهم من حكم الله، ومن طاعة الله، ثم بيّن الله ما يقابلهم وهم المؤمنون لما قال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢]، ثم عاد إلى أهل النفاق فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النور: ٥٣].

ثم بعدها جاءت تستكمل بعض الأحكام التي مرت، مثل الاستئذان في بعض الأوقات الثلاثة، ثم جاءت آيات أخرى تعقب على الحجاب والقواعد من النساء، ثم التنويه بمكانة النبي ﷺ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، تعظيم الرسول.

عمومًا سورة **"النور"** يسميها بعض العلماء سورة **"الحياء، والحشمة، والأخلاق، والفضيلة"** وهي حراسة الفضيلة، سورة تحرس الفضيلة، وتحرس العفة، وتبعد الناس عن الوقوع فيما يخالف ذلك من الرذائل والوقوع في الفواحش.

والسورة في الحقيقة إذا تأملت وإذا كانت نزلت لسبب معين وهو ما جرى لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أو ما اتهم المنافقون عائشة الصديقة البريئة بحادثة الإفك ما حصل من ذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيّن

براءتها، وأن هذا إفكٌ جاء به المنافقون، وحذر المؤمنين ووعظهم أشد الوعظ وقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي بإخوانهم، يعني تظن بأخيك خيرًا.

ولذلك زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين مع أنها تسامي عائشة، يعني تنافس عائشة، لما دخل عليها النبي ﷺ قال: «**الناس يتكلمون، ماذا تقولين في عائشة؟ قالت: أحفظ سمعي وبصري لا أقول فيها إلا خيرًا**»، أو قالت: «**أحفظ سمعي ولساني لا أقول فيها إلا خيرًا**»، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **"فسلمت ونجت مما وقع فيه الأفاكون أو الذين تأثروا بالإفك"**.

الشاهد من الكلام: أن السورة في الحقيقة هي تتحدث عن **"حراسة الفضيلة"** وتتحدث عن **"الأسباب الواقية للمجتمع المسلم من الوقوع في الفاحشة"**.

وأنا درست نصف هذه السورة واستخرجت منها خمس عشرة وسيلة من الوسائل الواقية من الوقوع في الفاحشة، لو تكتب الآن يطلع لك كتاب وكتاب مطبوع (الوسائل الواقية من الوقوع في الفاحشة) وطبع الكتاب، استخرجت خمس عشرة وسيلة من هذه السورة.

فالسورة تدور حول هذا الأمر وهو: **"أن السورة تحمي المجتمع من الانزلاق في الفواحش والرذائل"** ومن أخذ بهذه الوسائل نجا، ومن أخل بشيء منها سقط في الرذيلة، فالمرأة أمرت بأي شيء؟ بالحجاب، والزواج، وعدم الاختلاط، لا تدخل بيوتًا، والرجل كذلك أمر بغض البصر وحفظ الفرج، حتى المرأة لا يجوز لها أن تضرب بالأرض ليسمع الخلخال أو الذهب أو الحلي.

فأغلقت أبواب الفتنة كلها، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، بيوت الدعاة لا تجوز، أغلق الله عَزَّ وَجَلَّ كلّ شيء، وأمر بالزواج؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، الشاهد أن السورة تتحدث عن هذا الموضوع، فهي تدور حول هذا الشيء.

أغراض سورة الفرقان

واشتملت هذه السورة على الابتداء بتحميد الله تعالى وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها.

وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه، وإرشاده إلى اتقاء المالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ.

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب.

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذٍ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول، وعلى إشراكهم، واتباع أئمة كفرهم.

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى، وافتتحت في آيات كلّ دعامة من هذه الثلاثة بجملة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ [الفرقان: ١] .. الخ.

وقال الطيبي: مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وذكر بدائع من صنه تعالى جميعًا بين الاستدلال والتذكير، وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته، ومقاومته الكافرين، وضرب الأمثال للحالتين ببعثة الرسل السابقين، وما لقوا من أقوامهم مثل قوم موسى، وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرسل وقوم لوط.

والتوكل على الله، والثناء على المؤمنين به، ومدح خصالهم ومزايا أخلاقهم، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين.

الشرح:

هذه سورة **"الفرقان"** سورة **"الفرقان"** إذا تأملتها وجدتها الحقيقة تتحدث عن القرآن، بعنوانها واسمها، اسم السورة **"الفرقان"** والفرقان هو القرآن.

أسماء القرآن أربعة: **"القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر"** وأما صفاته فهي كثيرة جدًا، **"بيان، وهدى، وموعظة، ونور"** إلى آخره، هذه صفات.

من أسمائه **"الفرقان"** والسورة تدور حول بيان حقيقة القرآن وأنه كلام الله وأنه منزل من عند الله، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

كلها تدور حول القرآن، ولذلك جاء في ثناياها التأكيد على القرآن، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

فهي تدور حول قضية القرآن، وإثباته أنه كلام الله، وأنه منزل، وبعد ذلك تأتي الأمور الأخرى التي هي تعالج القضايا المكية، أو قضايا ما قبل الهجرة، وهي معالجة قضايا الشرك بالله، والكفر بالله، والتأكيد على وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتأكيد على عبادة الله وانفراده بالعبادة.

والحديث عن اليوم الآخر، جاء فيها كلام عن اليوم الآخر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢١، ٢٢] ..الخ.

جاء الحديث عن اليوم الآخر بإشارات، إشارات إلى اليوم الآخر، وكذلك الحديث عن الرسول ﷺ وعن القرآن وعن البعث، كلها تدور حول هذه القضايا.

المؤلف أشار إلى أنها على دعائم ثلاث:

١. القرآن.

٢. ووحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣. وإثبات البعث والجزاء.

هذه السور المكية، وبعدها تأتي سورة **"الشعراء"** وسورة **"النمل"** كلّ سورة لها أغراض، لها هدف، لها غاية، لها مقصد، وهذا مما يعين على تدبر القرآن، إذا عرفت السورة، وأين مقاصدها؟ وعرفت أغراضها، وأهداف السورة، هذا يعينك على فهم السورة ككل.

نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده، والله أعلم.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، الكتاب الذي بين أيدينا هو يتحدث عن أغراض السور، وهو مستل من كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور. ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ له كتاب ضخم في التفسير اسمه التحرير والتنوير، هذا خُذ أُخذ منه اللي هي أغراض السور فقط. قرأنا فيه في موا في يعني في جلسات ماضية، وقفنا عند سورة الشعراء، الآن نستكمل ما وقفنا عنده من الشعراء.

أغراض سورة الشعراء

الأغراض التي اشتملت عليها أولها التنويه بالقرآن والتعريض بعجزهم عن معارضته، وتسلية النبي ﷺ على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن، وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب الأمثال لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها والمعرضة عن آيات الله.

وأحسب أنها نزلت أثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول ﷺ بخوارق، فافتتحت بتسلية النبي ﷺ وتثبيت له ورباطة لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

ولذلك خُتم كل استدلال جيء به عن المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨-٩] تسجيلاً عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم.

وقال في الكشاف: "كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تُختم بما اختُتمت بها صاحبتها، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طُرقت بها آذانٌ وقُرت عن الإنصات للحق فكوثرت بالموعظة والتذكير، ورجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح آذاناً أو يفتق ذهناً".

ثم التنويه بالقرآن وشهادة أهل الكتاب له والرد على مطاعنهم في القرآن وجعله عِضين، وأنه منزه عن أن يكون شعراً ومن أقوال الشياطين، وأمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ وما تخلل ذلك من دلائل، انتهى كلامه).

الشرح:

يعني سورة الشعراء يريد أن يبين لنا أغراض هذه السورة، السورة طويلة جداً واشتملت على آيات كثيرة وعلى موضوعات كثيرة، فهو يريد أن يبرز لنا موضوعات هذه السورة وأغراض هذه السورة، فيقول يعني أن السورة ابتدأت أولاً بالتنويه بالقرآن وبيان عظمة القرآن ومقام القرآن ومكانة القرآن، ثم بعد ذلك بيّن موقف المشركين ومعارضتهم للقرآن ومعارضتهم بالرسالة وعدم قبولهم للحق.

فجاءت السورة بتهديد شديد في عرض هذه القصص السبع: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، سبعة أنبياء ذُكروا في هذه السورة، ثم خُتمت السورة بموقف أهل الكتاب في أنهم يقرون بدعوته ويعترفون به.

كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، فذكرت الآيات الإشارة إلى بني إسرائيل.

فهذه السورة، والحقيقة السورة تُسمى سورة الشعراء، والشعراء عُرفوا باشتهارهم وافتخارهم ويعني وسماع الناس لهم، قبول الناس لهم، تأثيرهم على الناس، أحياناً الشاعر يؤثر على الناس بقصائده بكذا، فالسورة مؤثرة حقيقة كتأثير الشاعر على من حوله، السورة مؤثرة.

كما ذكر صاحب الكشاف قال: "كل قصة تعتبر سورة مستقلة".

ولذلك كل قصة يختمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠٣-١٠٤]، فكل قصة من هذه القصص كافية في يعني ردع هؤلاء عن تماديهم وطغيانهم واستهزائهم إلى أن يعودوا إلى عقولهم ويرجعوا، ويُفتح يعني مثلاً كما ذكر قال: **"تفتح آذانهم وتفتق أذهانهم"** حتى يسمعوا ويعوا ما يأتيهم، وأن هذا القرآن ليس من أقوال الشياطين وما تنزه به الشياطين، وما ينبغي وما يستطيعون.

كل هذا يدل على أن السورة يعني حقيقة سورة التحذير والإنذار بإيراد هذه القصص التي يعني أرسل الله إلى هذه الأقوام أنبياءهم فعصوهم وكذبوا، والنتيجة أنك تجد فيها هلاكاً، فيها هلاكاً.

ولو تدبرنا حقيقة لكن الوقت يضيق بنا، لوجدت أن كل قصة لها هدف وغاية، يعني شوف قصة أول قصة موسى مع فرعون وهي في هدفها بيان مصير كل طاغية، يعني فرعون طغى واستكبر وقال أنا ربكم الأعلى وكذا ورفض دعوة موسى وردها، والنهاية أنه أغرقه الله.

وفي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بيان أثر التقليد للآباء الأعمى في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٦]، وهكذا تجد كل قصة فيها هدف وغاية.

أغراض سورة النمل

أول أغراض هذه السورة افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه، بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها، والتنويه بشأن القرآن وأنه هدى لمن يسره الله للاهتداء به دون من جحدوا أنه من عند الله، والتحدي بعلم ما فيه من الأخبار من أخبار الأنبياء والاعتبار بملك أعظم ملك أُوتيه نبي، وهو ملك داوود وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.

وأشهر أمة في العرب أُوتيت قوة وهي أمة ثمود، والإشارة إلى ملك عظيم من العرب وهو ملك سبأ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك وهو خلافة النبي ﷺ، وأن الشريعة المحمدية سيقام بها ملك للأمة عتيد كما أُقيم لبني إسرائيل ملك سليمان. ومحاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيهم وسدنة آلهتهم، وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها، وأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة، ثم موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسل الاستمرار على إبلاغ القرآن، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشهدونها والله مطلع على أعمالهم).

الشرح:

خلاصة سورة النمل الحقيقة، إذا قرأت سورة النمل وتأملتها تأملاً جدياً قدياً يعني تأملاً دقيقاً جداً، ستجد أن كأنها تشير إلى أن عمارة الأرض تقوم على الطاعة والاستقامة، وأن يعني وأن ضياع الأمم هو البعد عن الطاعة. فننظر ماذا أعطى الله سبأ من الملك، عرشها فقط عرش عظيم، وأعطاها من الملك ومع ذلك زال ملكها بلحظة بسبب بعدها عن الشمس، يسجدون للشمس ويعبدون من دون الله. وماذا أعطى الله سليمان وهو نبي، أعطاه ملكاً عظيماً قام على الطاعة والاستقامة والبعد عن طاعة الشيطان، فهذا كان إشارات إلى يعني إلى عمارة الأرض وحضارة الأمم تقوم على طاعة الله. فثمود أعطاهم الله من القوة وكيف يعني ينحتون الجبال بيوتاً ومع ذلك ما نفعتهم قوتهم لما أبعدوا عن طاعة الله. كأن السورة تدور حول هذا الأمر. سورة القصص.

(أغراض سورة القصص: اشتملت هذه السورة على التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن المشركين عجزوا عن الإتيان بسورة مثله، وعلى تفصيل ما أُجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨-١٩]، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون وبيّن فيها سبب زوال ملك فرعون).

الشرح:

كأنه يربط بين السورتين سورة القصص وسورة الشعراء، يقول سورة الشعراء قال ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ كيف رباه؟ جاءت سورة القصص تشرح هذا.

(وفيها تفصيل ما أُجمل في سورة النمل من قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧]، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله وأين آنس النار، ووصف المكان الذي نُودي فيه بالوحي إلى أن ذُكرت دعوة موسى فرعون، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة).

الشيخ: يعني أوسع.

(ثم أجملت ما بعد ذلك لأن تفصيله في سورة الأعراف وفي سورة الشعراء، والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر.

وإذ قد كان سوق تلك القصة إنما هو للعبرة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله في بعث الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها، وتحدي المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا خالط أهل الكتاب، ذيّل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك، وأنذرهم إنذاراً بليغًا وفنّد قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [القصص: ٤٨] من الخوارق كقلب العصا حية، ثم انتقاضهم في قولهم إذ كذبوا موسى أيضًا، وتحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة وأبطل معاذيرهم.

ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله، وساق لهم أدلة على وحدانيته تعالى وفيها كلها نِعم عليهم،

وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء، وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتهم ونعمتهم ومالهم بأن ذلك متاع الدنيا، وأن ما ادُخر للمسلمين عند الله خير وأبقى.

وأعقبه بضرب المثل لهم بحال قارون في قوم موسى، وتخلص من ذلك إلى التذكير بأن أمثال أولئك لا يحظون بنعيم الآخرة، وأن العاقبة للمتقين، وتخلل ذلك إيماء إلى اقتراب مهاجرة المسلمين إلى المدينة، وإيماء إلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥] الآية.

وختم الكلام بتسلية الرسول ﷺ وتثبيته ووعده بأنه يجعل بلده في قبضته ويمكنه من نواصي الضالين، ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تُفصل لهم قصة رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيلها من معرفة نافعة لهم تنظيراً لحالهم وحال أعدائهم، فالمقصود ابتداءً هم المسلمون ولذلك قال تعالى في أولها: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]).

الشرح:

يعني خلاصة الكلام في قصة في قصة في سورة القصص، خلاصة الكلام أن من أراد العزة زين والتمكين فليكن هدفه فيها نشر الخير والدعوة إليه ونشر الصلاح، وعكسه هو سبب دمار الأمم، فلذلك يعني ذكر الله أن فرعون علا في الأرض واستكبر فكانت نهايته أن أغرقه الله.

وقص وذكر الله قصة أخرى وهي قصة الفساد في الأرض قصة قارون، ولذلك في نهاية السورة قال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. فعاقبة المتقين عدم التكبر والفساد في الأرض، عاقبته ألا يكونوا على مثل هذا المنهج.

هذا مقصود السورة، كلها تدور حول هذا، وهي في الحقيقة يعني بسطت الكلام حول قصة موسى منذ ولادته قبل أن تلده أمه زين حتى ولدته ووضعته في التابوت في اليم إلى آخره، يعني بسطت الكلام في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولذلك سُميت بسورة القصص.

لعلنا نقف عشان ما نطيل عليكم ولا على الإخوة مساك الله خير.

يعني بقية السور بدأت يعني يسهل الحديث عنها، يعني بعضها حتى في نصف صفحة إن شاء الله نمر عليها مروراً سريعاً، لم يبقَ إلا الثلث الأخير من القرآن يعني سورة العنكبوت وما بعدها هي الثلث الأخير عشر الأجزاء الأخيرة، إن شاء الله نأتي عليها بإذن الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **(ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تُفصل)**. أي يعني هذا يقول أن هذا الهدف أنهم كانوا يودوا يشوفون يعني ماذا جرى لموسى وفرعون بالتفاصيل، لأن يعني قصة موسى وقصة نبينا محمد ﷺ متقاربة، فأهل مكة وفرعون هذه الأمة أبو جهل ومصيرهم وفرعون موسى ومصيره، كانوا يريدون أن يعني يصلون لهذا الأمر والله أعلم.

وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده، والله أعلم.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم الخامس عشر من الشهر الرابع من عام أربعة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة.

الكتاب الذي بين أيدينا هو "أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور"؛ أغراض السور، نحن قرأنا في لقائنا الماضي انتهينا من سورة القصص كذا، الآن العنكبوت، تفضل اقرأ.

أغراض سورة العنكبوت

أغراض هذه السورة؛ افتتحت هذه السورة بالحروف المقطعة أي يؤذن بها، من أغراضها تحدي المشركين بالإتيان بمثل سورة منه كما بينا في سورة البقرة، وجدال المشركين في أن القرآن نزل من عند الله هو الأصل فيما حدث بين المسلمين والمشركين من الأحداث المعبر عنها بالفتنة في قوله هنا: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

فتعين أن أول أغراض هذه السورة تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام، أو عن الهجرة مع من هاجروا، ووعد الله بنصر المؤمنين وخذل أهل الشرك وأنصارهم وملقنيهم من أهل الكتاب، والأمر بمجافاة المشركين والابتعاد عنهم ولو كانوا ذوي قربى، ولو كانوا أقرب القرابة، ووجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك. مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين، وأمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائعه الإسلام، والتأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن محمداً ﷺ جاء بمثل ما جاؤوا به، وما تخلل أخبار من ذكر فيها من الرسل من العبر.

وما تخلل أخبار من ذكر من ذكر من ذكر فيها من الرسل من العباد، والاستدلال على أن القرآن منزل من عند الله بدليل أمية من أنزل عليه ﷺ، وتذكير المشركين بنعم الله عليهم ليقلعوا عن عبادة ما سواه، وإلزامهم بإثبات وحدانيته بأنهم يعترفون بأنه خالق ما في السماوات وما في الأرض، والاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق وهو أعجب من إعادته، وإثبات الجزاء على الأعمال، وتوعد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة وهم يتهكمون باستعجاله، وضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله

ببيت العنكبوت).

الشرح:

يعني كثيراً ما يركز على عرض أغراض السور، فلما يأتي مثل سورة العنكبوت يذكر لك كل ما حوته هذه السورة من أغراض. السورة سورة العنكبوت سورة تكلمت عن موضوعات كثيرة، فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يعطيك الموضوعات التي تحدثت عنها السورة؛ يقول تحدثت في أولها عن الحروف المقطعة الم، تحدثت عن كذا، تحدث عن عدة موضوعات.

لكن الذي نريد أن نصل إليه نحن جميعاً، وكما مثل ما مر معنا يعني، السورة سورة العنكبوت ما موضوعها؟ عما تتحدث سورة؟ أي سورة قرآن لها موضوع معين، فنريد أن نصل إلى هذا الشيء، عما تعالجه هي؟ هي تعالج قضايا، تعالج قضية مهمة، تتكلم عن موضوع معين؛ فعما تتحدث السورة؟ هذا هو المقصد، وهذا هو الذي نريد أن نصل إليه، هذا يسميه العلماء مقاصد السور؛ مقصد السورة، هدف السورة الذي ترمي إليه السورة شيء معين.

هذا معناه؛ إذاً سورة العنكبوت لما تقرأها أنت من أولها إلى آخرها، تتأمل آياتها، تجدها تدور آياته حول شيء معين.

ما هو المعين؟

أحياناً يؤخذ من لفظ في السورة يتردد اللفظ هذا، فإذا وجدنا هذا اللفظ يتردد عرفنا أن السورة تدور حوله، أحياناً السورة موضوعها أحياناً اسمها يجذب الواحد لأنه يتكلم عن شيء معين، مثل سورة النساء لما تقرأ كلمة النساء تعرف أنها تتحدث عن موضوع النساء وهكذا.

فهناك موضوع، السور لها مزايا أو لها شيء أو علامات واضحة تعرف من خلالها مقصد السورة، وهنا العنكبوت فيه رابط بين العنكبوت هذه الحشرة الصغيرة وبين السورة الحقيقة؛ تتأمل تجد فيها العنكبوت ماذا تصنع؟ العنكبوت تصنع بيتها، بيتها كيف يتكون؟ يتكون من هذه الشبكة العجيبة التي هي تفرز بفمها هذا اللعاب، فتبدأ تصنع شبكة عجيبة، ولذلك يسمون مواقع إلكترونية يسمونها الشبكة العنكبوتية لأنها كثيرة ومتشتتة مترابطة بخيوط دقيقة.

فهذه السورة في رابط بين العنكبوت وخيوطها وبين السورة؛ السورة في الحقيقة تتحدث عن الفتن، عن الفتن، وأنت تقرأ السورة في أولها الله عَزَّ وَجَلَّ ماذا يقول: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]. إذاً هي تتكلم عن الفتن، ولذلك عرضت للسور عرضت لبعض القصص، ذكرت لنا مجموعة من القصص؛ أول قصة نوح كيف فتن قومه به وابتلوا، وابتلي هو بهم، تجد السورة تأتي بإيجاز لبيان هذه الفتنة.

ولذلك يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]. هذه القصة كلها؛ إبراهيم فتن بأن أحرق بالنار، وكذلك ثم ذكرنا قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه فتن بمجيء الضيوف إليه: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [العنكبوت: ٣٣].

فتجد السور تتحدث عن الفتن والابتلاءات للمؤمنين، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في آخرها حتى تعرف رابط السورة وخاتمتها.

ماذا قال في آخرها؟

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. إذاً في جهاد وفي مجاهدة وفيه بذل روح لابد؛ ولذلك تكلمت السورة عن الجهاد، تكلمت عن الهجرة، تكلمت عن أسباب الوقاية من الفتن، وتكلمت عن الفتن، فهي تدور حول هذا الموضوع.

والفتنة عجيبة، يعني الإنسان يظن أن هذا الأمر أمر يسير فيدخل فيه فيفتن فيصاب بالفتن وهو لا يدري؛ مثل شبكة العنكبوت تجد الحشرات تطير وثم تضرب في هذه الشبكة العنكبوت، شبكة العنكبوت فيها مادة لزجة تمسك فتأتي العنكبوت وتأكل تأكل، فالفتن مثل الشبكة تأتي وتسقط هذه الحشرات تأخذها، ففتن أحياناً الفتن يصاب بها الإنسان خاصة الفتن الفتنة في الدين ما يدري الإنسان إلا قد ابتلي بها ولا يستطيع الخروج منها.

فالسورة تدور حول موضوع الفتن في الحقيقة، الفتن ومن هو المؤمن حقيقة، ومن هو؛ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]. وفيها ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، فهي تدور حول هذا الموضوع [٦،

.[٧

أغراض سورة الروم

أول أغراض هذه السورة سبب نزولها على ما سر المشركين من تغلب الفرس على الروم، فقمع الله تعالى تطاول المشركين به وتحداهم بأن العاقبة للروم في الغلب على الفرس بعد سنين قليلة، ثم تطرق من ذلك إلى تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث ولا في أسباب نهوض وانحدار الأمم من الجانب الرباني، ومن ذلك إهمال النظر في الحياة الثانية ولم يتعظوا بهلاك الأمم السابقة بالأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله، وانتقل من ذلك إلى ذكر البعث واستدل لذلك ولوحدانيته تعالى بدلائل من آيات الله في تكوين نظام العالم ونظام حياة الإنسان، ثم حظ النبي ﷺ والمسلمين على التمسك بهذا الدين وأثنى عليه، ونظر بين الفضائل التي يدعو إليها الإسلام وبين حال المشركين ورذائلهم.

وضرب أمثالاً لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها ولإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالاً لحدوث القوة بعد الضعف وبعكس ذلك، وختم ذلك بالعودة إلى إثبات البعث ثم بتثبيت النبي ﷺ ووعده بالنصر، ومن أعظم ما اشتملت عليه التصريح بأن الإسلام دين فطرة الله الناس عليه، وأن من ابتغى غيره ديناً فقد حاول تبديل ما خلق الله، وأنى له ذلك).

الشرح:

سورة الروم هي في بداياتها تتحدث عما وقع بين الروم والفرس، وأن الفرس انتصروا وأن الروم سينتصرون؛ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢-٣] [٩، ١٠]. فلما انتصر فرح المشركون لأن الفرس عباد نار مشركون، والروم كانوا نصارى فهم لا يريدون انتصار الروم يريدون انتصار الفرس لأنهم مشركين وأهل مكة مشركين فلذلك فرحوا.

فجاء النبي ﷺ وأخبرهم قال: إن كانت الفرس قد هزمت إن كانت الفرس قد انتصرت فستهزم في بضع سنين وستغلب الروم عليها. فقالوا: من أين هذا الكلام؟ من يقول هذا؟ قال: محمد ﷺ.

فذهب أبو بكر وراهنهم، قال: ستنتصر في بضع سنين، فقالوا: من المستحيل، قال: أراهنكم على كذا

وكذا، فراهنهم فكسب الرهن هذا فغلبوا في بضع سنين؛ غلبت الروم الفرس.

هذا معناه الكلام، نحن ما لنا علاقة في الروم والفرس، قد يأتيك شخص يقول لك إيش علاقة المسلمين بالفرس والروم؟ نقول أولاً: أن الله ينصر أهل الحق، وأن الله ينصر هذا الدين، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يعلم المستقبليات، وفي إشارة إلى أن إعجاز القرآن وهو فيما يخبر بالأشياء المستقبلة، هذا من إعجاز القرآن في الأخبار المستقبلة. من الذي أخبر محمد ﷺ في مكة، وأخبر الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه في مكة أن الروم ستنتصر مع إجماع أهل مكة كلهم على أن الفرس هي التي ستنتصر وأن القوة لها؟

من أخبره إلا الوحي؟ فالوحي هو أصل الأخبار الحقيقية، والسورة تدور حول تقرير يعني الإيمان؛ تقرير الإيمان بالله بالرسل بالغيب بالوحي لأن الوحي منزل من عند الله، كلها تدور حول هذا الموضوع.

ونلاحظ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سينصر هذا الدين، وأن الدين الذي يرتضيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وهو دين الله، هذا هو الدين الذي سينصره الله، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ يعني فيما يخالف هذا الدين والفطرة قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. وقابلها بأي شيء؟

قال بأن الله ينصر العباد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. فالنصر والعزة والتمكين للمؤمنين إذا تمسكوا بدينهم، والضلال والهلاك والدمار والفساد والضياع لمن خالف دين الله، هذه السورة تدور حوله.

أغراض سورة لقمان

الأغراض التي اشتملت عليها هذه السورة تتصل بسبب نزولها الذي تقدم ذكره، أن المشركين سألوا عن قصة لقمان وابنه، وإذا جمعنا بين هذا وبين ما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] من أن المراد به النضر بن الحارث إذ كان يسافر إلى بلاد الفرس فيقتني كتب أسفنديار ورستم وبهرام وكان يقرأها على قريش ويقول: يخبركم محمد عن عاد وثمود وأحدثكم أنا عن رستم وأسفنديار.

فصدرت هذه السورة بالتنويه بهدي القرآن ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفساني، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه.

فكان صدور هذه السورة تمهيداً لقصة لقمان، وقد تقدم الإلماع إلى هذا في قوله تعالى في أول سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، ونبهت عليه في المقدمة السابعة بهذا التفسير.

وانتقل من ذلك إلى تسفيه النضر بن الحارث وقصصه الباطلة، وابتدأ ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة، وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه من التحذير من الإشراك ومن الأمر ببر الوالدين ومن مراقبة الله لأنه عليم بخفايا الأمور وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والتحذير من الكبر والعجب والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام.

وسلكت السورة أفانين ذات مناسبات لما تضمنته وصية لقمان لابنه، وأدمج في ذلك تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم وكيف أعرضوا عن هديه وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم، وذكرت مزية دين الإسلام وتسلية الرسول ﷺ بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى وأنه لا يحزنه كفر من كفر. وانتظم في هذه السورة الرد على المعارضين للقران في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧] وما بعدها، وختمت بالتحذير من دعوة الشيطان والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب).

الشرح:

مثل ما ذكرنا سابقًا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يعني ابن عاشور هو يسوق أغراض السورة، يعني يقول لك سورة لقمان اشتملت على كذا وعلى كذا وعلى كذا من الموضوعات.

لكن إذا أردنا أن نصل إلى مقصد من السورة والهدف من السورة والموضوع الذي تدور عليه كل موضوعات السورة؛ إذا تأملت وأنت تقرأ هذه السورة من أولها إلى آخرها وأعدت النظر فيها ستجد أن السورة تتحدث عن موضوع معين، أولاً من هو لقمان؟ وبما وصفه الله؟

لقمان رجل ليس بنبي، رجل صالح؛ هذا الصحيح ليس بنبي، وهذا الذي رجحه ابن كثير وغيره أن لقمان ليس بنبي وإنما هو رجل صالح. لماذا نقول ليس بنبي؟ لأنه لم يذكر في القرآن مع الأنبياء أبداً، وإنما ذكر وحده ولم يتكرر اسمه في القرآن إلا في هذه السورة، فهو رجل صالح ولذلك وصفه الله بأن أعطاه الله الحكمة.

الحكمة التي أعطاه إياها يعني أعطاه حكمًا كثيرة، ذكر الله شيئًا من وصاياه مع ابنه؛ لو تتأمل السورة تقرأها تجد أول آية فيها بعد ما قال الله عَزَّ وَجَلَّ الم ماذا قال؟ قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢].

إذاً القرآن حكيم، وثم قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]. إذاً في حكمة خاصة وهي حكمة لقمان، وفي حكمة عامة وهي حكمة القرآن، والله عَزَّ وَجَلَّ فوق ذلك هو حكيم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، فالكتاب حكيم والله عَزَّ وَجَلَّ من أسمائه الحكيم وهو ذو الحكمة.

فإذا تأملت في إشارة إلى أن الحكيم المطلق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والحكيم من حيث القرآن من حيث الكتب المنزلة القرآن هو أحكمها وهو الحكيم، وجزء قليل من حكمة الله وحكمة كتابه أن أعطى هذا الرجل شيئًا من الحكمة شيئًا من الحكمة.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾، فالحكمة التي أعطاه إياها حكمة عظيمة، يعني ذكر القرآن شيئًا من حكمته ومما لم يذكره القرآن ذكره أهل التفسير.

فمن الحكمة التي ذكروها أنهم قالوا إن لقمان كان رجلاً من بلاد النوبة ومن بلاد السودان، وكان

عظيم المشافر يعني الشفتين، وذكروا له أوصافًا عجيبة، وقالوا إنه كان عبداً مملوكًا، فقال له سيده: اذبح لنا شاة وأت بخير ما فيها، أفضل ما فيها؛ فذبح الشاة ثم جاء باللسان والقلب وضعه أمامه، قال: هذا خير ما فيه، قال: نعم هذا خير ما فيه على اللسان والقلب. ثم بعد زمن قال له: اذبح شاة وأت بأخبث ما فيها؛ فذبح شاة وأتى باللسان والقلب.

قال: كيف تقول الأول إن أحسن ما فيها اللسان والقلب والآن تقول أخبث ما فيها اللسان والقلب؟ قال: هذا اللسان والقلب إذا صلح صار أحسن ما فيه، وإذا فسد صار أخبث ما فيه، أعطاه الله حكمة، فذكر بعض المفسرين كثيراً من الحكم.

الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر لنا حكمته في وصيته لابنه؛ هذه الوصية لما تقرأها هي مقسمة إلى ثلاثة أقسام: وصية الأولى في العقائد تتمثل في أمرين: أنه أوصاه بالتوحيد وعدم الإشراك **"لا تشرك بالله"**، وأوصاه بمراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ، مراقبة الله في جميع أعماله؛ أين أوصاه في مراقبة أعماله؟

الجانب الأول: تجد هذه الوصية في قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦]؛ راقب الله في أعمالك الحسنة والسيئة، هذا الجانب العقدي.

الجانب الثاني: الجانب العملي، الجانب العملي يتمثل في أمرين ما هما؟

أقم الصلاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر؛ هذه أعمال عملية. ثم الجانب الثالث ما يتعلق بالأخلاق، وأوصاه أيضًا بوصايا بالأخلاق، ذكر له أربعة أخلاق: **"لا تصعر خدك للناس"**، **"ولا تمش في الأرض مرحًا"**، ثم قال: **"واقصد في مشيك"**، **"واغضض من صوتك"**.

ذكر أربع أشياء، ذكر له هذه الوصايا المهمة جداً؛ قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]، يعني لا تنظر إليهم بالتكبر لأن تصعير الخد يعني ميله وعدم مواجهة الناس، يعني ثاني عطفه، يعني لا يلتفت للناس ولا يعطيهم وجه، لا تصعر خدك للناس. أما بنفسك مع ربك؛ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، من أنت حتى تتكبر؟

لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً، فهذه وصايا. ثم قال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. إذاً السورة حول الحِكَم تدور حول الحِكَم،

ثم تخللتها آيات أخرى.

نأخذ السورة الأخيرة سورة السجدة.

أغراض سورة السجدة

ومن أغراض هذه السورة أولها التنويه بالقرآن أنه نزل من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادعائهم أنه مفترى بأنهم لم يسبق لهم التشرف بنزول كتاب، والاستدلال على إبطال إلهية أصنامهم بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض ومدبر أمورهما، وذكر البعث والاستدلال على كيفية بدء الخلق بدء خلق الإنسان ونسله وتنظيره بإحياء الأرض، وأدمج في ذلك أن إحياء الأرض نعمة عليهم كفروا بمسديها، والإنحناء على الذين أنكروه ووعيدهم، والثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم، ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثم إثبات رسالة رسول عظيم قبل محمد ﷺ.

والتذكير بما حل بالمكذبين السابقين ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين، وختم ذلك بانتظار النصر وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عنهم تحقيراً لهم ووعده بانتظار نصره عليهم. ومن مزايا هذه السورة وفضائلها ما رواه الترمذي والنسائي وأحمد والدارمي عن جابر بن عبد الله قال: «كَانَ النَّبِيُّ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةُ وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ»).

الشرح:

ومثل ما ذكرنا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تكلم عن أغراض السورة ككامل ككل أغراضها موضوعاتها ككل، سورة مكية، والسور المكية دائماً تركز على قضايا مهمة: قضية الإيمان بالله وتوحيده، قضية الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله وأنه كلام الله، قضية الإيمان بالرسول المنزل عليه هذا القرآن، قضية الرابعة قضية البعث والجزاء والحساب والجنة والنار؛ هذه كل السور المكية تدور حول هذه الموضوعات، تقرير هذه القضايا.

سورة السجدة تكلمت عن هذه القضايا كلها؛ تكلمت عن القرآن وأنه منزل من عند الله ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [السجدة: ٢-٣]، تكلمت عن القرآن، تكلمت عن التوحيد عن توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق السماوات والأرض إلى آخره، تكلمت عن

رسالة النبي ﷺ، موقفهم من البعث والجزاء والحساب.

يعني تكلم عن موقفهم وإنكارهم للبعث والجزاء والحساب، وعرض ليوم القيامة وهم يوقفون أمام الله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، وبيان ما أعد الله للمتقين ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] إلى آخر السورة تتحدث عن هذا الموضوع. من مزايا السورة كما ذكر هنا أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأها مع سورة تبارك، ومن مزاياها أنها تقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، يوم الجمعة تقرأ فيها سورة السجدة الم السجدة مع هل أتى على الإنسان، هذا ما تتعرض له السورة موضوعات معينة معروفة.

وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد: بسم الله، والحمد لله، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ أيها الإخوة الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، في هذا اليوم، هذا اليوم هو اليوم العشرين من شهر جمادى الأولى من عام أربعة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة، عندنا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب **"أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور"**.

هذا كتاب يعني هو مستلٌّ من الكتاب من تفسير الإمام ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره التحرير والتنوير، أُخذت هذه الأغراض ووُضعت بهذا الكتاب ليسهل يعني تناولها وقراءتها. قرأنا في هذا الكتاب في عرض هذه السور، سور القرآن الكريم وما فيها من أغراض، ووصل بنا الكلام عند سورة الأحزاب، والآن نواصل ما توقفنا عنده.

أغراض سورة الأحزاب

أغراض هذه السورة لكثير من آيات هذه السورة أسباب لنزولها، وأكثرها نزل للرد على المنافقين أقوالاً قصدوا بها أذى النبي ﷺ، وأهم أغراضها الرد عليهم قولهم، الرد عليهم قولهم لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن زيد بن حارثة، فقالوا تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى إبطال التبني، وأن الحق في أحكام الله لأنه الخبير بالأعمال، وهو الذي يقول الحق، وأن ولاية النبي ﷺ للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك ولاية وتلك ولاية من جعل الله فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام.

وتحريض المؤمنين على التمسك بشرع الله لهم لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيين، والاعتبار بما أظهره الله من عنايته بنصر المؤمنين على الأحزاب، على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب، ودفع كيد المنافقين، والثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين، ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب.

وانتقل من ذلك إلى أحكام في معاشرة أزواج النبي ﷺ وذكر فضلهن وفضل آل النبي ﷺ وفضائل

أهل الخير من المسلمين والمسلمات، وتشريع في عدة وتشريع في عدة المطلقة قبل البناء، وما يسوغ لرسول الله ﷺ من الأزواج، وحكم حجاب أمهات المؤمنين ولبسهن ولبسه المؤمنات إذا خرجت، وتهديد المنافقين على الإرجاف بالأخبار الكاذبة، وختمت السورة بالتنويه بالشرائع الإلهية، فكان ختامها من رد العجز على الصدر لقوله في أولها ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢]، وتخلل ذلك مستطردات بالائتساء بالنبي ﷺ وتحريض المؤمنين على ذ على ذكر الله وتنزيهه شكراً له على هديه وتعظيم قدر النبي ﷺ عند الله وفي الملأ الأعلى، والأمر بالصلاة عليه والسلام، ووعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي النبي بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين، والتحذير من التورط في ذلك كي لا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ).

الشرح:

هذه أغراض السور، هذه أغراض سورة الأحزاب، هذا ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ يعني جمع ما يتعلق بأغراض سورة الأحزاب، سورة الأحزاب من السور المتوسطة يعني من المثاني.

القرآن يقسم إلى أربعة أقسام:

⬅ **القسم الأول:** الطوال أو الطول وهي السبع: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، هذه ست، والسابعة مختلف فيها هل هي التوبة أو الأنفال مع التوبة أو يونس، ولكن كثيراً من السلف يعتبرون يونس هي السابعة.

⬅ **القسم الثاني:** وبعد الطول أو الطوال تأتي المئون، والميئون هي الآيات التي حدود آياتها من المئة أو تزيد قليلاً مثل سورة الكهف مئة وعشرة مثلاً أو سورة الإسراء أو نحوه.

⬅ **القسم الثالث:** ما يسمى بالمثاني، والمثاني هي التي آياتها من السبعين بهذه الحدود أو الستين أو السبعين مثل سورة الأحزاب، مثل سورة غافر، مثل هذه السور، يعني سورة الفرقان سبعة وسبعون ونحوها، سورة النور هذه تسمى المثاني لأنها تثنى تعاد وتكرر سريعاً.

⬅ **القسم الرابع:** المفصل، والمفصل يبدأ من سورة ق إلى الناس أو من الحجرات إلى الناس، هذه أقسام القرآن الأربعة، سورة الأحزاب من المئين من المئين يعني متوسطة الحجم، وجاء عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْه وغيره أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ثم لا يزال فيها النسخ حتى وصلت إلى ما

وصلت.

وكذلك سورة التوبة أيضاً تعدل سورة البقرة ثم لا يزال النسخ بها حتى وصلت إلى ما وصلت، سورة الأحزاب في الحقيقة من يتأمل صفات من يتأمل هذه السورة وينظر فيها في يقرأها من أولها إلى آخرها يجد أنها تدور حول النبي ﷺ من حيث ذكر صفات النبي ﷺ وخصائص النبي ﷺ وحقوقه، يعني ذكرت من الصفات ما يزيد على أربع عشرة صفة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فذكر صفات صفة النبوة صفة الرسالة، ذكر باسمه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فذكرت صفات له وذكرت حقوق له، من حقوقه طاعته، من حقوقه تكريمه وتعظيمه، من حقوقه الصلاة عليه.

هناك حق يعني حقوق على البشر للنبي ﷺ كثيرة من حقوق التأسي به، فأشياء كثيرة وذكرت أيضاً يعني أكثر من يمكن ست أو سبع حقوق له خاصة له خاصة في خصائص خصه به ﷺ عن الأمة فيها خصائص في السورة مثل الصلاة عليه هذه خاصة بالنبي، مثل أنه يتزوج ما شاء النساء، مثل أن تهب المرأة نفسها للنبي ﷺ خاصة من دون المؤمنين، خصائص اختص بها، اختص من خصائصه أنه أولى بالمؤمنين، من خصائصه أن أزواجه أمهات المؤمنين، فذكرت خصائص وذكرت حقوق وذكرت صفات.

هذه كتبت فيها أنا مؤلف سميته **"النبي ﷺ صفاته وحقوقه وخصائصه في سورة الأحزاب"** واستخرجت منها هذه الأشياء كلها، السورة تدور حول النبي ﷺ من أول آية إلى آخر آية، أول بدايتها النداء، ما نودي النبي ﷺ في القرآن كله **"يا أيها النبي"** في فواتح السور إلا هذه السورة، نود في **"يا أيها النبي"** كثير، يا أيها نودي مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١].

ويا أيها النبي هنا في هذه السورة وفي هذه السورة أيضاً نودي خمس مرات في السورة هذه سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، يا أيها النبي قل لأزواجك يا أيها النبي قل لأزواجك وقل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين في آخرها وفي وسطها في الآية قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

هذه تسمى آية التخيير، لأنه خيرت نساؤه هل تريدون النبي ﷺ على ما فيه من حالة التقشف والزهد وعدم الإقبال على الدنيا أو تريدون الآخرة وما عند الله، فـ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] أول ما دخل النبي ﷺ دخل على عائشة فقرأ عليه هذه الآية، فقال ما ترين؟

يعني ماذا ما ترين هل تريدين هذا أو هذا؟ قالت والله لا أرى في الله ورسوله والدار الآخرة شيء، فرضوا بذلك رضوا بذلك فأكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكرائم كثيرة في وسط السورة، وذكر أيضاً من ما يتعلق بالنبي ﷺ القسم بين زوجاته في حقوق الناس أو في سائر الأمة يجب على الرجل إذا كان عنده أكثر من امرأة أن يعدل في القسم والمبيت إلا النبي ﷺ فإن قسمه مباح ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

في أشياء كثيرة ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه السورة، السورة حقيقة تدور حول النبي ﷺ حتى في معركة الأحزاب التي ذكرها الله فصل فيها تفصيلاً عظيماً، تدور حول التأسي بالنبي ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وذكر الله كثيراً يعني في ح في غزوة الأحزاب و يعني حصل ما حصل بالمسلمين من يعني من التهديد والتخويف والوعيد ومن الخوف الشديد، يعني في قوله تعالى ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].

يأتي النبي ﷺ يصبرهم، وحتى جاء بعض الصحابة قال يا رسول الله ما وجدنا شيء نأكله، ثم رفع يعني إزاره وقال يا رسول الله شوف وضعت حجر، فالنبي ﷺ قال تعال ورفع الإزار قال أنا وضعت حجرين، إيه يضرب حجراً في الخن ق بمعول شديد ويقول سقطت فارس، ويضرب حجر آخر ويقول سقطت الروم، يقول أحد المنافقين يقول محمد سقطت فارس واحد الروم واحد لا يستطيع أن يقضي حاجته.

فبعد خمس عشرة سنة لا بعد عشر سنوات هذه الوقعة في السنة الخامسة وقعت الأحزاب، في السنة الخامسة عشرة يدخل عمر يفتح عمر يسقط دولتين عظيمتين كسرى دولة الفارس ودولة الروم، بعد

عشر سنوات لما يقول يضرب يقول سقطت فارس تفاؤل، فالسورة حقيقة تسمى بسورة الأحزاب لأن الله ذكر فيها القصة قصة الأحزاب التي لم تذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وذكر قصة بني قريظة فيها وهم اليهود وإخراجهم وقتلهم وأسرهم، والسورة في الحقيقة تدور على النبي ﷺ من أولها إلى أخـ في آيات كثيرة من أولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

وفي آخرها يقول ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، فكلها تدور حول هذا الشيء.

والشيخ ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ هو تكلم عن موضوع السورة ككل يعني بشكل عام هو تتبع موضوعات السورة وأجاد في ذلك رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، ننتقل إلى سورة سبأ.

أغراض سورة سبأ

من أغراض هذه السور إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراكهم آلهة مع الله وإنكار البعث، فابتدأ بدليل على انفراده تعالى بالإلهية عن أصنامهم ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لـ لعبادها، ثم موضوع البعث، وعن مقاتل أن سبب نزولها أن أبا سفيان لما سمع لما سمع قوله تعالى ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣] الآية الأخيرة من سورة الأحزاب، قال لأصحابه كان محمداً كان محمداً يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت، كان واللات كان محمداً يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت واللات والعزة لا تأتين الساعة أبداً، فأنزل الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٣] .

وعليه فما قبل الآية المذكورة من قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١] إلى قوله ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢] تمهيد للمقصود من قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٣]، وإثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض فما يخبر فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء وإثبات صدق النبي ﷺ فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد وأن القرآن شهدت به علماء أهل الكتاب، وتخلل ذلك بالظروف من تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركين من قبل، وعرض بأن جعلهم بأن جعلهم الله شركاء كفران لنعمة الخالق، فضرب لهم المثل فضرب لهم المثل لمن شكروا نعمة الله واتقوه فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخر لهم الخيرات مثل داوود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلط عليهم الأرزاء في الدنيا وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ مثل سبأ، وحذروا من الشيطان وذكروا بأن ما هم فيه من قرة العين يقربهم إلى الله، وأنذروا بما سيلقون يوم الجزاء من خزي وتكذيب وندامة وعدم نصيب وخلود في العذاب، وبشر المؤمنون بالنعيم المقيم.

الشرح:

هذه سورة سبأ وسورة النمل متشابهتان جداً، سورة سبأ والنمل كلها ذكرت فيها قصة داوود وسليمان وملكة سبأ، وهنا ذكرت قصة داوود وسليمان وذكرت قصة سبأ، سبأ قوم يسكنون في اليمن عند يعني في بلاد اليمن ومعروف قبيلة سبأ، أعرضوا فأرسل الله عليهم سيل العرم وبدل وبدلهم بجنتيهم

جنتين ذوات أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. لما تلاحظ كلمة ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] وترجع قليلاً وتجد في قصة داوود وسليمان قال ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، تجد أن السورة تدور حول الشكر والكفر، وأن عمارة الأرض بالشكر والطاعة، وإفساد الأرض بالمعاصي، كلها تدور حول هذا، فسورة النمل نفس الطريقة، الله عَزَّ وَجَلَّ أثنى على داوود وعلى سليمان وبين أن عمارة الأرض وملك الأرض كما ملك سليمان الأرض بالطاعة، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بسط له الملك لما حقق طاعة الله في الأرض، وأفسد وأهلك قوم سبأ لما أعرضوا وكفروا.

وكذلك سورة سبأ سميت بسورة سبأ لذكر هذه القصة العظيمة فيها، وأن سبب إعراضهم عن الله واستهزائهم وسخريتهم ويقولون ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩]، فمزقهم الله كل ممزق وجعلهم أحاديث يتناقلون بها حتى يضرب بهم الأمثال، يقول تفرقوا أيادي سبأ، تفرقوا في العالم كله فالسورة تدور حول هذا. الشيخ ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ يعني هو لما يذكر أغراض السورة يذكرها غرضًا، فيأخذ يتتبع السورة الآيات آيات ويمشي عليها، حتى في أولها يقول إن الله أثنى على نفسه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١-٢]، كل هذه تأتي يعني هو يذكر يعني آيات ويذكر أغراضها.

لكن نحن نريد أن نصل إلى السورة كلها بآياتها تدور حول شيء حول شيء معين، يعني هي تهدف إلى شيء معين، نحن نريد أن نصل إلى هذا الهدف، فأهداف السورة، محور السورة، غرض السورة، هذا هو تحقيق كذا، فعل كذا، يعني تجد كل سورة لها كل سورة لها هدف، فهذا هو المقصد هو المقصد، لكن الشيخ يتوسع بس يتوسع، وإن له يعني يدور حول هذا الشيء لكنه بتوسعه، نحن نريد أن نصل إلى الهدف الأساسي من هذه السورة، أو غرضها الأساسي من هذه السورة هو الذي نريد أن نصل إليه، فكل سورة لها غرض، الآن نأخذ سورة فاطر.

أغراض سورة فاطر

أغراض هذه السورة: اشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية، وعلى إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به، وأنه جاء به وأنه جاء به الرسل من قبله، وإثبات البعث والدار الآخرة، وتذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئًا، وقد عبدهم الذين من قبلهم فلم يغنوا عنهم، وتثبيت النبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه وكشف نواياهم في الإعراض عن اتباع الإسلام لأنه لأنهم احتفظوا بعزتهم، وإنذارهم أن وإنذارهم أن وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، والثناء على الذين تلقوا الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين، وتذكيرهم بأنهم كانوا يودون أن يرسل إليهم رسل فلما جاءهم رسول تكبروا واستنكفوا وأن لا مفر لهم من حلول العذاب عليهم، وأنهم لا مفر لهم من حلول العذاب عليهم، فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا وأن يغتروا بإمهال الله إياهم، فإن الله لا يخلف وعده، والتحذير من غر والتحذير من غرور الشيطان والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.

الشرح:

سورة فاطر مثل ما ذكرنا الشيخ يتتبع موضوعات السورة، لو نظرت أنت إلى السورة قرأت من أولها لآخرها وأعدت النظر فيها وأعدت النظر فيها تجد أن الاسم هذا له أثر في السورة، فاطر يعني خالق ومبدع ومنشئ الشيء من عدم.

السورة تدور حول أي شيء؟

الله عَزَّ وَجَلَّ ماذا قال؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، زين؛ فاطر السماوات والأرض يعني منشئ السماوات والأرض من العدم، لو تأملنا السورة نجد أنها تتحدث عن آيات الله الكونية، كلها تدور حول آيات الله الكونية، سواء هذه الآيات في السماء في العلو أو في الأرض، في العلو مثل خلق السماوات، الشمس، القمر مذكور فيها ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، النجوم الكواكب السحاب ذكر فيه نعم في آيات كثيرة فيها سحاب، ذكر الله يعني كل ما

يتعلق بالسماوات.

ثم لفت الأنظار إلى الأرض فانت تقرأ حتى في السورة تجد أن الله يشير إلى الأرض في البحار ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ [فاطر: ١٢]، تجد فيها يعني في خلق النباتات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]، وقالوا أيضًا في الحيوانات ومن والدواب مختلف ألوانها والنباتات المختلفة الألوان.

كل هذه السورة تشير إلى يعني خلق الله وبثه هذه الأشياء في الكون، فهي آيات كونية تدور حول ما في السماوات في العلو، يعني كأنه يقول ارفع بصرك إلى السماء وشوف هذه هذا الخلق البديع في السماوات والأرض، وتسخير هذه الأشياء سخرت كلها لهذا الإنسان، سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، والأرض ما فيها من بديع الخلق، كله هي تدور حول هذا، ويتخللها آيات أخرى يعني مثل تلاوة القرآن، والله عَزَّ وَجَلَّ اصطفى يعني من هذه الأمة وقسمهم إلى ثلاث أقسام، يعني ثواب أهل الخير ومصير أهل الشر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: ٣٦]، وآيات كثيرة تتخللها لكنها تدور حول هذا الاسم فاطر.

أغراض سورة يس

أغراض هذه السورة التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة وبالقسم بالقرآن تنويهاً به، وأدمج وصفه بالحكيم إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الإحكام، والمقصود من ذلك تحقيق رسالة محمد ﷺ، وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله للأمة الغاية السامية وهي استقامة أمورها في الدنيا والفوز في الحياة الأبدية، فلذلك وصف الدين بالصراط المستقيم فما تقدم في سورة الفاتحة، وأن القرآن داعٍ لإنقاذ العرب الذين لم يسبق مجيء رسول إليه، لأن عدم سبق الإرسال إليهم تهيئة لنفوسهم لقبول الدين، إذ ليس فيها شاغل سبق إذ ليس فيها شاغل سبق يعز عليهم فراقه أو يكتفون بما فيه من هدى، ووصف إعراض أكثرهم عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيع وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام، وأن الذين اتبعوا دين الإسلام هم أهل الخشية، وهو الدين الموصوف بالصراط المستقيم).

الشرح:

وضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا وجزاء المتبعين في درجات الآخرة، ثم ضرب المثل بالأعم وهو القرون الذين كذبوا فأهلكوا، والرثاء لحال الناس في إضاعة الأسباب في إضاعة أسباب الفوز، كيف يسرعون إلى تكذيب الرسل، وتخلص إلى الاستدلال إلى تقريب البعث وإثبات الاستقلال تارة والاستطراد أخرى، مد أي مدمجاً في آياته الامتنان بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات، ورامزاً إلى دلالة تلك الآيات والنعم على تفرد خالقها ومنعمها بالوحدانية إيقاظاً لهم، ثم تذكيرهم بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسل والمتمسكين بالأصنام الذين أرسل إليهم نوح نذيراً، فهلك من كذب ونجى من آمن، ثم سيقت ثم سيقت دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول واستعجال وعيد العذاب، وحذروا من حوله بغتة حين يفوت التدارك.

وذكروا بما عهد الله إليهم مما أودعه في الفطرة من الفطنة والاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان واتباع داع الخير واتباع دعاة الخير، ثم رد الجزاء على الصدر ثم رد العجز على الصدر، فعاد إلى التنزيه

القرآني عن أن يكون مفتراً صادراً من شعائر من شعائر بتخيلات الشعراء، ثم رد العجز على الصدر فعاد إلى تنزيه القرآن عن أن يكون مفتراً صادراً من شاعر بتخيلات الشعراء، وسلى الله رسوله ﷺ ألا يحزنه قولهم، وأن له بالله أسوة، إذ خلقهم فعطلوا قدرتهم عن إيجادهم مرة ثانية ولكنهم راجعون إليه.

فقامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه؛ من إثبات من إثبات الرسالة ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات النبي وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر وعلم الله والحشر والتوحيد وشكر المنعم، وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل ومنها تتفرع الشريعة، وإثبات الجزاء على الخير والشر، مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى قلب القرآن، لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها، قال الغزالي: إن ذلك إن ذلك لأن الإيمان صحته باعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، كما سميت الفاتحة أم القرآن إذ كان جامعة لأصول التدبر في أفانيه كما تكون أم الرأس ملاك التدبر في أمور الجسد.

هذه سورة (يس)، جاء النبي ﷺ أنه قال: «اِقْرَءُوا سُورَةَ يَس عَلَى مَوْتَاكُمْ». والمقصود بالموتى هنا من يحتضر من المحتضرين الذي الموتى مقصود به من يحتضر لا الموتى الذي مات وانتهى، فمن مات وانتهى لا يقرأ عليه القرآن، من الخطأ أن تقرأ عليه الفاتحة أو سورة ياسين أو أي شيء من القرآن، الميت إذا مات هو بحاجة إلى الدعاء وبحاجة إلى تجهيزه، لا حاجة إلى أن تقرأ عليه القرآن أو تهدي إليه آيات من القرآن أو نحو ذلك.

قوله ﷺ «اِقْرَءُوا سُورَةَ يَس عَلَى مَوْتَاكُمْ» يعني من يحتضر.

لماذا ما السر؟

نقول لأن سورة ياسين في الحقيقة هي كلها تدور حول قضية البعث والجزاء والجنة والنار، فمن يتأملها يجد أنها كلها تدور حول هذا الموضوع، وعرض قصة يعني أصحاب القرية، وقول الرجل الذي ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠]، ويأتي داعياً إلى الله حتى قيل إنه كان في بعيد عن القرية في أقصى القرية، وكان صاحب غنم أو قيل صاحب مزرعة، فترك غنمه وترك أو ترك مزرعته وجاء مسرعاً يسعى لينذر قومه من العذاب، وأن الله قد أرسل إليهم ثلاثة رسل، ومع ذلك كفروا وردوا،

فجاؤوا على هذا الرجل قيل إنهم ضربوه وحتى مات فقال ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

فالسورة تذكر الإنسان إذا خرج من الدنيا أنه سيجد عند الله من الإكرام ما لا يجده ولا يتصوره، فقوله ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] فقال ابن عباس دعا قومه حيًا وميتًا، حتى هو ميت يقول ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]، فالشاهد السورة تدور حول هذا، ولذلك الميت عندما يحتضر وبدأت تبدأ علامات الموت عليه أن يقرأ عليه سورة ياسين، لأنها تهون له تهون عليه خروج الروح، فيتذكر الموت ويتذكر هذا الرجل الذي قيل ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦]، ويتذكر مصير أن الخلق كلهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله عَزَّ وَجَلَّ ذكر في آخرها ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وإلى آخر السورة، فالسورة توحى حول هذا الموضوع، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مثل ما ذكرنا أولاً وأخيراً يذكر يعني موضوعات كثيرة فتلخيصها ما ذكرناها.

لعل نقف عند هذا القدر، نكتفي مما ذكرناه، وإن شاء الله نستكمل في لقائنا القادم ما بقي من هذه السور، والله أعلم وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اليوم المبارك، هذا اليوم يوم الأربعاء الموافق٢٧ من شهر جمادى الأولى، من عام ١٤٤٤من الهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبارك لنا في أوقاتنا وفي علمنا وفي أعمالنا.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"** هذه الأغراض التي يذكرها ابن عاشور في مقدمات كلّ سورة، كلّ سورة يدخل عليها يعرض فيها أغراض هذه السورة ويبينها، وجُمعت في هذا الكتاب مستقلة، ونحن قرأنا في هذا الكتاب، ووقفنا بنا الكلام عند سورة **"الصافات"**.

أغراض سور الصافات

أغراضها: إثبات وحدانية الله تعالى وسوق دلائل كثيرة على ذلك دلت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكنها، ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.

وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء، ووصف حال المشركين يوم الجزاء، ووقوع بعضهم في بعض، ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم.

ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.

ثم انتقل إلى تنظير دعوة محمد ﷺ قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله، ورفع شأنهم وبارك عليهم.

وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم، وفضائلهم، وقوتهم في دين الله وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح، والإشارة إلى أنه إسماعيل.

ووصف ما حل بالأمم الذين كذبوهم، ثم الإنحاء على المشركين فساد معتقداتهم في الله، ونسبتهم إليه الشركاء.

وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد، وقولهم في النبي ﷺ والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب.

ثم وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وتخلص العاقبة الحسنى للمؤمنين.

وكانت فاتحة مناسبة لأغراضها بأن القسم بالملائكة مناسب لإثبات الوحدانية؛ لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هذا الإله الحق؛ ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق، ويؤذن القسم أنها اشرف المخلوقات العلوية.

ثم إن الصفات التي لوحظت في القسم بها مناسبة لأغراض المذكورة بعدها، فـقوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ [الصافات: ١]، يناسب عظمة ربها.

وقوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ [الصافات: ٢]، يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضًا، ويناسب زجر الناس في المحشر.

وقوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣]، يناسب أحوال الرسول، والرسول عليهم الصلاة والسلام وما أرسلوه إلى أقوامهم.

هذا وفي الافتتاح بالقسم تشويق إلى معرفة المقسم عليه؛ ليقبل عليه السامع بشراشره، فقد استكملت فاتحة السورة أحسن وجوه البيان وأكملها.

الشرح:

قوله: (شراشره) يعني كليته جميعها، هذه سورة **"الصافات"** يعني إذا قرأتها وتأملت آياتها وأعدت النظر فيها، وتأملت ما ذكر الله فيها من ذكر الملائكة وصفاتهم، ووظائفهم وأعمالهم.

ثم ذكر عدد من الأنبياء، وكيف كانت مواقفهم مع أنبيائهم؟ وكيف كانت مواقفهم مع أممهم ومع أقوامهم؟ ودعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، وقد ذكر الله فيها تسعة من الأنبياء، أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، على أن الذبيح إسماعيل وإسحاق، وفي خلاف قوي بين الصحابة هل الذبيح إسماعيل أو الذبيح إسحاق؟ خلاف قوي، لكن الذي يترجح والله أعلم أن الذبيح هو إسماعيل، ثم ذكر قصة موسى وهارون، ثم إلياس، ثم لوط، ثم إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الذي يقرأ أيضًا يتأمل افتتاحيتها بوصف الملائكة بالصافات ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ [الصافات: ١]، وخاتمتها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦].

هذه يسميها علماء البلاغة: **"رد العجز على الصدر"** يعني رد الخاتمة على الفاتحة، وهذا معروف أسلوب بلاغي، فالذي يتأمل هذه الآيات يعرف أن هذه السورة جاءت لتقرير وحدانية الله وحده لا شريك له، وأنه المنفرد بالخلق والتدبير، وأنه المستحق للعبادة، وأنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأنه يجب تنزيهه من صفات النقص، ومن أشهر صفات النقص الوردة في هذه السورة **"نسبة الملائكة"** المشركين نسبوا الملائكة أو ادعوا أن الملائكة هم بنات الله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝١٥٣ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات:١٥٣- ١٥٤].

فدعوى المشركين أن الملائكة بنات الله دعوة باطلة أبطلها القرآن وخاصة في هذه السورة، وبيّن أن الملائكة عباد الرحمن، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦].

فبيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وظيفة الملائكة، وأنهم يصفون كما في أول السورة، ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، يصفون عند ربهم في العبادة، والصلاة، والسجود، والطاعة، ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وفي خاتمة سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

فهم عباد الرحمن، يتعبدون الله ويقومون بأعمالهم الوظيفية التي كلفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣]، يتلون الذكر والتسبيح.

أيضًا تحدثت السورة عن بيان وظائف الأنبياء وما كلفهم الله به، فالسورة تدور على **"تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من وصف المشركين وإثبات العبودية له"** ولذلك أقسم الله﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ١ - ٣]، على أي شيء؟ على ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]، السورة تدور حول هذا.

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى يتتابع ويمشي مع الآيات ويعرض لنا موضوعات السورة ككل، أغراض السورة ككل، ولكن الغرض الحقيقي الذي تدور حوله السورة هو **"تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** مما ذكره المشركون في وصف الملائكة بأنهم بنات الله والقدح في الملائكة، وفي جناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ننتقل إلى: سورة ص.

وسور **"ص"** قريبة من سورة **"الصافات"** ولذلك جاءت بعدها، وهي أيضًا قريبة من هذا الموضوع، ذكر الله في سورة **"ص"** تسعة من الأنبياء، يعني سورة **"الصافات"** فيها تسعة و**"ص"** فيها تسعة من الأنبياء أولهم داود، ثم سليمان، ثم أيوب.

وتلاحظ أن سورة **"ص"** الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر فيها تسعة أنبياء ثلاثة ثلاثة ثلاثة، ثلاثة أعطاهم الله النبوة والملك، ووسع عليهم، وثلاثة زوى عنهم الدنيا، وجعلهم يتعلقون بالآخرة، وثلاثة أثنى الله عليهم بأنهم من الصالحين المتعبدين لله.

الثلاثة الأول **"داود، سليمان، أيوب"** هؤلاء فتح الله عليهم وأعطاهم.

الثلاثة بعدهم زوى عنهم الدنيا **"إبراهيم، إسحاق، يعقوب"** ، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝٤٥ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦].

وأما الثلاثة الآخرين هم: **"إسماعيل، واليسع، وذي الكفل"**، قال تعالى: ﴿ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]، الذين اختارهم الله وخيرهم وجعلهم من الصالحين، هؤلاء تسعة أنبياء أثنى الله عليهم.

فالسورة ترد على المشركين بإنكارهم دعوى التوحيد والعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واتخاذهم الأصنام بقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥]، ثم ذكر سلسلة من الأنبياء كما ذكرنا التسعة، ثم بعد ذلك تعود الآية إلى تقرير **"البعث، والجزاء، والحساب"** في ذكر جزاء المؤمنين الصالحين ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، ثم ذكر الكفار والمعاندين ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ﴾ [ص: ٥٩]، ثم قصة إبليس وهو سبب كلّ كفر وعناد وجحود، الآن نقرأ نشوف ماذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى؟

أغراض سورة ص

أغراضها: أصلها ما علمت من حديث الترمذي في سبب نزولها، وما اتصل به من توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وتكبرهم عن قبول ما أرسل به، وتهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، وأنهم إنما كذبوه لأنه جاء بتوحيد الله تعالى؛ ولأنه اختص بالرسالة من دونهم، وتسلية الرسول ﷺ عن

تكذيبهم وأن يقتدي بالرسل من قبله داود وأيوب وغيرهم، وما جوزوا عن صبرهم واستطراد الثناء على داود وسليمان وأيوب، وأتبع ذكر أنبياء آخرين، لمناسبة سنذكرها.

وإثبات البعث لحكمة جزاء العاملين بأعمالهم من خير وشر، وجزاء المؤمنين المتقين، وضده من جزاء الطاغين والذين أضلوهم، وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين، ووصف أحوالهم يوم القيامة.

وذكر أول غواية حصلت وأصل كلّ ضلالة وهي غواية الشيطان في قصة السجود لآدم.

وقد جاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها؛ إذ ابتدأت بالقسم بالقرآن الذي كذب به المشركون، وجاء المقسم عليه أن الذين كفروا في غزة وشقاق، وكلّ ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم، ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك، مع ما في الافتتاح بالقسم من التشويق إلى ما بعده، فكانت فاتحتها مستكملة خصائص حسن الابتداء.

الشرح:

وفيه أيضًا التركز على **"الصبر"** جلّ الأنبياء صبروا صلوات الله وسلامه عليه، والله خاطب نبه فقال: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، وقال في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤]، فصبروا كلهم ما أصابهم، في تدور حول هذا المعنى.

ننتقل إلى: (سورة الزمر).

الحقيقة أن في سورة (الزمر) تكلم المؤلف عن عدة موضوعات كثيرة، لكن في الحقيقة هي تدور حول **"إخلاص العبادة لله"** التركيز على قضية الإخلاص، إخلاص العبادة لله يعني بالتركيز عليها، وإن كانت تتعرض إلى موضوعات كثيرة في العقيدة **"والتوحيد والإيمان بالله ومصير الكفار لهم"** ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

ومصير أهل الجنة لهم غرف من فوقها غرف، مصير الجنة والنار، كلّ هذه تدور حولها كلّ السور، السور المكية تدور حول قضية **"إثبات البعث والجزاء"** لكنها هي تدور حول: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، فهي تدور حول هذا الموضوع، نشوف كلام المؤلف.

أغراض سورة الزمر

أغراضها: ابتدأت هذه السورة بما هو كالمقدمة للمقصود، وذلك بالتنويه بشأن القرآن تنويها تكرر في ستة مواضع من هذه السورة؛ لأن القرآن جامع لأغراضها، وأغراضها كثيرة تحوم حول إثبات تفرد الله بالإلهية، وإبطال الشرك فيها.

وإبطال تعليلات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم، ونفي ضرب من ضروب الإشراك وهو زعمهم أن لله ولدًا، والاستدلال على وحدانية الله في الإلهية بدلائل تفرده بإيجاد العوالم العلوية والسفلية، وبتدبير نظامها وما تحتوي عليه مما لا ينكر المشركون انفراده به، والخلق العجيب في أطوار تكون الإنسان والحيوان.

والاستدلال عليهم بدليل من فعلهم وهو التجاؤهم إلى الله عندما يصيبهم الضر، والدعوة إلى التدبر فيما يُلقى إليهم من القرآن الذي هو أحسن القول، وتنبيههم على كفرانهم شكر النعمة.

والمقابلة بين حالهم وبين حال المؤمنين المخلصين لله، وأن دين التوحيد هو الذي جاءت به الرسل من قبل، والتحذير من أن يحل بالمشركين ما حل بأهل الشرك من الأمم الماضية.

وإعلام المشركين بأنهم وشركائهم لا يعبأ بهم عند الله وعند رسول ﷺ فالله غني عن عبادتهم، ورسوله لا يخشاهم ولا يخاف أصناهم؛ لأن الله كفاه إياهم جميعًا، وإثبات البعث والجزاء لتجرى كلّ نفس بما كسبت، وتمثيل البعث بإحياء الأرض بعد موتها.

وضرب لهم مثله بالنوم والإفاقة بعده، وأنه يوم الفصل بين المؤمنين والمشركين، وتمثيل حال المؤمنين وحال المشركين في الحاليتين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

ودعاء المشركين للإقلاع عن الإسراف على أنفسهم، ودعاء المؤمنين للثبات على التقوى، ومفارقة دار الكفر، وخُتمت بوصف حال يوم الحساب.

وتخلل ذلك كله وعيد ووعد، وأمثال، وتهريب وترغيب، ووعظ، وإيماء بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] .. الآية، إلى أن شأن المؤمنين أنهم أهل علم، وأن المشركين أهل جهالة، وذلك تنويه برفعة العلم ومذمة الجهل.

الشرح:

هذه سورة **"الزمر"** مثلما ذكرنا تدور حول **"إخلاص العبادة لله، والتحذير من الشرك، وعبادة الأصنام، ودعوى اتخاذ الله ولدًا"** فهي تدور حول الإخلاص وتدخلها الموضوعات مثلما ذكرنا.

الانتقال إلى: (سورة غافر).

سورة غافر وما بعدها سبع سور كلها افتتحت بـ **"حم"** تسمى **"سور الحواميم"** وتسمى أحيانًا بـ **"سور آل حم"** سبع سور، أولها **"غافر"** وآخرها **"الأحقاف"**، **"غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، والدخان، الجاثية، الأحقاف"** هذه سبع سور كلها مفتتحة بـ **"حم"** وكلها تدور حول القرآن الكريم، كلّ السور الثلاث هذه كلها في تقرير القرآن الكريم وأنه كتاب مُنزل من عند الله، والرد على المشركين في دعواهم أن محمد افترى هذا القرآن.

وأكثر السور هذه السبع في تقرير القرآن هي سورة **"فصلت"** لافتتاحيتها ببيان القرآن، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]، وفي آخرها يقول: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقول المشركين: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، كلها تدور حول هذا.

سورة **"غافر"** في الحقيقة تدور حول قضية **"الحق والباطل"** بين المشركين والمؤمنين أو بين النبي ﷺ والمشركين، وبين ما جرى بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفرعون، ومؤمن آل فرعون، في بيان الحق والباطل، والإيمان والكفر، وأيضًا التحذير من الجدال، الجدال بغير علم، ولذلك السورة تدور حول **"الجدال"** قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: ٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، فهي تدور كلها حول **"الجدال"**.

فنشوف السورة هذه سورة **"غافر"** وأيضًا سورة **"فصلت"** مثلما ذكرنا حول **"القرآن"** أو **"تقرير القرآن"** موقف المشركين منه، ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وبدايتها ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]، ونهايتها قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤].

كلها تدور حول **"إثبات أن القرآن منزل من عند الله"** ولذلك قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

طيب نقرأ هاتين السورتين.

أغراض سورة غافر

أغراض هذه السورة: تضمنت هذه السورة أغراضًا من أصول الدعوة إلى الإيمان؛ فابتدأت بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن كما اقتضاه الحرفان المقتطعان في فاتحتهما كما تقدم في أول سورة البقرة.

وأجرى على اسم الله تعالى من صفات ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه؛ فكانت فاتحة السور مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة.

الشرح:

الديباجة هي المقدمة للشيء، مقدمة الكتاب تسمى ديباجة، يعني تعطيك الفكرة عن السورة كاملة، فكأن قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، كأن هذه مقدمة للسورة، أنها تشتمل على هذه الموضوعات ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]..الخ.

وعقب ذلك بأن دلائل تنزيل هذه الكتاب من الله بينة لا يجحدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسدًا، وأن جدالهم تشغيب، وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة، وتمثيل حالهم بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالًا، ثم التنبيه على آثار استئصالهم، وضرب المثل بقوم فرعون.

وموعظة مؤمن آل فرعون قومه بمواعظ تشبه دعوة محمد ﷺ قومه، والتنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالًا، وإبطال عبادة ما تعبدون من دون الله، والتذكير بنعم الله على الناس؛ ليشكره الذين أعرضوا عن شكره.

والاستدلال على إمكان البعث، وإنذارهم بما يلقون من خوله، وما يترقبهم من العذاب، وتوعدهم بأن لا نصير لهم يومئذٍ، وبأن كبرائهم يتبرؤون منهم.

وتثبيت الله رسوله ﷺ بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد وفاته، وتخلل ذلك الثناء على المؤمنين، ووصف كرامتهم، وثناء الملائكة عليهم، وورد فضل هذه السورة الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم المؤمن إلى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح».

الشرح:

مثلما ذكرنا هذه تدور حول **"القرآن"** و**"الجدال"** و**"بيان الحق من الباطل"** كلها تدور حول هذا.

أغراض سورة فصلت

أغراضها: التنويه بالقرآن، والإشارة إلى عجزهم عن معارضته، وذكر هديه، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل، وتأييده بما أُنزل إلى الرسل من قبل الإسلام، وتلقي المشركين له بالإعراض وصم الآذان.

وإبطال مطاعن المشركين فيه، وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم فلا عذر لهم أصلاً في عدم انتفاعهم بهديه، وزجر المشركين، وتوبيخهم على كفرهم بخالق السموات والأرض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرده بالإلهية.

وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا، ووعيدهم بعذاب الآخرة، وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم، وتحذيرهم من القرناء المزينين لهم الفكر من الشياطين والناس، وأنهم سيندمون يوم القيامة على اتباعهم في الدنيا.

وقوبل ذلك مما للموحدين من الكرامة عند الله، وأمر النبي ﷺ بدفعهم بالتي هي أحسن، وبالصبر على جفوتهم، وأن يستعيذ بالله من الشيطان.

وذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر، ودلائل إمكان البعث؛ وأنه واقع لا محالة، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمن بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين.

وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم، وعبر في تقلبات أهل الشرك والتنويه بإيتاء الزكاة.

الشرح:

مثلما ذكرنا **"فصلت"** تدور حول،، حتى يسميها بعض أهل العلم أو بعض المفسرين **"سورة حم السجدة"**، **"الم السجدة"** و**"حم السجدة"** لاختصاصها بالسجدة من بين الحواميم كلها، ومثلما ذكرنا هي تدور حول القرآن **"بيان عظمة القرآن، وموقف المشركين منه والرد عليهم"** حول هذا الموضوع.

لعلنا نقف عند هذا القدر وإن شاء الله في اللقاء القادم نبدأ بسورة **"الشورى"** وما بعدها بإذن الله.

الله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك في هذا اليوم يوم الأربعاء الموافق ٤ من شهر السادس، من عام ١٤٤٤ من الهجرة، نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

الكتاب الذي بين أيدينا هو (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"**.

وهذا الكتاب مستل من تفسير (التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"** رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وابن عاشور كان يقدم في كلّ سورة مقدمة يبيّن فيها أغراض السورة عما اشتملت عليه، فيتكلم عن أغراض السورة.

نحن وصلنا إلى: (سورة الشورى).

سورة **"الشورى"** لو تقرأها من أولها إلى آخرها هي تتحدث عن **"الحاكمية"** الحاكم هو الله، والحاكم هو شرعه، وأن كلّ ما سوى الله من المحاكمات إذا كانت تخالف شرع الله فهي مرفوضة، فالتحاكم إلى شرعه، وإلى ما أوحى به إلى أنبيائه، وإلى ما شرعه.

ولذلك السورة لو تتأملها وتقرأها تجدها تركز على قضية **"الحكم بما أنزل الله"** حتى مبدأ الشورى إسلامي، ومبني على الشرع، والنبي ﷺ طبق مبدأ الشورى، طبقه، واستشار، حتى لما جاءه الوحي استشاره زوجته، وذهبت به إلى **"ورقة"** ليستشيره.

النبي ﷺ في غزوة بدر استشار الصحابة، في غزوة أحد استشار الصحابة، في صلح الحديبية استشار الصحابة، في الخندق استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان، يعني قضية الشورى مبدأ إسلامي استشارة، وهو من مبادئ الإسلام.

والسورة سميت سورة **"الشورى"** لأنها ركزت على قضية الاستشارة والشورى، وذكرت أن من مبادئ الإسلام الشورى، قال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

بل إن الله وضع مبدأ الشورى بين إقام الصلاة وإيتاء الزكاة أو الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وتلاحظ أنها ابتدأت بالتركيز على الوحي، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧]، وفي آخرها قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، التركيز على الوحي؛ لأن الوحي هو أصل الشورى، هو أصل الحاكمية، تحكم بغير الوحي؟ لابد أن تحكم بما أنزل الله، ولذلك قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣].

طيب نشوف كلام المؤلف الآن؛ فالمؤلف يتوسع ما يعطيك المقصد من السورة أو الهدف فقط؛ بل يعطيك موضوعات ما اشتملت عليه السورة.

أغراض سورة الشورى

أغراض هذه السورة: أول أغراضها الإشارة إلى تحدي الطاعنين في أن القرآن وحي من الله بأن يأتوا بكلام مثله؛ فهذا التحدي لا يخلو عن السور المفتتحة بالحروف الهجائية المقطعة كما تقدم في سورة البقرة.

واستدل الله على المعاندين بأن الوحي إلى محمد ﷺ ما هو إلا كالوحي إلى الرسل من قبله؛ لينذر أهل مكة ومن حولها بيوم الحساب.

وأن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا تُعَارض قدرته، ولا شك في حكمته، وقد خضعت له العوالم العليا ومن فيها، وهو فاطر المخلوقات؛ فهو يجتبي من يشاء لرسالته؛ فلا بدع أن يشرع للأمة المحمدية من الدين مثل ما شرع لمن قبله من الرسل، وما أرسل الله الرسل إلا من البشر يوحي إليهم؛ فلم يسبق أن أرسل ملائكة لمخاطبة عموم الناس مباشرة.

وأن المشركين بالله لا حجة لهم إلا تقليد أئمة الكفر الذين شرعوا لهم الإشراك، وألقوا إليهم الشبهات.

وحذرهم يوم الجزاء، واقتراب الساعة، وما سيلقى المشركون يوم الحساب من العذاب مع إدماج التعريض بالترغيب فيما سيلقاه المؤمنون من الكرامة، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن النبي ﷺ لا يأتي عن الله من تلقاء نفسه، لأن الله لا يقره على أن يقول عليه ما لم يقله.

وذكرت دلائل الوحدانية، وما هو من تلك الآيات؛ نعمة على الناس مثل دليل السير في البحر، وما أوتيه الناس من نعم الدنيا.

وتسلية الرسول ﷺ بأن الله هو متولي جزاء المكذبين وما على الرسول ﷺ من حسابهم من شيء؛ فما عليه إلا الاستمرار على دعوتهم إلى الحق القويم.

ونبههم إلى أنه لا يبتغي منهم جزاءً على نصحه لهم، وإنما يبتغي أن يراعوا أواصر القرابة بينه وبينهم.

وذكرهم نعم الله عليهم، وحذرهم من التسبب في قطعها بسوء أعمالهم، وحرضهم على السعي في أسباب الفوز في الآخرة، والمبادرة إلى ذلك قبل الفوات، فقد فاز المؤمنون المتوكلون، ونوه بجائل أعمالهم وتجنب التعرض لغضب الله عليهم.

وتخلل ذلك تنبيه على آيات كثيرة من آيات انفراده تعالى بالخلق والتصرف المقتضي إنفراده بالآلية وإبطالًا للشرك.

وختمها بتجدد المعجزة الأمية بأن الرسول ﷺ جاءهم بهدي عظيم من الدين، وقد علموا أنه لم يكن ممن تصدى لذلك في سابق عمره، وذلك أكبر دليل على أن ما جاء به أمر قد أوحي إليه به؛ فعليهم أن يهتدوا بهديه فقد وافق مراد الله.

وختم ذلك بكلمة جامعة تتضمن التفويض إلى الله، وانتظار حكمه وهي كلمة ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

الشرح:

مثلما ذكرنا، هو ذكر عدة موضوعات تدور حولها السورة، لكن فيها **"تقرير مبدأ الحاكمية، مبدأ الشورى، مبدأ الحكم بما أنزل الله"** وأن من لم يحكم بما أنزل الله لا يدخل في شرع الله في شيء؛ وإنما الحكم بما أنزل الله، وأن يعتقد أن حكم الله فوق كلّ شيء هذه هي السورة.

سميت **"الشورى"** مثلما ذكرنا يعني مبدأ الشورى والحديث عن الشورى في هذا السورة، وأغراضها كثيرة مثلما ذكر، ولكنها تدور حول هذا الشيء.

ونلاحظ أن سور الحواميم كلها **"غافر"** وبعدها **"فصلت"**، و**"الشورى"** و**"الزخرف"** و**"الدخان"** و**"الأحقاف"** كلها تدور على تقرير القرآن الكريم، وإثبات القرآن الكريم، كلها تجد فيها ذكر القرآن، والتركيز على أن القرآن كلام الله، وأنه منزل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك تجد افتتاحية السور هذه كلها إما ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، أو ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، أو ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، أو تجدها تصرح بالكتاب **"والكتاب"** مثل الزخرف، ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢]، والدخان ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: ١، ٢]، والجاثية ﴿حم ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الجاثية: ١، ٢].

ننتقل إلى: (سورة الزخرف).

"الزخرف" بشكل عام تركز على قضية **"أن شرع الله هو الشرع الحقيقي، وأن دين الله هو فوق كلّ دين"** وأن دين الله هو دين الحنيفية التي دعا إليها إبراهيم، دعا إليها بالتوحيد، وأن ما عليه الكفار من عقائد باطلة، ولذلك قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أو ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، كلّ ذلك باطل.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، واتخاذهم الملائكة معبودات من دون الله أو غيرها، كلّ ذلك باطل.

ثم تُقارن السورة بين العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاشتغال بالدنيا، وأن الدنيا وزخارفها زائلة، ولا تبقى، فقوله هنا مثلاً: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٥]، كلّ ذلك متاع الدنيا يذهب.

عمومًا هي تدور حول هذا في تقرير القرآن، تقرير العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإفراده بالعبادة، وإبطال الشرك والمعبودات من دون الله، وما عليه المشركون، وحجج المشركين الباطلة، ساق الله لنا قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون الذي يعني سخر من موسى قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، يعني ذليل وليس له قيمة، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، يعني لا يكاد يُفصح، يستهزئ به.

وذكرت لنا أيضًا قصة عيسى بن مريم في سياق مختصر، بأن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول من عند الله، وأنه دعا إلى التوحيد، وإلى العبادة، وإلى الشرع.

أغراض سورة الزخرف

أغراضها: أعظم ما اشتملت عليه هذه السورة من الأغراض: التحدي بإعجاز القرآن؛ لأنه آية صدق الرسول ﷺ فيما جاء به، والتنويه به عدة مرات، وأنه أوحى الله به؛ لتذكيرهم، وتكرير تذكيرهم وإن أعرضوا كما أعرض من قبلهم عن رسلهم.

وإذ قد كان باعثهم على الطن في القرآن تعلقهم بعبادة الأصنام التي نهاهم القرآن عنها، وكان من أهم أغراض السور التعجيب في حالهم؛ إذ جمعوا بين الاعتراف بأن الله خالقهم والمنعم عليهم وخالق المخلوقات كلها وبين اتخاذهم آلهة يعبدونها شركاء لله؛ حتى إذا انتقض أساس عندهم اتضح لهم ولغيرهم باطلهم.

وجعلوا بنات لله مع اعتقادهم أن البنات أحط قدرًا من الذكور؛ فجمعوا بذلك بين الإشراك والتنقيص.

وإبطال عبادة كلّ ما دون الله على تفاوت درجات المعبودين في الشرف؛ فإنهم سواء في عدم الإلهية للإلوهية ولبنوة الله تعالى.

الشيخ: قوله: (ولبنوة الله تعالى) أي دعوى أن لله بنات، كيف يقولون الملائكة بنات الله؟! هذا معناه.

وعرج على إبطال حججهم ومعاذيرهم، وسفه تخييلاتهم وترهاتهم،وذكرهم بأحوال الأمم السابقين مع رسلهم، وأنذرهم بمثل عواقبهم، وحذرهم من الاغترار بإمهال الله وخص بالذكر رسالة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

وخص إبراهيم بأنه جعل كلمة التوحيد باقية في جمع من عقبه، وتوعد المشركين، وأنذرهم بعذاب الآخرة بعد البعث الذي كان إنكارهم ووقوعه من مغذيات كفرهم وإعراضهم؛ لاعتقادهم أنهم في مأمن بعد الموت.

وقد رُتبت هذه الأغراض وتفاريعها على نسج بديع، وأسلوب رائع في التقديم والتأخير، والأصالة والاستطراد على حسب دواعي المناسبات التي اقتضتها البلاغة، وتجديد نشاط السامع لقبول ما يلقى إليه.

وتخلل في خلاله من الحجج والأمثال والمثل والقوارع والترغيب والترهيب شيء عجيب، ومع دحض شبه المعاندين بأفانين الإقناع بانحطاط ملة كفرهم وعسف معوج سلوكهم.

وأدمج في خلال ذلك ما في دلائل الوحدانية من النعم على الناس والإنذار والتبشير، وقد جرت آيات هذه السورة على أسلوب نسبة الكلام إلى الله تعالى عدا ما قامت القرينة على الإسناد إلى غيره.

الشرح:

يقول: (وقد جرت آيات هذه السورة على أسلوب نسبة الكلام إلى الله تعالى) يعني أن الله يتكلم عن نفسه، في آيات كثيرة يتحدث عن نفسه، **"وقالوا، وقالوا"** يعني إخبار عن الله عَزَّ وَجَلَّ في آيات كثيرة.

عمومًا هي تتحدث عن **"القرآن"** نعم عن القرآن في أوله، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٣، ٤]، يعني تشريف للقرآن، وتعظيم وتنويه به، وموقف المشركين منه، وموقف المشركين من ربوبية الله، من ربهم؟ من خالقهم؟ قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وآيات كثيرة كلها تدور حول ما ذكرنا في عباداتهم أن الله أبطل ما هم عليه من العبادات والمعتقدات، وأثبت العقيدة الصحيحة التي كان عليها إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهي عقيدة التوحيد والحنيفية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ننتقل إلى: (سورة الدخان).

سورة **"الدخان"** هي كلها سلسة متتابعة، سورة **"الدخان"** مفتتحة بـ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢]، وهي تدور حول **"إثبات الجزاء والحساب والبعث والجنة والنار واليوم الآخر بشكل عام"**.

ومن علامات قرب الساعة هو **"الدخان"** حتى ذكر بعض أهل التفسير في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، أن هذا قرب يوم القيامة،.

وقيل: **"دخان"** أصاب أهل مكة في وقت النبي ﷺ، أنهم أصابهم الدخان، والله أعلم بذلك.

لكنها تدور على قضية **"إثبات البعث"** لأنه تلاحظ في ثنايا السورة كلها تدور على تقرير الجزاء والحساب والجنة والنار حتى ختمت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٠، ٤١].

إلى أن ساق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مصير الطغاة والكافرين، ومصير المتقين، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وتخلل هذا قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وموقف فرعون، وإهلاك فرعون وإغراقه، ونجاة بني إسرائيل، فهذه كلها تدور حولها السورة، ويوضحها لنا الآن.

الطالب: ...

الشيخ: نوع من الدخان، دخان النار يصيب الناس، قيل: إن هذه من علامات الساعة الكبرى خروج الدخان، وقيل: إنه جاء أهل مكة وأصابهم الله بالعذاب، ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٢].

أغراض سورة الدخان

أغراضها: أشبه افتتاح هذه السورة فاتحة سورة الزخرف من التنويه بشأن القرآن وشرفه، وشرف وقت ابتداء نزوله؛ ليكون ذلك مؤذنًا أنه من عند الله، ودالًا على رسالة محمد ﷺ وليتخلص منه إلى أن المعرضين عن تدبير القرآن إلهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر؛ فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب

الجوع، إيقاظًا لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجع فيهم الدلائل العقلية؛ ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله ﷺ دليل على أنه أرسله؛ ليبلغ عنه مراده.

فأنذرهم بعذاب يحل بهم علاوة على ما دعا به الرسول ﷺ تأييدًا من الله له بما هو زائد على مطلبه.

وضرب لهم مثلاً بأمم أمثالهم عصوا رُسل الله إليهم؛ فحل بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لهؤلاء؛ تفصيلاً بقوم فرعون مع موسى، ومؤمني قومه، ودون التفصيل بقوم تُبّع، وإجمالًا وتعميمًا بالذين من قبل هؤلاء.

وإذ كان إنكار البعث وإحالته من أكبر الأسباب التي أغرتهم على إهمال التدبر في مراد الله تعالى ، انتقل الكلام إلى إثباته، والتعريف بما يعقبه من عقوبة المعاندين ومثوبة المؤمنين؛ ترهيبًا وترغيبًا.

وأُدمج فيها فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله وهي ليلة القدر، وأدمج في خلال ذلك ما جرت إليه المناسبات من دلائل الوحدانية، وتأييد الله من آمنوا بالرسل، ومن إثبات البعث.

وختمت بالشد على قلب الرسول ﷺ بانتظار النصر، وانتظار الكافرين القهر.

الشرح:

مثلما ذكرنا هو يذكر الموضوعات التي يمر عليها القارئ في السورة، أنت تقرأ السورة وتمر على عدة موضوعات تعبر عنها السورة، **"التنويه بالقرآن، والتنويه بشأن هذه الليلة التي أنزل فيها القرآن"** قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤].

التحديث عن الدخان وما جرى فيه، قصة موسى، الحديث عن أن الله خلق السماوات والأرض ولم يخلقها بعثًا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ثم الحديث عن الجزاء والحساب، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

ننتقل إلى: (سورة الجاثية).

مثلما ذكرنا هي تابعة لسلسة **"الحواميم السبع"** هي السورة السادسة بالنسبة للحواميم السبع، سورة **"الجاثية"** سميت بـ **"الجاثية"** لذكر لفظ **"الجاثية"** فيها، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨].

ومعنى جاثية أن الإنسان يجثو على ركبتيه من شدة الهول يوم القيامة، ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

وتسمى أيضًا باسم آخر تسمى بـ **"سورة الشريعة"** لذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لفظ الشريعة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨].

وركزت على **"القرآن، والشريعة، وأحكام الله، وإفراد الله بخصائص عظيمة"** قال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ [الجاثية: ٣]، ثم بعد ذلك موقف المعاندين في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

والحديث مثلما ذكرنا عن **"الحكم بما أنزل الله والتمسك بشريعته"** يقابل ذلك **"اتباع الأهواء"** ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، التحذير من اتباع الأهواء المخالفة لشرع الله، المناقضة لشرع الله.

إنكار الكفار البعث، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ثم بيان تقرير البعث والجزاء والحساب، فهي تدور حول **"القرآن"** وحول **"الجزاء والحساب"** وعلى **"وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وانفراده بالخلق والتدبير وعلى شرع الله"** والتركيز على اتباع الشرع، ونبذ اتباع الأهواء، أو نبذ الأهواء المخالفة لشرع الله، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، كما سينبه المؤلف عليه.

أغراض سورة الجاثية

أغراضها: الابتداء بالتحدي بإعجاز القرآن وأنه جاء بالحق، وتوطئة لما سيذكر بأنه حق كما اقتضاه قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٦].

وإثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته في جواهر الموجودات وأعراضها، وإدماج ما فيها من ذلك من نعم يحق على الناس شكرها لا كفرها.

ووعيد الذين كذبوا على الله والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن، والاستهزاء بها.

والتنديد على المشركين؛ إذ اتخذوا آلهة على حسب أهوائهم، وإذ جحدوا البعث، وتهديهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أُعد فيه من العذاب للمشركين، ومن رحمة للمؤمنين.

ودعاء المسلمين للإعراض عن إساءة الكفار لهم، والوعد بأن الله سيخزي المشركين، ووصف بعض أحوال يوم الجزاء.

ونُظِّر الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها، وخالفوا على رسولهم ﷺ فيما في صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم بعد أن جاءهم العلم، وبعد أن اتبعوه؛ فما ظنك بمن خالف آيات الله في أول وهلة؛ تحذيرًا لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم؟ وذلك تحذير بليغ.

وذلك تثبيت للرسول ﷺ بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريع موسى لا نسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها،ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين، ولا بكثرتهم؛ إذ لا وزنن لهم عند الله.

الشرح:

مثلما ذكرنا، والعجيب أن **"الحواميم السبع"** هذه من **"حم"** و**"غافر"** إلى **"الأحقاف"** كلها يذكر فيها قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعني **"غافر"** فصل الله في قصة موسى، والرجل من آل فرعون.

لما نذهب إلى سورة **"فصلت"** ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٤٥]، سورة **"الشورى"** لم يذكر فيها إلا جملة الأنبياء عندما قال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣]، ذكر موسى.

لما تذهب إلى سورة **"الزخرف"** تجد موسى، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الزخرف: ٤٦]، وقصة موسى مع فرعون، وأيضًا في سورة **"الدخان"** قصة موسى، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: ١٧].

وعندنا **"الجاثية"** أيضًا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الجاثية: ١٦]، وبعدها **"الأحقاف"** أيضًا ذكرت قصة موسى، لا هي ذكرت **"عاد"** لكن في حديث عن بني إسرائيل في أولها، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠].

عمومًا سور **"الأحقاف"** هي تقرر قضية ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: ١٢]، وذكر في الأخير موسى، ﴿قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: ٣٠]، موسى بالنص.

فالسور كلها سبحان الله ركزت على ذكر موسى، لماذا تركز على ذكر موسى وبني إسرائيل؟ لأن النبي محمد ﷺ في مكة قصته شبيهة بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد عاش بين ظهراني أهل مكة، وموسى عاش عند فرعون، وخرج محمد ﷺ، وأخرجوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحصل اضطهاد لأصحاب محمد ﷺ، وحصل اضطهاد لأصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعني في تشابه كبير، فرعون هذه الأمة أبو جهل، وفرعون بني إسرائيل، يعني في تشابه كثير.

الطالب: ...

الشيخ: قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قوم عاد ذكرهم الله في سورة **"الأحقاف"**.

طيب سورة **"الأحقاف"** تركز على قضية الإيمان بالقرآن ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، الإيمان بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الإيمان بالرسول، وتخللتها قصة عاد وموقفهم في أصحاب الأحقاف، والتركيز على التشابه بينهم، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وأيضًا تركز على بر الوالدين وأن الله أمر بهذا الخلق العظيم وهو بر الوالدين، وموقف من آمن وصدق ومن كفر، إلى آخره، كلها تدور حول هذا الموضوع، وهي تقرر **"قضايا التوحيد، الإيمان، الرسل"** أي الإيمان بالقرآن، الإيمان بالله، الإيمان بالبعث.



أغراض سورة الأحقاف

أغراضها: من الأغراض التي اشتملت عليها أنها افتتحت مثل سورة الجاثية بما يشير إلى إعجاز القرآن للاستدلال على أنه منزل من عند الله.

والاستدلال بإتقان خلق السماوات والأرض على لتفرد بالإلهية، وعلى إثبات جزاء الأعمال.

والإشارة إلى وقوع الجزاء بعد البعث، وأن هذا العالم صائر إلى فناء، وإبطال الشركاء في الإلهية، والتدليل على خلوهم عن صفات الإلهية، وإبطال أن يكون القرآن من صنع غير الله.

وإثبات رسالة محمد ﷺ واستشهاد الله تعالى على صدق رسالته.

الشرح:

هنا يقول: (وإبطال أن يكون القرآن من صنع غير الله) هل القرآن من صنع الله؟ هل الله صنع القرآن؟ العبارة ما تصح، القرآن كلام الله، وإبطال دعوى أن القرآن مخلوق، أن القرآن مفترى، لكن قوله: (صنع) هذه لا تصح، يعني الذي صنعه غير الله، طيب مفهومها أن الله هو الذي صنعه، فهذا لا ينبغي، وهو ما يقصد هذا، لو سألته الآن لو كان حاضر عندنا، هل القرآن صنعه الله أم صنع البشر؟ لقال: أنا ما قلت أنه صنعه الله، لكن العبارة ركيكة.

وبعدين هو على مذهب الأشاعرة، والأشاعرة يثبتون الكلام لله لكن على غير ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، فهم يعبرون بعبارات أخرى الكلام، لكن لا يثبتون أن الله يتكلم بصوت مسموع وبحروف، ما يثبتون هذا.

أما أهل السنة والجماعة يثبتون أن الله يتكلم كيف شاء بما شاء، ويتكلم بحروف مسموعة وصوت مسموع، قد سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمعه محمد ﷺ، ونادى الملائكة وكلهم بصوت مسموع، هؤلاء يغيرون المعاني ويقولون: هو كلام، لكنه كلام بمعاني ثانية، يقولون: **"الكلام النفساني"** ونحو ذلك، يعني يدخلون في عقائد عقلية مخالفة.

واستشهاد شاهد بني إسرائيل وهو عبد الله بن سلام، والثناء على الذين آمنوا بالقرآن، وذكر بعض خصالهم الحميدة وما يضادها من خصال أهل الكفر وحسدهم الذي بعثهم على تكذيبه.

وذكرت معجزة إيمان الجن بالقرآن، وختمت السورة بتثبيت الرسول ﷺ، وأقحم في ذلك معاملة الوالدين، والذرية مما هو من خلق المؤمنين، وما هو من خلق أهل الضلالة.

والعبرة بضلالهم مع ما كانوا عليه من القوة، وأن الله أخذهم بكفرهم، وأهلك ممًا أخرى؛ فجعلهم عظة للمكذبين، وأن جميعهم لم تغن عنهم أربابهم المكذوبة، وقد أشبهت كثيرًا من أغراض سورة الجاثية مع تفنن.

الشرح:

يعني تدور حول تقرير العقيدة الصحيحة **"الإيمان بالله، والإيمان بالقرآن، والإيمان بالبعث"** كلها حول هذا، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر فيها قصة عاد وقوم هود، وهم أهل الأحقاف، الأحقاف جمع حقف والحقف القطعة من الرمل؛ لأنهم عاشوا في مناطق رملية تسمى **"الأحقاف"**.

بهذا تنتهي **"الحواميم"** وبعدها ننتقل إلى سورة **"محمد"** وتسمى بـ **"سورة القتال"** وبعدها سورة **"الفتح"** يأتي الحديث عنها إن شاء الله في اللقاء القادم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عندنا كتاب (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"** وقفنا عند سورة **"محمد"** والآن نواصل ما توقفنا عنده.

أغراض سورة محمد

أغراضها: معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين؛ لأنهم كفروا بالله وصدوا عن سبيله أي دينه.

وأعلم اله المؤمنين بأنه لا يسدد المشركين في أعمالهم، وأنه مصلح المؤمنين؛ فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم.

وانتقل من ذلك إلى الأمر بقتالهم وعدم الإبقاء عليهم، وفيها وعد المجاهدين بالجنة، وأمر المسلمين بمجاهدة الكفار، وأن لا يدعوهم إلى السلم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم، ووصف الجنة ونعيمها ووصف جهنم وعذابها.

ووصف المنافقين وحال اندهاشهم إذا نزلت سورة فيها الحض على القتال، وقلة تدبرهم القرآن وموالاتهم المشركين.

وتهديد المنافقين بأن الله يبني رسوله ﷺ بسيماهم، وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين، وختمت بالإشارة إلى وعد المسلمين بنوال السلطان، وحذرهم إن صار إليهم الأمر من الفساد والقطيعة.

الشرح:

سورة **"محمد"** أصلاً هي تسمى بـ **"سورة القتال"** فتسميتها بـ **"سورة القتال"** دليل على أن موضوعها هو الجهاد والقتال في سبيل الله، والذي يقرأ السورة يجد فيها من المتقابلات الشيء العجيب،

يذكر الله شيء ويقابله شيء، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ثم يذكر جزاء المتقين، وجزاء الكافرين، في أولها: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ١، ٢]، فتجد فيها مقابلات كثيرة.

الشاهد: هي تحدثت عن: **"الكفار، عن المؤمنين، عن الجهاد، عن المنافقين"** فذكر أعداء الإسلام من الكفار ومن المنافقين، وبيّن كيفية مجاهدة هؤلاء، ومجاهدة هؤلاء، هذه السورة تدور حول هذا المعنى.

ولذلك سورة الفتح قريبة منها جدًا، سورة الفتح كأنها كشف وبيان لهذه السورة، يعني هذه السورة تتكلم عن الجهاد، ثم تطبيق الجهاد في سورة **"الفتح"** كلّ حديثها عن التمسك بالإيمان والطاعة ومجاهدة الكفار.

أغراض سورة الفتح

أغراضها: تضمنت هذه السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية، وأنه نصر وفتح؛ فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين، وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتماد بالبيت، وكان المسلمون عدة لا تغلب من قلة؛ فرأوا أنهم عادوا كالخائنين؛ فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين.

ولتنويه بكرامة النبي ﷺ عند ربه، ووعده بنصر متعاقب، والثناء على المؤمنين الذين عزروه وبايعوه.

الشيخ: قوله: (عزره) يعني نصروه، نصروا النبي وبايعوه.

وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل، ثم ذكر بيعة الحديبية، والتنويه بشأن من حضرها، وفضح الذين تخلفوا عنها من الأعراب ولمزهم بالجن والطمع وسوء الظن بالله، وبالكذب على رسول الله ﷺ.

ومنعتهم من المشاركة في غزوة خيبر، وأنباؤهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر، فإن استجابوا غفر لهم تخلفهم عن الحديبية.

ووعد النبي ﷺ بفتح آخر يعقبه فتح أعظم منه وبفتح مكة، وفيها ذكر بفتح من خيبر كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠].

الشرح:

سورة **"الفتح"** على اسمها، فتح من الله ونصر، هذه السورة نزلت متى؟ نزلت على النبي ﷺ ليلاً في سفره، وهو عائد من الحديبية إلى المدينة، لما عقد الصلح مع أهل مكة رجع، والصحابة أصابهم ما أصابهم من الحزن والكآبة، كيف يأتون محرمين ثم يعودون؟ حتى أن النبي ﷺ يقول لهم: «**انحروا وتحللوا**»، كأنهم لم يتعجلوا الأمر.

فدخل على أم سلمة فقال: «**إني آمرهم أن يتحللوا وأن ينحروا**»، فقالت أم سلمة: «**انحر واحلق وتحلل وسيبادرون**»، ففعل النبي ﷺ ذلك.

الشاهد من الكلام: أنه أصابهم ما أصابهم يعني يصلون على حدود مكة، الحديبية قريبة جدًا من مكة، على حدود الحرم، حتى أن النبي ﷺ كان إذا جاء وقت الصلاة دخل في الحرم وصلى، ثم عاد إلى مكان الحديبية، قريبة جدًا من حدود الحرم.

فوصل على أطراف مكة ثم تأتي قريش فتمنعه مع أنها ما تمنع غيره، وتمنعه فيرجع ﷺ، فأنزل الله عليه هذه الآية وهذه السورة، قال النبي ﷺ لعمر: «**يا عمر أنزلت علي البارحة سورة هي خير لي مما طلعت عليه الشمس**»، فقرأ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "**كيف فتح؟ نرجع إلى المدينة وفتح؟**" قال النبي ﷺ: «**فتح**»، ففتح الله لهم.

السورة تحدثت عن ثلاث غزوات:

١. صلح الحديبية.

٢. فتح خيبر.

٣. فتح مكة.

فتحدثت عن هذه، وكلها تدور حول الفتح، وحول النصر للمؤمنين، وأيضًا تمكين المؤمنين، والغلبة هم، وأيضًا انهزام المشركين وإن كان في ظاهره أن المشركين فرحوا بذلك، وأنهم أرجعوه وإلى آخره، ولكن هذا كان فتحًا؛ لأنه لما عقد صلح الحديبية وكان من بنود هذا الصلح أن تضع الحرب أوزارها عشر سنوات.

فبدأ الناس يخرجون ويتنقلون ولا أحد يتعرض لهم، لا أهل مكة ولا أحد من الصحابة، فدخل في الإسلام عدد كبير.

و"**الحجرات**" قريبة منها، سورة "**الفتح**" النبي ﷺ أثنى على الصحابة في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، لما أثنى عليهم جاءت هذه السورة في الثناء على النبي ﷺ، وحقوق النبي ﷺ، وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض، وهي سورة "**الآداب والأخلاق**" سورة "**الحجرات**" هي سورة "**الآداب والأخلاق**".

الأدب مع الله ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات: ١]، الأدب مع الرسول، الأدب مع المؤمنين بعضهم ببعض.

أغراض سورة الحجرات

أغراض هاته السورة: تتعلق أغراضها بحوادث جدت متقاربة كانت سببًا لنزول ما فيها من أحكام وآداب.

وأولها تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي ﷺ في معاملته، وخطابه وندائه دعا إلى تعليمهم إياها ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء الأعراب لما نادوا الرسول ﷺ من بيوته كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

ووجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتثبت في نقل الخبر مطلقًا، وأن ذلك من خلق المؤمنين، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وتطرق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين، والإصلاح بينهم لأنهم أخوة، وما أمر الله به من آداب حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم في السر والعلانية، وتخلص من ذلك إلى التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة الأعراب؛ تقويمًا لأود نفوسهم.

الشرح:

مثلما ذكرنا سورة **"الحجرات"** كما سماها بعض السلف سورة **"الآداب والأخلاق"** الأدب مع الله، والأدب مع الرسول، والأدب مع المؤمنين بعضهم ببعض، وما يتعلق بالسخرية والاستهزاء واللمز والغيبة ونحو ذلك، ففيها كلّ الآداب.

أغراض سورة ق

أغراضها هاته السورة:

أولها: التنويه بشأن القرآن.

ثانيها: أنهم كذبوا الرسول ﷺ لأنه من البشر.

ثالثها: الاستدلال على إثبات البعث، وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيها وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والمثار من ماء السماء، وأن ذلك مثل للإحياء بعد الموت.

الرابع: تنظير المشركين في تكذيبهم بالرسالة والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحل بهم ما حل بأولئك.

الخامس: الوعيد بعذاب الآخرة ابتداءً من وقت احتضار الواحد، وذكر هول يوم الحساب.

السادس: وعد المؤمنين بنعم الآخرة.

السابع: تسلية النبي ﷺ على تكذيبهم إياه، وأمره بالإقبال على طاعة ربه، وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة، وأن الله لو شاء لأخذهم من الآن، ولكن حكمة الله قضت بإرجائهم، وأن النبي ﷺ لم يكلف بأن يكرهم على الإسلام، وإنما أمر بالتذكير بالقرآن.

الثامن: الثناء على المؤمنين بالبعث بأنهم الذين يتذكرون بالقرآن.

التاسع: إحاطة علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس.

الشرح:

يعني سورة مكية، سورة **"ق"** تتحدث عن **"موقف المشركين من القرآن، من الرسول ﷺ، من البعث"** هذه السور المكية غالبًا تدور حول هذه القضايا، موقفهم من وحدانية الله يشركون بالله، موقفهم من الرسول يكذبون بالرسول ولا يؤمنون برسالته، موقفهم من القرآن يكذبون بالقرآن، موقفهم من البعث ينكرون البعث، كلّ السور المكية تدور حول هذا.

وسورة **"ق"** هي بداية ما يسمى بالمفصل، المفصل من القرآن، ومثلما ذكر هنا، فهو جمعها في تسع نقاط، كلها تتحدث عن السورة، وهي في الحقيقة هي تركز على قضية البعث، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٣، ٤].. الخ.

وضرب الله المثل بخلق السماوات والأرض وإنزال المطر، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، كلّ هذا يدل على قدرة الله على البعث.

ثم ذكر لهم موقف الأمم السابقة لما كفروا، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ [ق: ١٢، ١٣]، .. الخ.

ماذا كان مصيرهم لما كذبوا رسلهم؟ أهلكهم الله، فهي رسالة لأهل مكة أن يحذروا من هذا الأمر.

أغراض سورة الذاريات

أغرض هذه السورة: احتوت على تحقيق وقوع البعث والجزاء، وإبطال مزاعم المكذبين به وبرسالة محمد ﷺ ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت ووعيدهم بعذاب يفتنهم.

ووعد المؤمنين بنعيم الخلد، وذكر ما استحقوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان، ثم الاستدلال على وحدانية الله، والاستدلال على إمكان البعث، وعلى أنه واقع لا محالة بما في بعض المخلوقات التي يشاهدونها، ويحسون بها دالة على سعة قدرة الله تعالى وحكمته على ما هو أعظم من إعادة خلق الإنسان بعد فنائه، وعلى أنه لم يخلق إلا لجزائه.

والتعريض بالإنذار بما حاق بالأمم التي كذبت رسل الله، وبيان الشبه التام بينهم وبين أولئك.

وتلقين هؤلاء المكذبين الرجوع إلى الله، وتصديق النبي ﷺ ونبذ الشرك، ومعذرة الرسول ﷺ من تبعة إعراضهم، والتسجيل عليهم بكفران نعمة الخلق والرزق، ووعيدهم على ذلك بمثل ما حل بأمثالهم.

أغراض سورة الطور

أغراض هذه السورة: أول أغراض هذه السورة التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمشركين المكذبين بالنبي ﷺ فيما جاء به من إثبات البعث وبالقرآن المتضمن ذلك فقالوا: هذا سحر.

ومقابلة وعيدهم بوعد المتقين المؤمنين، وصفة نعيمهم، ووصف تذكرهم خشية، وثنائهم على الله بما من عليهم، فانتقل إلى تسلية النبي ﷺ وإبطال أقوالهم فيه وانتظارهم موته.

وتحديهم بأنهم عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، وإبطال خليط من تكاذيبهم بإعادة الخلق، وببعثة رسول ليس من كبرائهم، ويكون الملائكة بنات الله، وإبطال تعدد الآلهة، وذكر استهزائهم بالوعيد.

وأمر النبي ﷺ بتركهم وأن لا يحزن لذلك؛ فإن الوعيد حال بهم في الدنيا ثم في الآخرة، وأمره بالصبر ووعده بالتأييد، وأمره بشكر ربه في جميع الأوقات.

الشرح:

مثلما ذكرنا من سورة **"الذاريات"** إلى نهاية هذا الجزء، يعني جزء **"الذاريات"** و**"ق"** قبلها إلى سورة **"الحديد"** تقريبًا أو قبل الحديد إلى **"الواقعة"** سور كلها مكية كلها تتحدث عن الأغراض التي ذكرناها، **"الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، بالرسل، بالقرآن"**.

ولذلك سورة **"الذاريات"** ركزت على أي شيء؟ على أن هذا الدين واقع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥، ٦]، وما توعدون من الجزاء والحساب والجنة والنار والبعث كلّ ذلك.

ثم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر قصصًا من الأمم الماضية، قصة إبراهيم، وقصة لوط، وقصة موسى، إلى آخر القصص التي ذكرها، كلّ هذه رسالة لهم، تهديد لهم أن يؤمنوا بهذا القرآن أو يؤمنوا بالرسول ﷺ، ويؤمنوا بالبعث والجزاء والجنة والنار.

سورة **"الطور"** تهديد أيضًا شديد لهم، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨]، وعرض لمصير الكفار، ثم عرض للمتقين، ثم محاجة هؤلاء المشركين على ما كانوا عليه من اعتراضات.

لعل نقف عند هذا القدر وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمله الكتاب الجليل القدر المفيد في أغراض السور، وإن شاء الله في اللقاء القادم عندنا سورة **"النجم"** وما بعدها بإذن الله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثم بسم الله والحمد لله وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وهذا اليوم يوم الأربعاء الموافق٢٥ من الشهر السادس، من عام ١٤٤٤من الهجرة.

درسنا المعتاد بعد صلاة العشاء في كتاب (أغراض السور) من خلال تفسير (التحرير والتنوير) لـــ **"ابن عاشور"** ابن عاشور يتعرض لأغراض السور، وبيّن لكل سورة عما تتحدث هذه السورة في تفسيره، فاستلت هذه الأغراض وجعلت في كتاب مستقل، هذا الكتاب يتكلم عن أغراض السور، قرأنا فيه ووصل بنا الكلام عند سورة **"النجم"**.

أغراض سورة النجم

أغراض هذه السورة: أول أغراضها تحقيق أن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن الله وأنه منزه عما ادعوه، وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل.

وتقريب صفة نزول جبريل بالوحي في حالين زيادة في تقرير أنه وحي من الله واقع لا محالة، وإبطال إلهية أصنام المشركين، وإبطال قولهم في اللات والعزى ومناة بنات الله، وأنهم أوهام لا حقائق لها، وتنظير قولهم فيها بقولهم في الملائكة أنهم إناث.

وذكر جزاء المعرضين والمهتدين وتحذيرهم من القول في هذا الأمور بالظن دون حجة، إبطال قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة، وأن ذلك ضلال في الرأي قد جاءهم بضده الهدى من الله.

وذُكر لذلك مثال من قصة الوليد بن المغيرة، أو قصة ابن أبي السرح، وإثبات البعث والجزاء، وتذكيرهم بما حل بالأمم ذات الشرك من قبلهم، وبمن جاء من قبل محمد ﷺ من الرسل أهل الشرائع، وإنذارهم بحادثة تحل بهم قريبًا.

وما تخلل ذلك من معترضات ومستطردات لمناسبات ذكرهم عن أن يتركوا أنفسهم، وأن القرآن حوى كتب الأنبياء السابقين.

الشرح:

السورة بشكل عام هي تتحدث وتركز على **"قضية الوحي"** وأن ما جاء به النبي ﷺ حق ووحي من الله، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، وأن كلّ ما يقوله الرسول ﷺ فهو وحي يوحى إليه، سواء كان الوحي راجعًا إلى القرآن، أو إلى السنة، فالقرآن اللفظ والمعنى من الله، والسنة اللفظ من النبي ﷺ والمعنى من الله، وكلاهما وحي، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

فالسورة تؤكد على قضية الوحي وأن ما جاء في هذا القرآن كله حقائق، ما جاء في هذه السورة من إثبات رسالة النبي ﷺ وإلى حصل له من رؤية الجنة سدرة المنتهى، وما حصل له من الإسراء والمعراج كله حق.

وأن هذه الآلهة المزعومة آلهة باطلة، وظنون المشركين واعتقاداتهم باطلة في الملائكة بأنها بنات الله أو نحو ذلك، كلّ ذلك باطل.

ثم عرضت السورة إلى موقف بعض المشركين كما ذكر هنا قصة الوليد بن المغير أو قصة ابن أبي السرح في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۝٣٣ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۝٣٤ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم: ٣٣ - ٣٥]، فهذه قيل: نزلت فيه، والعبرة بعموم اللفظ.

ثم عرضت السورة باختصار للأمم الماضي التي أهلكها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۝٥٠ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: ٥٠ - ٥٢]، كلّ هذه لبيان عاقبة كلّ من أعرض عن القرآن الكريم.

فالسورة تدور حول **"قضية الوحي"** وأن الوحي حق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، ثم قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]، دل على أن رسالة النبي رسالة هداية، وكأنها نجم أضاء على الأرض، وسطع بنوره على الأرض.

تأتينا بعدها سورة **"القمر"** وتلاحظ التآخي بين السورتين؛ هذه **"نجم"** وهذه **"قمر"** هذه تحدثت عن الأمم الماضية كيف أهلكها الله؟ وهذه تفصل تفصيلاً دقيقًا في عاقبة المنذرين الذين أنذروا وكفروا بالله.

أغراض سورة القمر

أغراض هذه السورة: تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن مكابرتهم، وإنذارهم باقتراب القيامة، وبما يلقونه حين البعث من الشدائد.

وتذكيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا؛ لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون مثل ما لقي أولئك؛ إذ ليسوا خيرًا من كفار الأمم الماضية، وإنذارهم بقتال يهزمون فيه، وثم لهم عذاب الآخرة وهو أشد.

وإعلامهم بإحاطة الله علمًا بأفعالهم، وأنه مجازيهم شر الجزاء، ومجاز المتقين خير الجزاء، وإثبات البعث، ووصف بعض أحواله، وفي خلال ذلك تكرير التنويه بهدي القرآن وحكمته.

الشرح:

تلاحظ أن السورة افتتحت بمعجزة حسية وقعت للنبي ﷺ، وأعطاها الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه احتجاجًا على الكفار، لما احتجوا عليه فقالوا: أرنا آية حسية، قال: «**ماذا تريدون؟**»، قالوا: نريد أن تشق لنا القمر شقين، فدعا النبي ﷺ أن ينشق القمر شقين، فشق الله القمر شقين أو فلقتين فلقة في الشرق وفلقة في الغرب، فقالوا: إن محمد سحرنا، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، مستمر يعني قوي، فقالوا: هذا سحر.

فقال النبي ﷺ: «**إذا كنت سحرتكم اسألوا المسافرين الذين يأتونكم بعد يوم أو يومين اسألوهم عن هذه الليلة**»، فلما أقبل المسافرون قالوا: هل رأيتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم، قال المشركون: إن محمد سحرنا وسحر أيضًا المسافرين، فالقضية قضية عناد.

الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر لهم قصص الأنبياء السابقين، وأنهم دعوا ربهم، وأنهم صبروا، والنتيجة أن الله أهلك من عاندهم وكفر بهم، وبيّن يسر هذا القرآن وسهولته، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

فكلها تدور على إهلاك المعاندين الأقوام الذين عاندوا أنبيائهم وكفروا أهلكهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولم يبق منهم أحدًا، ذكر الله قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصة هود مع عاد، وقصة صالح مع ثمود، ولوط

مع قومه، وموسى مع فرعون، خمسة أنبياء ذكرهم الله قصصًا متتالية مرتبة حسب التاريخ، وكلهم جاءتهم عقوباتهم، هذه السورة تتحدث عن هذا الأمر.

أغراض سورة الرحمن

أغراض هذه السورة: ابتدأت بالتنويه بالقرآن قال في الكشاف: أراد الله أن يقدم في عدد آلائه أول شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه، وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين؛ فقدم من نعمة الدين ما هو أعلى مراتبها، وأقصى مراقبها، وهو إنعامه بالقرآن، وتنزيله، وتعليمه، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان.

وتبع ذلك من التنويه بالنبي ﷺ بأن الله هو الذي علمه القرآن، ردًا على مزاعم المشركين الذين يقولوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وردًا على مزاعمهم أن القرآن أساطير الأولين، أو أنه سحر، أو كلام كاهن أو شاعر.

ثم التذكير بدلائل قدرة الله تعالى فيما أتقن صنعه مدمجًا في ذلك التذكير بما في ذلك كلهم من نعم على الناس، وخلق الجن وإثبات جزائهم.

والموعظة بالفناء وتخلص من ذلك إلى التذكير بيوم الحشر والجزاء، وختمت بتعظيم الله والثناء عليه، وتخلل ذلك إدماج التنويه بشأن العدل، والأمر بتوفية أصحاب الحقوق حقوقهم، وحاجة الناس إلى رحمة الله فيما خلق لهم، ومن أهمها نعمة العلم ونعمة البيان، وما أعد من الجزاء للمجرمين، ومن الثواب والكرامة للمتقين، ووصف نعيم المتقين.

ومن بديع أسلوبها افتتاحها الباهر باسم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: ١]، وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله ثم يتقدمه غيره.

ومنه التعداد في مقام الامتنان والتعظيم، بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، إذ تكرر فيها إحدى وثلاثين مرة، وذلك أسلوب عربي جليل كما سنبينه.

الشرح:

سورة **"الرحمن"** يعني اسم الرحمن هو من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إشارة إلى أن هذه السورة تضمنت كثير من رحمات الله عَزَّ وَجَلَّ، ونعم الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن نعمه الدينية ونعمه الدنيوية والأخروية، ما يتعلق بالدين والدنيا والآخرة.

وجاءت على نمط التثنية، كلها على نمط التثنية، يعني كثير من الآيات جاءت بصيغة التثنية، ﴿جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]، ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]، وكلها جاءت على هذه الطريقة، ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الجن والإنس مثنى وهكذا، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن: ١٣]، أي أيها الجن والإنس.

وجاءت بهذا الترتيب، ذكر الله فيها أولًا نعمة القرآن ونعمة الدين، ثم نعم الدنيا مما يتعلق بما أخرجه الله للناس من الحبوب والعصف والريحان، وخلق الإنسان، وخلق الجن، والحديث عن هذا كله، والجواري التي في البحر، والشمس والقمر، كلّ هذه نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده، على ما أنعم عليهم.

ثم عرضت السورة لمصير الفريقين وأن كلّ من على هذه الأرض سيفنى، ولا يبقى إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الواحد الأحد، ثم عرضت لمصير هؤلاء ومصير هؤلاء، مصير أهل الشر والضلال والعناد، وأن جهنم تنتظرهم، ومصير أهل الخير والصلاح، وأن لكل جنتان، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

فهذه السورة كلها تدور حول **"الرحمة، والرحمات، والنعم، نعمة الدين ونعمة الآخرة"** ولذلك كرر الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ [الرحمن: ٤٥]، أي نعم، آلاء يعني نعم، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٥]، أي نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك النبي ﷺ لما قرأ على الصحابة قال: «**ماذا تقولون؟ سكتوا، فقال: إن الجن كانوا خيرًا منكم، لما قرأتها على الجن قالوا: والله يا ربنا لا نكذب بنعمة من نعمك**»، فهذه السورة سورة **"النعم والرحمة"**.

والسورة التي تليها هي سورة **"الواقعة"** وهي قريبة جدًا في عرضها لليوم الآخر ومصير أهل الخير وأهل الشر.

أغراض سورة الواقعة

أغراض هذه السورة: التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه، ووصف ما يعرض لهذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة، ثم وصفة أهل الجنة وبعض نعيمهم، وصفة أهل النار وما هم فيه من العذاب، وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث.

وإثبات الحشر والجزاء والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن.

والاستدلال بدلائل قدرة الله تعالى والاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد، والناس كارهون لا يستطيع أحد منعها من لخروج على أن الذي قدر على نزعها بدون مُدافع قادر على إرجاعها متى أراد أن يميتهم.

وتأكيد أن القرآن منزل من عند الله، وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم، فلم يشكروها وكذبوا بما فيه.

الشرح:

السورة لو تتأملها أولًا عنوانها واضح **"الواقعة"** و**"الواقعة"** اسم من أسماء يوم القيامة، هذا الأمر الأول.

والسورة قسمت إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مصير الخلق يوم القيامة عند الله، وأن منهم الفائز بجنات النعيم وهم المقربون، ومن هم تحت المقربين وهم أصحاب اليمين، ثم أصحاب الشمال.

وأن أهل السعادة السعداء على قسمين:

١. مقربون هم أعلى درجة.

٢. وأصحاب اليمين وهم الذين تحت المقربين وهم الأبرار، ويقابل هؤلاء الكفار المعاندين أهل النار.

فعرضت لهؤلاء، وهذا يوم القيامة، كما أنها عرضت في الأخير أيضًا لمصير الناس عند خروج الروح، وعندما يكون الإنسان يخرج من هذه الدنيا ليكون مستقرًا في عالم البرزخ عالم القبر، فذكرت أيضًا أصحاب اليمين، وذكرت المقربين،وذكرت أصحاب الشمال في آخر السورة، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١]، إلى آخر السورة.

أما في وسطها فذكر الله فيها آيات عظيمة تدل على قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي الخلق خلق الناس، وأنهم خلقوا من ماء مهين، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، وذكرته الطعام والشراب لهم، وأيضًا آلة الإيقاد وهي النار كلها ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي تدل على قدرة الله الباهرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في خلق هذه الأشياء.

أغراض سورة الحديد

أغراضها: الأغراض التي اشتملت عليه هذه السورة: التذكير بجلال الله تعالى وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله ﷺ، وما أنزل عليه من الآيات البينات.

والتنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه، والتحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله.

والتخلص إلى ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من خير، وضد ذلك للمنافقين والمنافقات، وتحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب.

الشيخ: قوله: (مهواة قساوة القلوب) يقصد الهاوية، هاوية الشيء يعني ما يسقط فيه الإنسان ويهوى فيه.

التي وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم وجر ذلك إلى الفسوق كثيرًا منهم.

والتذكير بالبعث، والدعوة إلى قلة الاكتراث بالحياة الفانية، والأمر بالصبر على النوائب، والتنويه بحكمة إرسال الرسل والكتب؛ لإقامة أمور الناس على العدل العام، والإيمان إلى فضل الجهاد في سبيل الله.

وتنظير رسالة محمد ﷺ برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام، على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين، وأن الله أتبعهما برسل آخرين منهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سنة من سبقهم، منهم مؤمن، ومنهم كافر.

ثم أهاب المسلمين أن يخلصوا الإيمان؛ تعريضًا بالمنافقين، ووعدهم بحسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء.

الشرح:

السورة سورة **"الحديد"** لماذا سميت بسورة الحديد؟ لذكر لفظ الحديد فيها، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

لما تتأمل السورة تجد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في وسطها: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، ثم يذكر أن أهل الكتاب قست قلوبهم، فكأن السورة تدور حول ما هو سبب في أن تلين القلوب، أسباب كون القلوب تلين، أو أسباب ما تكون القلوب لينة وهينة وتتقبل، وما سبب قسوة القلوب؟ كيف يزيل المؤمن قسوة القلب؟ تلاحظ أن السورة تؤكد على قضية **"الإنفاق في سبيل الله، والإيمان، والجهاد"** كلّ هذه هي من أقوى أسباب تليين القلوب، وجعلها لينة طيبة تتقبل مطمئنة، بعيدة عن القسوة.

فالذين أوتوا الكتاب قست قلوبهم، والمؤمنون يحثهم لله أن تخشع قلوبهم لذكر الله، ويقول: ألم يحين ويأتي وقع الخشوع؟ متى يأتي وقت الخشوع؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

فكلها حول القلوب، وأولها في تعظيم الله وصفاته وجلاله والإنفاق في سبيل الله، كلّ هذا أسباب تليين القلوب، فكأن السورة تقول: **"أيها المؤمن لا يكون قلبك كالحديد في قسوته؛ بل يكون لينًا يتقبل الحق ويذعن له ويخشع له"** فهي تدور حول هذا الشيء.

بعدها ينتهي هذا الجزء ويبقى أمامنا الأجزاء الثلاث الأخيرة وهو ما يسمى بعشر القرآن وهي من لمجادلة إلى الناس، إن شاء الله في اللقاء القادم ندخل على هذا العشر الأخير والأجزاء الثلاثة بإذن الله نكمل فيها ما تبقى من هذا الكتاب المبارك، نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا.

أغراض سورة المجادلة

أغراض هذه السورة: الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراده الله، وأنه من أوهام وزورهم التي كتبهم الله بإبطالها، و تخلص من ذلك إلى ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين، ليغيظوهم ويحزنوهم.

ومنها موالاتهم اليهود وحلفهم على الكذب، وتخلل ذلك التعرض لآداب مجلس الرسول ﷺ وشرع التصديق قبل مناجاة الرسول ﷺ، والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين، وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون.

الشرح:

هذه السورة سورة **"المجادلة"** وهي السورة التي ذكر الله فيها حكم الظهار، وهو أهم الأحكام التي أوردها الله في هذه القصة، حكم الظاهر هو الذي قال الرجل لامرأته: **"أنت علي كظهر أمي"** أو قال: **"أنت علي حرام"** أو نحو ذلك، فقد ظاهر من امرأته فلا يجوز له أن يعود إليها إلا بعد أن يكفر كفارة الظهار التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي مرتبة:

١. أن يعتق رقبة.

٢. فإن لم يجد صام شهرين متتابعين لا يفصل بينهما بيوم أن يفطر.

٣. فإن عجز عن ذلك أو أضره الصيام انتقل إلى إطعام ستين مسكينًا.

القصة جاءت أن هذه المرأة وهي خولة بنت ثعلبة وزوجها ابن الصامت، جاءت إلى النبي ﷺ تشتكي زوجها، لأنها مكثت معه مدة طويلة، تقول: **"نثرت ما في بطني من الأولاد، وأفنى شبابي"**.

أعيد مرة ثانية:

سورة **"المجادلة"** هي تتحدث عن هذه المرأة، وما جرى لها مع زوجها لما ظاهرها وحرمها على نفسه، فنزل حكم الظهار، وأنه كان في الجاهلية الظهار أي الطلاق، إذا ظاهر الرجل من امرأته انفصلت عنه، فجاء الإسلام وهون هذه القضية فجعل الظهار حكمًا محرمًا لا يجوز، وأن من وقع فيه من المسلمين؛ فإن عليه كفارة ظهار وهي مرتبة مثلما هو معلوم:

١. عتق رقبة.

٢. فإذا لم يجد وعجز عنها انتقل إلى صيام شهرين متتابعين لا يفطر.

٣. فإن عجز عن ذلك أطعم ستين مسكينًا، ثم يعود إلى امرأته.

وأما قبل ذلك فلا يجوز أن يمسها كما قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

هذه قصة وقعت للنبي ﷺ مع هذه المرأة، وهي خولة بنت ثعلبة لما جاءت تشتكي زوجها، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كانت عندي النبي ﷺ تحاوره وتجادله في زوجها وكنت أنا في الحجرة ما كنت أسمع شيئًا كثيرًا من كلامها، وهي تحاوره، والله عَزَّ وَجَلَّ قد وسع سمعه السماوات والأرض، فسمعها، الله عَزَّ وَجَلَّ سمعها كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

فالله مطلع وسامع، لما جاء حديث هذه المرأة بصوتها الخافض ونحوه، ساق الله لنا أحكم المناجاة، وأن المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم على وجه الاستهزاء والسخرية والضحك، فجاء بين القرآن أن هذه المناجاة التي تقع منهم مناجاة محرمة، وبيّن لنا أحكام المناجاة وأن الله يعلم، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧]، إلى آخر الآيات.

فبيّن أحكامها وأن النجوى من الشيطان ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]، وبيّن أحكام المناجاة أنه إذا تناجي المؤمنين أن يتناجوا بالبر والتقوى، ولا يتناجوا بالإثم والعدوان.

وبيّنت أيضًا مناجاة النبي ﷺ خاصة، وأن من أراد أن يناجي النبي ﷺ أن يقدم صدقة، ثم نسخ هذا الحكم، ثم لما ذكرت مناجاة المنافقين بينت موقف المنافقين من موالاتهم لليهود والكفار عمومًا، السورة تتحدث عن هذا، فهي تدور حول المناجاة وحول ما يتعلق بذلك من صفات المنافقين.

أغراض سورة الحشر

أغراض هذه السورة: وقع الاتفاق على أنها نزلت في شأن بني النضير،ولم يعينوا على ما هو الغرض الذي نزلت فيه، ويظهر أن المقصد منها حكم أموال بني النضير بعد الانتصار عليهم، كما سنبينه في تفسير الآية الأولى منها.

وقد اشتملت على أن ما في السماوات وما في الأرض دال على تنزيه الله، وكون ما في السماوات والأرض ملكه وأنه الغالب المدبر.

وعلى ذكر نعمة الله على ما يسر من إجلاء بني النضير مع ما كانوا عليه من المنعة والحصون والعدة، وتلك آية من آيات الله تأييد رسول الله ﷺ وغلبته على أعدائه، وذكر ما أجراه المسلمون من إتلاف أموال بني النضير وأحكام ذلك في أموالهم، وتعيين مستحقيه من المسلمين.

وتعظيم شأن المهاجرين والأنصار، والذين يجيئون بعدهم من المؤمنين، وكشف دخائل المنافقين ومواعديهم لبني النضير أن ينصروهم، وكيف كذبوا وعدهم، وأنحى على بني النضير والمنافقين بالجبن وتفرق الكلمة، وتنظير حال تغرير المنافقين لليهود بتغرير الشيطان للذين يكفرون بالله، وتنصله من ذلك يوم القيامة، فكان عاقبة الجميع الخلود في النار.

ثم خاطب المؤمنين بالأمر بالتقوى، والحذر من أحوال أصحاب النار، والتذكير بتفاوت حال الفريقين، وبيان عظمة القرآن، وجلالته واقتضائه خشوع أهله.

وتخلل ذلك إيماء إلى حكمة شرائع وانتقال الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظمها الإسلام بحيث لا تشق على أصحاب الأموال، والأمر باتباع ما يشرعه الله على لشان رسوله ﷺ.

وختمت بصفات عظيمة من الصفات الإلهية، وأنه يسبح له ما في السماوات والأرض؛ تزكية لحال المؤمنين، وتعريضًا بالكافرين.

الشرح:

الآن هذا الجزء يسمى الجزء الثامن والعشرين، وهو العشر الأخير من القرآن، ويسمى بجزء **"قد سمع"** هذا الجزء من أوله إلى آخره كله سور مدنية، ونعرف أن السور المدنية لها أسلوب ولها أغراض،

ومن أهم أغراضها: **"الحديث عن المنافقين الحديث عن اليهود"** ولذلك السورة اشتملت على الكثير من أحكام اليهود والمنافقين، وموالاة هؤلاء، أو موالاة بعضهم ببعض، أو موالاة الكفار.

فتجد سورة **"المجادلة"** تكلم الله فيها عن موالاة المنافقين لليهود، وهذه السورة أيضًا الحديث فيها عن موالاة المؤمنين بعضهم لبعض كالمهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، وموالاة المنافقين الذين نافقوا وتولوا اليهود.

تأتيك سورة **"الممتحنة"** بعدها في الموالاة، موالاة الكفار، وهكذا تجد أكثر السورة هذه في الجزء هذا حديث عن اليهود والنصارى وأحكام الموالاة، هذه السورة سورة **"الحشر"** المراد بالحشر هنا يعني حشر هؤلاء اليهود في الشام، بأن الله سيحشرهم لأول الحشر، وهو حشر هؤلاء في هذا المكان، وتسمى كما في قول ابن عباس وغيره: بـ **"سورة بني النضير"** لأن هذه الطائفة طائفة بني النضير هي التي نقضت العهد مع الرسول ﷺ.

وطوائف اليهود ثلاثة:

١. طائفة بني النضير.

٢. وطائفة بني قريظة.

٣. وطائفة بني قينقاع.

فبني النضير خانوا، متى؟ بعد غزوة أحد، أما بني قينقاع فقد خانوا بعد بدر، وهؤلاء أجلاهم النبي ﷺ، أخرجهم من المدينة، فكانوا يخربون بيوتهم ويهدمونها، وحملوا ما حملوا معهم وتركوا البقية للمسلمين، فأصبح ما تركوه فيئًا للمسلمين، والفيء ما يحصل للمسلمين من غير جهاد، ولذلك ذكر الله أحكام الفيء ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧]، وأن المسلمين ما أوجفوا عليها لا خيل ولا ركاب.

فهي تتحدث عن هذه الأحكام **"أحكام اليهود، وأحكام الفيء وما تركوه، وتعظيم شأن المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، وأن كلمتهم واحدة، وأن الله آخى بينهم، وأن هؤلاء المنافقين يوالون الكفار، ويوالون اليهود"** هذه السورة تدور حول هذا الأمر.

أغراض سورة الممتحنة

أغراض هذه السورة: اشتملت من الأغراض على تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء مع أنهم كفروا بالدين الحق، وأخرجوهم من بلادهم.

وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال، وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالفعل والقول، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين، وضرب لهم مثلاً في ذلك قطيعة إبراهيم لأبيه وقومه.

وأردف ذلك باستئناس المؤمنين برجاء أن تحصل مودة بينهم وبين الذين أمرهم الله بمعاداتهم أي هذه معاداة غير دائمة.

وأردف بالرخصة في حسن معاملة الكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين قتال عداوة في دين ولا أخرجوهم من ديارهم.

وهذه الأحكام إلى نهاية الآية التاسعة، وحكم المؤمنات اللائي يأتين مهاجرات، واختبار صدق إيمانهن وأن يحفظن من الرجوع إلى دار الشرك، ويعوض أزواجهن المشركون ما أعطوهن من المهور، ويقع التراد كذلك مع المشركين.

ومبايعة المؤمنات المهاجرات؛ ليعرف التزامهن لأحكام الشريعة الإسلامية وهي الآية الثانية عشر، وتحريم تزوج المسلمين المشركات وهذا في الآيتين العاشرة والحادية عشرة، والنهي عن موالاة اليهود وأنهم أشبهوا المشركين وهي الآية الثالثة عشرة.

الشرح:

هذه السورة سورة **"الممتحنة"** يصح أن تقول: **"الممتحِنة"** بكسر الحاء، أو بالفتح **"الممتحَنة"** فإن قلت: **"الممتحِنة"** فالسورة تمتحن هؤلاء الذين جاؤوا مهاجرات من النساء، اللائي هجرن، وغير النساء.

وإن قلت: **"الممتحَنة"** بالفتح فهي السورة التي أخبر الله فيها طريقة الامتحان، هذه السورة تدور على أي شيء؟ أو تدور حول أي شيء؟ تدور حول الموالاة، موالاة الكفار، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حرم ونهى وشدد في قضية موالاة الكفار ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ووصف الله هؤلاء الكفار بأنهم أعداء لله أولًا ثم أعداء للمؤمنين، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، وبيّن أحكام الموالاة للكفار، وأنه لا يجوز، ثم بين موقف المؤمنين، وأنهم لهم أسوة في إبراهيم والذين معه لما عادوا وظهرت عداوته ولم يوالوا الكفار.

ثم ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعض الأحكام المتعلقة بالموالاة، وأن هناك فرقًا بين التعامل والموالاة، الموالاة هي: **"محبة عدو الإسلام، محبة عدو الله"**، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، أي بالمحبة.

أما إذا كنت تتعامل مع غير المسلم فهذه لا تسمى موالاة، قد يكون عندك موظف كافر، أو عاملة في البيت، أو سائق، أو أي شيء كأن قابلت شخص أو كذا، أو قد يكون قريب لك كافر، نقول: يجوز التعامل معه والإحسان إليه، والبر معه، وهذا غير أن تحبه، أنت لا تحبه لكفره، ولكن تحسن إليه ليكون هناك إما صلة قرابة، أو يكون هناك أيضًا من المصالح التي يترتب عليها تحببه للإسلام وترغيبه في الإسلام، فالإحسان إليه غير.

لو وجدت شخصًا كافرًا معاهدًا أو ذميًا دخل بلاد المسلمين، ثم تعطل واضطر إلى المساعدة تقف وتساعده، ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولذلك أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت أمها كافرة، فجاءت وزارت أسماء، وأسماء صحابية، فجاءت تزور أسماء، فأسماء ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت: «**يا رسول الله إن أمي جاءتني راغبة تزورني هل أحسن إليها؟ قال: نعم، فهل أصلها؟ قال: نعم**»، فيجوز وصلها بالمال، وصلها بالمصافحة بالجلوس معها بإكرامها هذا جائز، هذا المقصود.

فالله استثنى مثل هؤلاء ورخص في حسن المعاملة معهم، ترغيبًا لهم، ولهذا سبقها آية: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]، قد تنقلب العداوة مودة وقد يدخلون في الإسلام.

ثم ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المهاجرات اللاتي هاجرن من ديار الكفر إلى ديار الإسلام، وأنه لابد من التأكد وامتحانهن إن كانوا قد خرجن مجاهدات الحقيقة؛ فإنه لا يجوز ردهن إلى الكفار.

وهذه الآية نزلت لما وقع صلح الحديبية، أن من جاء من المشركين يرده محمد ﷺ، فاستثنى الله هؤلاء النساء، قال: لا يردون النساء، أما الرجال يردون؛ لأن المرأة ضعيفة ولابد أن تجد من يؤويها، ولذلك لما هاجر عدد من النساء من مكة قبلهم الرسول ﷺ وآواهم، أثناء الصلح، جاءت أكثر من امرأة فنزل القرآن يؤيد أن يردوا إلى الكفار، هذه سورة **"الممتحنة"**.

أغراض سورة الصف

أغراضها: أول أغراضها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين، والتحريض على الجهاد في سبيل الله، والثبات فيه، وصدق الإيمان، والثبات في نصرة الدين، والائتساء بالصادقين مثل الحواريين.

والتحذير من أذى الرسول ﷺ تعريضًا باليهود مثل كعب بن الأشرف، وضرب المثل لذلكبفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام والتعريض بالمنافقين، والوعد على إخلاص الإيمان والجهد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح.

الشرح:

سورة **"الصف"** لو تأملناها تأمل جيدًا هي تدور حول الجهاد في بدايتها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، ثم قال في آخرها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

إذًا هي تدور حول **"الجهاد"** ولكن الله قدم الحدث عن طائفتين هم اليهود والنصارى، اليهود موقفهم من الجهاد إلى نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن لهم موقف مشرف، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤]، وكذلك إيذائهم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥].

فكيف يريدون أن يجاهدوا معه وهم يؤذونه؟ وكذلك بني إسرائيل الذين كفروا بعيسى الذي جاء مبشرًا برسالة النبي ﷺ، وكان من بني إسرائيل أو من أتباع عيسى أو من النصارى من لزموا ونصروه، وهم الحواريون، ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

فهي تدور حول نصرة الدين، ونصرة الأنبياء وبيان موقف هؤلاء وموقف هؤلاء، وكذلك موقف اليهود، وموقف أيضًا النصارى، كلّ هذا تتحدث عنه السورة.

طيب نأخذ سورة **"الجمعة"** وهي تتحدث أيضًا عن اليهود، ثم المنافقون.

أغراض سورة الجمعة

أغراضها: أول أغراضها ما نزل لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة، والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها، وقدم لذلك التنويه بجلال الله تعالى والتنويه بالرسول ﷺ وأنه رسول إلى العرب ومن سيحلق بهم، وأن رسالته لهم فضل من الله.

وفي هذا توطئة لذم اليهود؛ لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين، ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جُعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت، وهو المعروف في تلك البلاد.

وإبطال زعمهم أنهم أولياء لله، وتوبيخ قومٍ انصرفوا عنها؛ لمجيء عير تجارة من الشام.

الشرح:

يعني سورة **"الجمعة"** تتحدث عن فضل هذا اليوم، وبيان موقف اليهود، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أفضل الأيام عنده يوم الجمعة، يوم الجمعة هو اليوم الذي خلق الله فيه آدم، وهو اليوم الذي أخرج الله فيه آدم من الجنة، وهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة، فيوم الجمعة يوم فاضل، ضل اليهود عنه تركوه وعظموا السبت، وضل النصارى عنه وتركوه وعظموا يوم الأحد.

وأرشد الله وهدى الله هذه الأمة أمة محمد لتعظيم هذا اليوم الذي يعظمه الله وهو يوم الجمعة، ولذلك أشادت السورة بهذا اليوم وتعظيم المسلمين له، والتعريض باليهود الذين لم يعرفوا قيمة هذا اليوم، وأن الله قد أبلغهم رسالته وبيّن لهم، ولكنهم تركوا ما أنزل عليهم، ولم يعملوا به، فشبههم بالحمار.

الطالب: ...

الشيخ: نعم قائم منذ خلق الله السماوات والأرض، أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة، فهؤلاء تركوا الجمعة وعظموا أيام أخرى.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيّن موقف هؤلاء اليهود وأنهم تركوا شرع الله، فعوقبوا بأن شبهوا بالحمار الذي يحمل الكتب فوق ظهره لكن لا يستفيد منها ولا ينتفع بها، وهؤلاء حملوا التوراة ولم ينتفعوا بها، فذمهم الله بهذا الشيء، وعظم الله هذا اليوم وذكر فيه صلاة الجمعة.

وسور **"المنافقون"** تذم المنافقين من أولها إلى آخرها، ولذلك تلاحظ أن سورة **"الجمعة"** و**"المنافقون"** تُقرأ يوم الجمعة تحذيرًا من هاتين الطائفتين في المدينة التي آذت النبي ﷺ، فاليهود آذوا والمنافقون آذوا، وهم في كلّ زمان، فاليهود والمنافقون يؤذون الإسلام والمسلمين، فيحذر الله ويذكر بخطورة أعدائهم أعداء المسلمين وهم اليهود والمنافقون.

أغراض سورة المنافقون

أغراضها: فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دخائلهم، وتولد بعضها عن بعض من كذب وخيس بعهد الله، واضطراب في العقيدة، ومن سفالة نفوس في أجسام تغر وتعجب، ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق والهدى، وعلى صد الناس عنه.

وكان كلّ قسم من آيات السورة المفتتح بـ "إذا" خص بغرض من هذه الأغراض، وقد علمت أن ذلك جرت إليه الإشارة إلى تكذيب عبد الله بن أبي ابن سلول فيما حلف عليه من التنصل مما قاله.

وختمت بموعظة المؤمنين وحثهم على الإنفاق والادخار للآخرة قبل حلول الأجل.

الشرح:

السورة واضحة، وموضوعاتها واضحة، تدور حول" **المنافقين، وصفاتهم، ومواقفهم السيئة**" وحذر الله في آخر السورة المؤمنين ألا يكونوا كالمنافقين الذين شغلتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، هذه هي السورة.

أغراض سورة التغابن

أغراضها: واشتملت هذه السورة على التذكير بأن من في السماء ومن في الأرض يسبحون لله، أي ينزهونه عن النقائص تسبيحًا متجددًا، وان الملك لله وحده؛ فهو الحقيق بإفراده بالحمد؛ لأنه خالق الناس كلهم، فآمن بوحدانيته ناس، وكفر ناس ولم يشكروا نعمه؛ إذ خلقهم في أحسن صورة، وتحذيرهم من إنكار رسالة محمد ﷺ.

وإنذارهم على ذلك، ليعتبروا بما حل بالأمم الذين كذبوا رسلهم، وجحدوا بنياتهم تكبرًا أن يهتدوا بإرشاد بشر مثلهم.

والإعلام بأن الله عليم بالظاهر والخفي في السماوات والأرض؛ فلا يجزي أمر في العالم إلا على ما اقتضته حكمته.

وأنحى عليهم إنكار البعث، وبين لهم عدم استحالته، وهددهم بأنهم يلقون حين يبعثون جزاء أعمالهم، فإن أرادوا النجاة فليؤمنوا بالله وحده، وليصدقوا رسوله ﷺ، والكتاب الذي جاء به، ويؤمنون بالبعث؛ فإنهم إن آمنوا كفرت عنهم سيئاتهم، وإلا فجزاؤهم النار خالدين فيها.

ثم تثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من ضرّ أهل الكفر بهم، فليتوكلوا على الله في أمورهم، وتحذير المؤمنين من بعض قرابتهم الذين تغلغل الإشراك في نفوسهم؛ تحذيرًا من أن يثبطوهم عن الإيمان والهجرة.

وعرض لهم بالصبر على أموالهم التي صادرها المشركون، وأمرهم بإنفاق المال في وجوه الخير التي يرضون بها ربهم، وبتقوى الله والسمع له والطاعة.

الشرح:

سورة **"التغابن"** سميت بالتغابن وهو اسم من أسماء يوم القيامة، يغبن المؤمنون الكافرين حيث يحلون محلهم، فالكفار منازلهم يوم القيامة في الجنة يرثها المؤمنون، يرثون منازلهم فيغبنوهم وهذا أشد الغبن أن يكون لك مكان يؤخذ عليك.

ولذلك أي شخص يموت إذا مات إن كان مؤمنًا يفسح له في قبره ويفتح له على مكانه في الجنة؛ فيقال: **"هذا مقعدك في الجنة"**، ثم يفتح له مكان على النار فيقال: **"هذا مقعدك في النار لو أنك كفرت"**.

فإذا رأى مقعده في الجنة قال: **"رب أقم الساعة"** والكافر كذلك إذا وضع في قبره يفتح له باب على النار فيقال: **"هذا مقعدك في النار"** ويفتح له باب على الجنة فيقال: **"هذا مقعدك لو آمنت"** فمقاعدهم تذهب عليهم، فيغبنهم المؤمنون أن ورثوا مقاعدهم ومنازلهم في الجنة.

الطالب: ...

الشيخ: الغبن هو: **"أن يؤخذ حق بغير حق، يؤخذ أي شيء لك بغير حق"** ولذلك الآن تسمع أحيانًا يقال: **"غُبن في التجارة"**، **"غُبن في هذه الصفقة"**، **"غُبن في بيع دار أو بيع أرض"** وفي نوع في البيع يسمى **"خيار الغبن"** أن الإنسان إذا غبن في صفقة له أن يرجع في بيعته.

الطالب: ...

الشيخ: ما هو غش، الغش غير، الغش في شيء ثاني، الغش أن يكون في السلعة شيء لا يصح أو لا يجوز، أما الغبن لا، الغبن عنده قطعة أرض مثلاً قيمتها في السوق ثلاثة ملايين في عصرنا الحاضر هذا، أو مليونين وهو ما يدري عن ارتفاع الأسعار، فيأتيه شخص فيقول: أرضك الموجودة في كذا وكذا تبيعها؟ هو اشتراها بمبلغ قليل قبل عشرة سنوات أو خمسة عشر سنة.

الطالب: ...

الشيخ: هو مثلاً غير موجود في هذا المكان أو في هذه البلاد، ثم يتصل عليه أحد ويقول: أنا أشتري منك الأرض وقيمتها كذا، وهو ما يصدق هذا الكلام، هو أعطاه نصف القيمة، يعني إذا كانت قيمتها مليونين وهو اشترها مثلاً بخمسمائة ألف، فقال له: أعطيك بدل الخمسمائة أعطيك مليون، فما يصدق هو، فيقول له: بعتك، ثم بعد ذلك إذا اتضح له الأمر أن الأرض التي باعها بمليون تصل قيمتها إلى مليونين، فيأتي إلى القاضي ويقول: أنا مغبون في هذه البيعة، فإذا اتضح للقاضي أن هذه البيعة فيها غبن هنا يسمى **"خيار الغبن"** فيرجع في بيعته.

الطالب: حتى لو سلمها؟

الشيخ: حتى لو بعد أيام.

الطالب:...

الشيخ: يمكن قانون **"القانون لا يحمي المغفلين"** هذه في أشياء ثانية التي تكون هناك أنظمة ظاهرة ثم هو ما يأخذ بالنظام هذا، هذا شيء ثاني، لكن نحن نتحدث عن غبن البيع.

عموما السورة تسمى بـ **"سورة التغابن"** لذكر يوم القيامة المسمى فيها بيوم التغابن، وعرفنا السر في تسمية **"يوم التغابن"** وأن الكفار يغبنهم المؤمنون في ذلك اليوم، هي تدور حول هذا.

ثم ساقت لنا موقف الكفار وإنكارهم لليوم الآخر، وبدأت بالتسبيح والتعظيم والإجلال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ذكرت حال المؤمنين ومصيرهم المتقين، وحال الكفار ومصيرهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[التغابن: ١٠].

ثم ذكرت أحوالًا تتعلق بالمؤمنين، من التحذير من فتنة الدنيا، وفتنة الأولاد، وغير ذلك، وأن الذي ينبغي استغلاله هو صدقة التطوع والإقراض؛ فإنه الذي ينفع الإنسان، هذا الذي يدور حوله السورة.

لعل نقف عند هذا القدر وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وما سمعنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، ومعنا كتاب (أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير) لـ **"ابن عاشور"**، قرأنا في هذا الكتاب ووقف بنا الكلام عند سورة **"الطلاق"**.

أغراض سورة الطلاق

أغراضها: الغرض من آيات هذه السورة تحديد أحكام الطلاق، وما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان؛ تتميمًا للأحكام المذكورة في سورة البقرة.

والإيماء إلى حكمة شرع العدة، والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن، والإشهاد على التطليق، وعلى المراجعة، وإرضاع المطلقة ابنها بأجر على الله.

والأمر بالإئتمار، والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما، وتخلل ذلك الأمر بالمحافظة الوعد بأن الله يؤيد من يتقي الله، ويتبع حدوده، ويجعل له من أمره يسرًا، ويكفر عنه سيئاته.

وأن الله وضع لكل شيء حكمه لا يعجزه تنفيذ أحكامه، وأعقب ذلك بالموعظة بحال بالأمم الذين عتوا عن أمر الله ورسله، وهو حث للمسلمين على العمل بما أمرهم به الله ورسوله ﷺ لئلا يحق عيهم وصف العتو عن الأمر.

وتشريف وحي الله تعالى بأنه منزل من السماوات وصادر عن علم الله وقدرته تعالى.

أغراض سورة التحريم

أغراض هذه السورة: ما تضمنه سبب نزولها أن أحدًا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد؛ إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه؛ فلا ينبغي أن يجعل كالنذر؛ إذ لا قربة فيه، وما هو بطلاق؛ لأن التي حرمها جارية ليست بزوجة؛ فإنما صلاح كلّ جانب فيما يعود بنفع على نفسه أو ينفع به غيره نفعًا مرضيًا عند الله.

وتنبيه نساء النبي ﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه وأسمى مقصدًا، وان الله يطلعه على ما يخصه من الحادثات.

وأن من حلف على يمين فرأى حنثها خيرًا من برها أن يكفر عنها، ويفعل الذي هو خير، وقد ورد التصريح بذلك في حديث وفد عبد القيس عن رواية أبي موسى الأشعري وتقدم في سورة براءة.

وتعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن؛ فإنها ربما أدت إلى الملال، فالكراهية، فالفراق.

وموعظة الناس بتربية بعض الأهل بعضًا، ووعظ بعضهم بعضًا، وأتبع ذلك بوصف عذاب الآخرة ونعيمها وما يفضي إلى كليهما من أعمال الناس صالحاتها وسيئاتها، وذيل ذلك بضرب مثلين من صالحات النساء، وضدهن لما في ذلك من العظمة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم.

الشرح:

عندنا سورة **"الطلاق"** و**"التحريم"** كلاهما متشابهتان حتى بالافتتاحية، ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [التحريم: ١]، كلاهما يتعلقان بـ **"العلاقة الأسرية"** علاقة الزوج بزوجته، أو بزوجته وأسرته وبيته، فسورة الطلاق تحدثت عن **"أحكام الطلاق بين الرجل وامرأته"**.

وتلاحظ أن النكاح الزواج ما فيه تلك الأحكام؛ لأنه عقد جديد بمجرد إذا قبل هذا الرجل الزوج بمواصفاته المقبولة «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**»، عقد يعقد وانتهى الأمر، لكن العقد يحث عليه الشرع، ولم يضع له قيود ولا له يعني أشياء أخرى، أما الطلاق لا، فالطلاق فرقة، والإسلام لا يرغب في الفرقة، الإسلام يرغب في الاجتماع لا في الفرقة.

فالفرقة مكروهة، ولذلك أبغض الحلال عند الله الطلاق، الطلاق يعني تفريق، وليس تفريق بين الزوج وزوجته، قد يكون تفريق بين الزوج وزوجته والأبناء، فالإسلام يدعو إلى الاجتماع ولا يدعو إلى الفرقة.

ولذلك شدد في مسألة الطلاق ووضع فيها ضوابط، وضع فيها ضوابط كثيرة، وجعل هناك علاجات قبل الطلاق، ما يدخل على الطلاق مباشرة، إذا وجد الرجل من امرأته إعراضًا ونشوزًا وترفعًا عما أوجب

الله عليها يعالجها بالوعظ، والضرب غير المبرح، والهجر في المضجع، ويبعث حكم من أهله وحكم من أهلها، يعني في علاجات سابقة قبل الطلاق.

ولا يوقع الزوج الطلاق هكذا عشوائي، إنما يطلق طلقة واحدة لا أكثر من طلقة، فإن طلق طلقتين أو ثلاث أو أربع هذا طلاق بدعي محرم، وقد يطلق فيكون طلاقًا بائنًا، خلاص ليس فيه رجعة، فهناك ضوابط كثيرة.

والسورة تركز على قضية **"أحكام الطلاق، وكيف يطلق الرجل زوجته؟"** ثم يركز على قضية **"التقوى"** لأن الطلاق فرقة، قد يطلق الرجل وهو لا يريد الطلاق لسبب مشاكل البيت.

فأحيانًا الزوجة تخلق مشاكل كثيرة في البيت، فيرى الزوج أنه ليس له سبيل إلا الطلاق، فيطلقها وهو كاره.

أو المرأة أحيانًا تجد من الزوج أنه كاره لها، وأنه لا يقبلها، فيطلقها ويكون خير لها، ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حث على قضية التقوى؛ لأن أكثر أسباب الطلاق، وأكثر مشاكل البيوت هي ضعف التقوى، ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ كرر كلمة التقوى كثيرًا، قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

تكررت كلمة **"التقوى"** لأن التقوى هي سبب علاج البيوت كلها، حتى الطلاق والمشاكل الزوجية علاجها التقوى، ولذلك أنا أسمع قصص كثيرة.

سمعنا قصة امرأة قالت: حصل بيني وبين زوجتي من المشادة والكلام حتى وصل إلى درجة أنني أنفصل عنه وهو ينفصل عني، فلما رأيته قد غضب غضبًا شديدًا وأنا اشتد معي الغضب قمت إلى سجادتي وصليت، فلما رآني أصلي هان الأمر كله.

فالتقوى حل، وهو أيضًا أحيانًا الذي اشتد الأمر معه يذهب من البيت ويدخل المسجد، ويجلس في المسجد ويصلي ويقرأ القرآن، وإذا رجع البيت فإذا البيت قد تغير، ولذلك النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر واشتد عليه أمر فزع إلى الصلاة.

إذًا سورة **"الطلاق"** هي جاءت للحل، هي نزلت لتحل مشاكل، كيف يحل الرجل مشكلته في بيته والمرأة مشكلتها في بيتها؟

"التحريم" قريبة، **"التحريم"** تعالج أيضًا القضايا الأسرية، وكيف الرجل يحل مشاكله في بيته؟ تقع مشاكل، وتقع كذا، ولذلك من أهم الآيات التي وردت فيها ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

كيف الرجل يقي بيته وزوجته وأولاده من النار؟ بأسباب يفعلها، فالسورة تدور حول هذا الأمر، هناك قضايا جزئيات ممكن يعني تحفها وهي قضية **"علاج الأسرة"**.

أغراض سورة الملك

أغراض السورة: والأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية، ابتدأت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرده بالملك الحق، والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية، فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين.

ومن ذلك التذكير بأنه أقام نظام الموت والحياة؛ لتظهر في الحالين مجاري أعمال العباد في ميادين السبق إلى أحسن الأعمال ونتائج مجاريها، وأنه الذي يجازي عليها، وانفراده بخلق العوالم العليا خلقًا بالغًا غاية الإتقان فيما تراد له.

وأتبعه بالأمر بالنظر في ذلك، وبالإشارة إلى دلائله الإجمالية، وتلك دلائل على انفراده بالإلهية متخلصًا من ذلك إلى تحذير الناس من كيد الشياطين، والارتباق معهم في ربقة عذاب جهنم.

وأن في اتباع الرسول ﷺ نجاةً من ذلك، وفي تكذيبه الخسران، وتنبيه المعاندين للرسول ﷺ إلى علم الله بما يحوكونه للرسول ظاهرًا وخفية بأن علم الله محيط بمخلوقاته.

والتذكير بمنة خلق العالم الأرض، ودقة نظامه، وملاءمته لحياة الناس، وفيها سعيهم ومنها رزقهم، والموعظة بأن الله قادر على إفساد ذلك النظام، فيصبح الناس في كرب وعناء، ليتذكروا قيمة النعم بتصور زوالها.

وضرب لهم مثلاً في لطفه تعالى بهم بلطفه بالطير في طيرانها، وأيسهم من التوكل على نصرة الأصنام أو على أن ترزقهم رزقًا، وفظع لهم حالة الضلال التي ورطوا أنفسهم فيها.

ثم وبخ المشركين على كفرهم نعمة الله تعالى وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعديه وأنه وشيك الوقوع بهم.

ووبخهم على استعجالهم موت النبي ﷺ ليستريحوا من دعوته، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلمو وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيرها.

أغراض سورة القلم

أغراضها: جاء في السورة الإيمان بالحرف الذي في أولها إلى تحدي المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن، وأن أول التحدي الواقع في القرآن؛ إذ ليس في سورة العلق، ولا في المزمل، و في المدثر إشارة إلى التحدي ولا تصريح.

وفيها إشارة إلى التحدي بمعجزة الأمية بقوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، وابتدأت بخطاب النبي ﷺ تأنيسًا له، وتسلية عما لقيه من أذى المشركين، وإبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ.

وإثبات كمالاته في الدنيا الآخرة وهديه، وضلال معانديه وتثبيته، وأكد ذلك بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله تعالى في تعليم الإنسان الكتابة، فتضمن تشريف حروف الهجاء والكتابة والعلم؛ لتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنهم، وإقبالهم على الكتابة والعلم؛ لتكون الكتابة والعلم سببًا لحفظ القرآن.

ثم أنحى على زعماء المشركين مثل أبي جهل والوليد بن المغيرة بمذمات كثيرة، وتوعدهم بعذاب الآخرة، وببلايا في الدنيا بأن ضرب لهم مثلاً بمن غرهم عزهم وثراؤهم؛ فأزال الله ذلك عنهم وأباد نعمتهم.

وقابل ذلك بحال المؤمنين المتقين، وأن الله اجتباهم بالإسلام، وأن آلهتهم لا يغنون عنهم شيئًا من العذاب في الدنيا ولا في الآخرة.

ووعظهم بأن ما هم فيه من النعمة استدراج وإملاء جزاء كيدهم، وأنهم لا معذرة لهم فيما قابلوا به دعوة النبي ﷺ من طغيانهم، ولا حرج عليهم في الإنصات إليها.

وأمر رسوله ﷺ بالصبر في تبليغ الدعوة، وتلقي أذى قومه، وأن لا يضجر في ذلك ضجرًا عاتب الله عليه نبيه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الشرح:

الآن عندنا سورة **"الملك"** وسورة **"القلم"** كلاهما مكيتان؛ بل إن هذا الجزء كله يعني إن لم يكن جميعًا فأكثره وأغلبه من السور المكية، سورة **"الملك"** تسمى بسورة **"تبارك"** أو أحيانًا تسمى بسورة

"الملك" سميت بسورة تَبَارَكَ وَتَعَالَى لافتتاحيتها بلفظ **"تبارك"**، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فالسورة فيها من البركات العظيمة، والبركة الخير الكثير، وفيها إشارات كثيرة إلى نعم اله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في السموات والأرض، وإذا قلنا: **"الملك"** فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فالملك بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلّ ما في هذا الدنيا ملك له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، السماوات والأرض والدنيا والآخرة كلها وما فيهن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

السورة في الحقيقة إذا تأملتها وقرأتها أكثر من مرة،، وأيضًا فيها فضائل، من فضائل هذه السورة أن النبي ﷺ كان يقرأها كلّ ليلة، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**هي المنجية**»، قال: «**سورة ثلاثون آية أنجت صاحبها من عذاب القبر**»، ولذلك يُشرع أن يقرأها الإنسان كلّ ليلة بعد غروب الشمس، إما بين المغرب والعشاء في راتبة المغرب، أو بعد العشاء؛ فإنه ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأها.

وأنا أذكر قريبًا من كبار السن أنهم يداومون على قراءتها بعد المغرب، عاصرت ناس كانوا ما يتركون هذه السورة أبدًا، كلّ ليلة يقرؤونها، وأذكر والدي كان يقرأها كلّ ليلة، إذا صلى المغرب راتبة المغرب يقرأ فيها سورة الملك، أو راتبة العشاء، سألته مرة قال: أنا لا أتركها أبدًا، فأنا أقرأها كلّ ليلة، قلت: لماذا؟ قال: هذه منجية من عذاب القبر، كانت في جوف رجل فلما جاءت له ملائكة العذاب في قبره جاءت السورة ونجته، فسماها النبي ﷺ **"المنجية"**.

وسورة **"الملك"** تتكلم عن بديع خلق الله في السماوات والأرض، حتى قال في السماوات: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤].

السماوات مثلما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وجميلة وحسنة، إبداع جميل في السماوات، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، وفي الأرض آيات عجيبة، كما أشارت السورة إلى هذا.

وفي الطير وخلقه، وطيرانه، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]، كلّ هذه آيات كونية عجيبة، وآيات لله في الكون.

سورة **"القلم"** المؤلف أشار إلى أنها من أوائل ما نزل، يعني ذكره أنها رابع سورة، سورة **"العلق"** هي أول سورة، بعدها **"المزمل"** و**"المدثر"** ثم **"القلم"** على قول، أو **"القلم"** قبلها، المهم أنها من أوائل ما نزل.

المؤلف قال: إن المراد بالنون هي حروف هيجائية، حرف من الحروف الهجائية، جاء بها للتحدي، هذا أمر، و**"القلم"** إشارة إلى العلم والتعلم، وأن هذه الرسالة جاءت لإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى ظلمات النور والتعلم، فهم يسطرون ويكتبون كتاب وهو قلم وتعلم.

أغراض سورة الحاقة

أغراضها: اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة، وتهدي المكذبين بوقوعه، وتذكيرهم بما حل بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة، وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت.

وأُدمج في ذلك أن الله نجي المؤمنين من العذاب، وفي ذلك تذكير بنعمة الله على البشر؛ إذ أبقى نوعهم بالإنجاء من الطوفان.

ووصف أهوال يوم الجزاء، وتفاوت الناس يومئذٍ فيه، ووصف فظاعة حال العقاب على الكفر، وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن.

وتنزيه الرسول ﷺ وعن أن يكون غير رسول، وتنزيه اله تعالى عن أن يقر من يتقول عليه، وتثبيت الرسول ﷺ وإنذار المشركين بتحقق الوعيد الذي في القرآن.

أغراض سورة المعارج

أغراضها: حوت من الأغراض تهديد الكافرين بعذاب يوم القيامة، وإثبات ذلك اليوم، ووصف شيء من خلال الله فيه، وتهويل دار العذاب وهي جهنم، وذكر أسباب استحقاق عذابها، ومقابلة ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دار الكرامة، وهي أضداد صفات الكافرين، وتثبيت النبي ﷺ وتسليته على ما يلقاه المشركين، ووصف كثير من خصال المسلمين التي بثها الإسلام فيهم، وتحذير المشركين من استئصالهم وتبديلهم بخير منهم.

أغراض سورة نوح

أغراضها: أعظم مقاصد السورة ضرب المثل للمشركين بقوم نوح وهم أول المشركين الذين سلط عليهم عقاب في الدنيا، وهو أعظم عقاب أعني الطوفان، وفي ذلك تمثيل لحال النبي ﷺ مع قومه بحالهم.

وفيها تفصيل كثير من دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام، وإنذاره قومه بعذاب أليم، واستدلاله لهم ببدائع صنع الله تعالى وتذكيرهم بيوم البعث، وتصميم قومه على عصيانه، وعلى تصلبهم في شركهم وتسمية الأصنام التي كانوا يعبدونها، ودعوة نوح على قوم بالاستئصال.

وأشارت إلى الطوفان، ودعاء نوح بالمغرفة له وللمؤمنين، وبالتبار للكافرين كلهم، وتخلل ذلك إدماج وعد المطيعين بسعة الأرزاق، وإكثار النسل، ونعيم الجنة.

الشرح:

سورة **"الحاقة"** مادية تتحدث عن أي شيء؟ تتحدث عن أهوال يوم القيامة، وتقدم من قبل الحديث عن أهوال يوم القيامة حال الأمم السابقة، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهلك هذه الأمم بسبب عصيانها وتمردها على أنبيائها، وعدم قبولها لدعوة أنبيائها.

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أممًا **"عاد، وثمود، وفرعون، وقوم نوح"** ذكرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا كله تهديد للمشركين أن ما أصاب هؤلاء سيصيبكم، وبدأت السورة بوصف أو اسم من أسماء يوم القيامة وهو **"الحاقة"** بأنها ستحق وتقع حقيقة لا شك في ذلك.

عرض السورة إلى مصر المتقين، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَه﴾ [الحاقة: ١٩]، ومصير الكافرين الذين في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا، فالسورة حول وصف اليوم الآخر.

و**"المعارج"** نفس الشيء يعني تدور على **"وصف أهوال يوم القيامة، ومصير المتقين، ومصير الكفار"** كلها تحور حول هذا الأمر، و**"أسباب الهلاك، وأسباب النجاة"**، كلها تدور حول هذا.

وأما سورة **"نوح"** في الحقيقة تصف لنا صفات الداعية الناجح، من هو الداعية الناجح الذي يستطيع أن يدعو، يعني شوف نوح كيف دعا؟ وإن لم يستجيب لهم قومهم، حتى لو ما استجاب الناس، ليس من نجاح الدعوة أن الناس يستجيبون إليك، قد يستجيبون، وقد لا يستجيبون.

النبي ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر سنة، ما آمن من قومه إلا القليل، لا يُقال النبي ﷺ فاشل في دعوته؛ بل نقول: إن النبي ﷺ صمد ووقف واستمر، لكن النتائج ما لها علاقة، نتائج القبول هذه ليس لنا علاقة بها، أنت عليك أن تقوم بهذه المهمة على وجهها الصحيح، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أما استجابة الناس هذا أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما تستطيع، لا نوح استجاب له ابنه، ولا إبراهيم استجاب له ولده، ولذلك السورة تصف لنا كيف صبر الداعية، ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح:

٥]، سرًا وجهارًا، ما ترك شيئًا فيها، استعمل جميع طرق الدعوة، والقرآن يشير إلى أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أولًا مكث مدة طويلة، واستعمل جميع أساليب الدعوة ومع ذلك لم يستجيب له إلا القليل، فكان في إشارة إلى أن النتائج ليست لك، وإنما أنت عليك أن تدعوا وأن تأخذ بهذا الطريق.

بعدها سور **"الجن"** وما بعدها من سور، لعلنا إن شاء الله نتعرض لها في اللقاء القادم، أخذنا ما فيه إن شاء الله فيه بركة، إن شاء الله في اللقاء القادم، ما أخذناه إن شاء الله فيه بركة، إن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما توقفنا عنده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، الذي بين أيدينا هو أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وأغراض السور يعني ما تتحدث عنه السورة مجملاً.

المؤلف يتكلم عند كل سورة في بدايتها عما تتحدث عنه السورة من أغراض؛ قرأنا في أغراض السور، وصلنا بنا الكلام عند سورة الجن؛ نقرأ الآن.

أغراض سورة الجن

أغراضها إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن، وإفهامه فهم معان من القرآن الذي استمعوا للنبي -الذي استمعوا إلى النبي ﷺ- وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد، وإبطال عبادة ما يعبد من الجن، وإبطال الكهانة، وبلوغ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء، وإثبات أن لله خلقًا يدعون الجن، وأنهم أصناف؛ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك بمراتِبٍ، وتضليل الذين يتقولون على الله ما لم يقله، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعث، وأن الجن لا يفلتون من سلطان الله تعالى، وتعجبهم من الإصابة برجوم الشهب المانعة من استراق السمع، وفي المراد من هذا المنع، والتخلص من ذلك إلى ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ في شأن القحط الذي أصاب المشركين لشركهم ولمنعهم مساجد الله، وإنذارهم بأنهم سيندمون على تألبهم على النبي ﷺ ومحاولتهم منه العدول عن الطعن في دينهم).

الشرح:

سورة الجن يعني إذا نظرنا إليها، تأملنا آياتها، قرأناها قراءة تأمل وتدبر، ستجد فيها بيان يعني موقف الجن من دعوة النبي ﷺ من القرآن؛ ماذا كان موقفهم؟

أنهم قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وموقفهم وبيان أحوالهم، وأن منهم المسلمون -وأن منهم المسلمين- ومنهم غير المسلمين، ومنهم صالحون ومنهم على طرائق مختلفه؛ وذكر الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحوالهم في الدنيا وأحوالهم في الآخرة، وأن أحوالهم في الدين منهم يعني منهم المؤمنون ومنهم غير المؤمنين، وذكر يعني أحوالاً كثيرة ومواقف كثيرة لهؤلاء الجن.

والنبي ﷺ دعوته دعوة عامة للثقلين الجن والإنس، ولذلك يعني النبي ﷺ يعني اجتمع له نفر من الجن وقابلوه؛ جاءوه وحضروا مجلسه وحضروا قراءته، متى ذاك؟

إذا قالوا إنه لما عاد من الطائف؛ لأنه ذهب إلى الطائف يستنصر بهم فلم يجد منهم نصرة، فلما عاد من الطائف في وادي، قال له وادي نخلة، نزل ﷺ؛ فلما نزل صلى من الليل، فلما سمعته الجن اجتمعت؛ قيل هؤلاء هم جن يقال لهم جن نصيبين من منطقة الشام، جاءوا من الشام ويستمعون يبحثون حتى وصلوا، فاجتمعوا على النبي ﷺ وتلبدوا عليه يعني من كثرتهم والتفوا حوله، وخاطبهم النبي ﷺ وقرأ عليهم القرآن وذكرهم بذلك، فأسلم كثير منهم.

فالشاهد منهم أن النبي ﷺ حتى يعني ذهب منهم دعاة إلى أقوامهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠-٣١] هذه حالهم؛ فمنهم المسلمون، والمسلم موعود بأن يكرمه الله بدخول الجنة على الصحيح، ومن كفر موعود بالنار؛ فتوعدهم الله بالنار وقال كما قال ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] وأما المسلمون فوعدهم الله بالخير والكرامة.

أغراض سورة المزمل

أغراضها الإشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمُّله، واشتملت على الأمر بقيام النبي ﷺ غالب الليل، والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل، وعلى تثبيت النبي ﷺ بتحمل إبلاغ الوحي، والأمر بإدامة إقام الصلاة وأداء الزكاة وإعطاء الصدقات، وأمره بالتمحض للقيام بما أمره الله من التبليغ بأن يتوكل عليه، وأمره بالإعراض عن تكذيب المشركين وتكفل الله بالنصر عليهم، وأن جزاءهم بيد الله، والوعيد لهم بعذاب الآخرة، ووعظهم مما حل بقوم فرعون لما كذبوا رسول الله إليهم، وذكر يوم القيامة ووصف أهواله، ونسخ قيام معظم الليل بالاكتفاء بقيام بعضه رعيًا للأعذار الملازمة، والوعد بالجزاء العظيم على أفعال الخيرات والمبادرة بالتوبة، وأدمج في ذلك أدب قراءة القرآن وتدبره، وأن أعمال النهار لا يغني عنها قيام الليل؛ وفي هذه السورة مواضع عويصة وأساليب غامضة فعليك بتدبرها).

أغراض سورة المدثر

أغراضها جاء فيها من الأغراض تكريم النبي ﷺ، والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلان وحدانية الله بالإلهية، والأمر بالتطهر الحسي والمعنوي، ونبذ الأصنام، والإكثار من الصدقات، والأمر بالصبر، وإنذار المشركين بهول البعث، وتهديد من تصدى للطعن في القرآن وزعم أنه قول البشر، وكفر الطاعن نعمة الله عليه فأقدم على الطعن في آياته مع علمه بأنها حق، ووصف أهوال جهنم، والرد على المشركين الذين استخفوا بها وزعموا قلة عدد حفظتها، وتحدي أهل الكتاب بأنهم جهلوا عدد حفظتها، وتيئيسهم من التخلص من العذاب، وتمثيل ضلالهم في الدنيا ومقابلة حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الجزاء).

الشرح:

المزمل والمدثر؛ المزمل نزلت قبل المدثر وبينهما ترابط شديد، فالمزمل تحدثت عن العبادة والطاعة وقيام الليل والصلاة والزكاة ومجاهدة النفس في العبادات بشكل عام، والمدثر تتحدث عن الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]؛ وكان سورة المزمل تمهيد للمدثر، وكأنها يعني زاد

يتزود به الداعية قبل أن ينزل إلى الميدان، يتزود بالطاعات ويحصن نفسه.

فأولاً الله عَزَّ وَجَلَّ أمر نبيه محمد ﷺ بقيام الليل ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]؛ قيام الليل يعين الإنسان في أشياء كثيرة، ومن أهمها الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ الإنسان يحصن نفسه ويكثر من الطاعات والعبادات ومثل ما قال الله عَزَّ وَجَلَّ **"وأقرضوا الله قرضًا حسنًا"**؛ هذه الصدقات والطاعات عمومًا والصلاة هي الزاد للداعية.

فإذا تزود وحصن نفسه، ويسميه يعني العبادة اللازمة والعبادة المتعدية؛ قبل أن تجعل هناك عبادة متعدية لغيرك ينبغي لك أن تجعل في نفسك عبادة لازمة، يعني تعطي من نفسك؛ وتجد كثيراً من الناس يعني يهمل نفسه على حساب الآخرين؛ اجمع بين الأمرين وحصن نفسك وأكثر من العبادة والطاعة، واجعل لنفسك خلوة مع ربك في قيام الليل، في صلوات النهار والضحى، في قراءة القرآن، في الدعاء، في الأعمال الصالحة التي تكون خاصة بينك وبين الله، في الصدقات وغيرها.

ولا مانع من أن تنزل إلى الميدان والناس يحتاجون إليك؛ يحتاجون إليك في الدعوة، يحتاجون إليك في التوجيه، يحتاجون إليك إلى آخره؛ فهاتان السورتان متلازمتان فإحداهما مكملة للأخرى، والأولى سابقة للثانية وهي المزمل سابقة للمدثر؛ فالإنسان يعني يزود نفسه بالطاعات ثم بعد ذلك يعني يستفيد الآخرون منه.

أغراض سورة القيامة

أغراضها اشتملت على إثبات البعث، والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه، وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا، واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء، وتكريم أهل السعادة، والتذكير بالموت أنه أول مراحل الآخرة، والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة؛ وفي تفسير ابن عطية عن عمر بن الخطاب ولم يسنده أنه قال: "من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة"، وأدمج فيها آيات ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)﴾ [القيامة: ١٦-١٨] لأنها نزلت في أثناء نزول هذه السورة).

الشرح:

سورة القيامة واضحة من عنوانها ومن موضوعها؛ موضوعها القيامة واسمها القيامة وافتتحت بالقيامة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[القيامة: ١]؛ فالحديث كله فيها عن يوم القيامة، واتصالها بما قبلها اتصال قوي ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[المدثر: ٥٣]؛ فذكر الله في المدثر أنهم لا يخافون الآخرة فشرح لهم وبين لهم أحوال الآخرة؛ فالسورة تدور حول هذا.

لكن العجيب أن السورة تتحدث عن أحوال يوم القيامة وما يجري يوم القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٧-٩]، كلها تتحدث عن القيامة؛ ثم جاء في وسطها الحديث عن القرآن ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾[القيامة: ١٦-١٨].

قد يسألك يقول لك لماذا هذا الفاصل ولماذا هذا الشيء؟

قال إن النبي ﷺ كان يتعجل القرآن وكان يريد أن يأخذه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[طه: ١١٤]؛ فكان يتعجل ويستعجل ويحرك شفتيه بسرعة حتى يحفظ ما يلقيه عليه جبريل، فوجهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن لا يحرك به لسانه، وبين أن الله سيجمعه في صدره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[القيامة: ١٧]؛ لما كانت أحوال يوم القيامة أحوالاً ملفته للأنظار وفيها تهويل وفيها

تخويف، فجاء الحديث عن تثبيت القرآن في صدره وعدم التعجل وأن الأمور هذه تحتاج إلى عدم استعجال.

أغراض سورة الإنسان

أغراضها التذكير بأن كل إنسان كوِّن بعد أن لم يكن فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه، وإثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكراً لخالقه، ومحذر من الإشراك به، وإثبات الجزاء على الحالين مع شيء من وصف ذلك الجزاء بحالتيه، والإطناب في وصف جزاء الشاكرين، وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك، والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل؛ فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره، وتثبيت النبي ﷺ على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك، والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها بالاطلاع بها اصطفاه له، وبالإقبال على عبادته والأمر بالإقبال على ذكر الله والصلاة في أوقات من النهار).

الشرح:

يعني هو رَحِمَهُ اللهُ ابن عاشور يفصل تفصيلاً واسعًا ويطيل في أغراض السورة، يقول مثلاً يأتيك حتى في الآيات الآية الأولى الثانية الثالثة، يعني يتكلم عن موضوعات السورة بتفصيل؛ لكن نحن إذا تأملنا نجد أن سورة الإنسان قد قريبة من سورة القيامة؛ يعني سورة القيامة تتحدث عن يوم القيامة بشكل عام، وسورة الإنسان تتحدث عن مواقف الناس يوم القيامة وجزاء الفريقين؛ كيف الله يجازي الأبرار وكيف يجازي الكفار.

ففيها يعني تفصيل، وأكثر ما فصلت في جزاء المتقين الأبرار؛ فصلت في أحوالهم في الجنة وأنهم يشربون وأنهم كذا وأنه في كذا وكذا يعني تفصيلات دقيقة، فهي قريبة جداً؛ وسورة الإنسان جاء في فضائلها أنها تقرأ في فجر يوم الجمعة؛ في صلاة الفجر يوم الجمعة يستحب أن يقرأ الإنسان في الركعة الأولى سورة السجدة وفي الركعة الثانية سورة الإنسان.

وسورة السجدة والإنسان كلاهما تذكر الناس بأن يوم الجمعة هو يوم قيام الناس، ويوم الجمعة هو يوم الساعة ويوم البعث، فتذكرهم بمصيرهم يوم القيامة؛ فسورة السجدة أحوال الناس وخلق الإنسان وإعادة خلقه وبعثه، وكذلك في سورة الإنسان بيان حاله يوم القيامة وأن الناس إما شاكر وإما

كفور وسيجازي كل على عمله.

أغراض سورة المرسلات

أغراضها اشتملت على الاستدلال على وقوع البعث عقب فناء الدنيا ووصف بعض أشراط ذلك، والاستدلال على إمكان إعادة الخلق بما سبق من خلق الإنسان وخلق الأرض، ووعيد منكريه بعذاب الآخرة، ووصف أهواله، والتعريض بعذاب لهم في الدنيا كما استؤصلت أمم مكذبة من قبل، ومقابلة ذلك بجزاء الكرامة للمؤمنين، وإعادة الدعوة إلى الإسلام والتصديق بالقرآن لظهور دلائله.

الشرح:

انظر يعني الآن تقريباً السور التي تأتينا من بعد سورة المدثر، سورة القيامة، سورة الإنسان، سورة المرسلات، وما بعدها حديث عن اليوم الآخر، حتى الجزء الأخير، سورة النبأ وما بعدها يعني أكثره وأغلب سوره تتحدث عن يوم القيامة؛ النبأ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، سورة النازعات فيها ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، عبس فيها **"إذا جاءت الصاخة"**، التكوير، كلها تتحدث عن اليوم الآخر. سورة المرسلات مثل ما هو واضح عن اليوم الآخر **"إذا طمست النجوم"** وذهاب كذا وكذا وحصول هذه، والجبال تنسف وغيرها؛ ثم الحديث عن أهوال يوم القيامة ومصير الفريقين **"أن المتقين في ظلال وعيون"** والكفار أيضاً مصيرهم، كلها حديث عن اليوم الآخر.

أغراض سورة النبأ

أغراضها اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث وسؤال بعضهم بعضاً عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالأخبار عن وقوعه، وتهديدهم على استهزائهم؛ وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله، ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، وصفة يوم الحشر إنذاراً للذين جحدوا به، والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث، وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس).

أغراض سورة النازعات

أغراضها اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الهول، وإبطال قول المشركين بتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد، والتعريض بأن نكرانهم إياه منبعث من طغيانهم؛ فكان الطغيان صاداً لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء فأصبحوا آمنين في أنفسهم غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن لهم في ذلك عبرة وتسلية للرسول ﷺ.

وانعطف الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث بأن خلق العوالم وتدبير نظامه أعظم من إعادة الخلق، وأدمج في ذلك إلفًا إلى ما في خلق السماوات والأرض من دلائل على عظيمة قدرة الله تعالى، وأدمج فيه امتنان في خلق هذا العالم من فوائد يجتنونها، وأنه إذا حل عالم الآخرة وانقرض عالم الدنيا جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب؛ وكشف عن شبهتهم في إحالة البعث باستبطائهم إياه وجعلهم ذلك أمارة على انتفائه، فلذلك يسألون الرسول ﷺ عن تعيين وقت الساعة سؤال تعنت، وأن شأن الرسول أن يذكرهم بها وليس شأنه تعيين إبانها، وأنها يوشك أن تحل فيعلمونها عياناً، وكأنهم مع طول الزمن لم يلبثوا إلا جزءاً من النهار).

الشرح:

يعني واضح السورتان كلاهما تتحدث عن اليوم الآخر؛ فسورة النبأ تحدثت عن هذا النبأ العظيم وهو اليوم الآخر، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأدلة الدالة العقلية والمشاهدة والآيات الدالة على قدرة الله على البعث، وهو أنه جعل الأرض بهذا وجبالاً أوتاداً وخلق الأزواج وجعل الشمس والقمر والماء الذي ينزل من السماء وأنبت به الأرض؛ كل هذه أدلة مشاهدة على قدرته.

فالقادر على هذه الأشياء التي تراها قادر على بعث الناس وإحيائهم مرة أخرى، يعني إماتتهم وإحيائهم مرة أخرى؛ فوصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النبأ مصير الطغاة المكذبين ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)﴾ [النبأ: ٢١-٢٢]، ثم بعد ذلك عطفت عليه مصير المتقين ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١].

النازعات نفس الشيء تتحدث عن اليوم الآخر، لكنها قدمت بمقدمات عن الموت وأن أرواح المؤمنين تنشط بسهولة وأرواح الكفار تنزع بقوة، وأعمال ووظائف الملائكة التي تقوم بقبض أرواح الناس أيضًا لهم أعمال أخرى؛ ثم تحدثت عن موقف فرعون وقصته مع موسى ثم الحديث مرة أخرى إلى الحديث عن الطامة الكبرى ويوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ فكتاب أغراض السور التي أخذت من تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ، جُمِعت في هذا الكتاب، قرأنا فيها وقطعنا فيها وله الحمد، يعني وصلنا إلى سورة عبس.

أغراض سورة عبس

أغراضها تعليم رسول الله ﷺ الموازنة بين مراتب المصالح، ووجوب الاستقراء لخفياتها؛ كي لا يفيت الاهتمام بالمهم منها في بادئ الرأي مهما أخَّر مساويًا في الأهمية أو أرجح، ولذلك يقول علماء أصول الفقه: إن على المجتهد أن يبحث في أن يبحث عن معارض الدليل الذي لاح له.

أن يبحث عن معارض الدليل الذي لاح له، والإشارة إلى والإشارة إلى اختلاف الحال بين المشركين المعرضين عن هدي الإسلام، وبين المسلمين المقبلين على تتبع مواقعه، وقرن ذلك بالتذكير بإكرام المؤمنين وسمو درجاتهم عند الله تعالى، والثناء على القرآن وتعليمه لمن رغب في علمه لمن رغب في علمه، وانتقل من ذلك إلى وصف شدة الكفر من صناديد قريش بمكابرة الدعوة التي شغلت النبي ﷺ عن الالتفات إلى رغبة ابن أم مكتوم، والاستدلال على إثبات البعث، وهو مما كان يدعوهم وهو مما كان يدعوهم إليه حين حضور ابن أم مكتوم.

وذلك كان من أعظم ما عُني به القرآن؛ من حيث من حيث إنكار البعث هو الأصل الأصيل في تصميم المشركين على وجوب الإعراض عن دعوة القرآن؛ توهمًا منهم بأنه يدعو إلى المحال، فاستدل عليهم فاستدل عليهم بالخلق الذي خلقه الإنسان، بالخلق الذي خلقه الإنسان، واستدل بعده بإخراج النبات والأشجار من أرض ميتة، وأعقب الاستدلال بالإنذار بحلول الساعة والتحذير من أحوالها، وبما يعقبها من ثواب المتقين وعقاب الجاحدين، والتذكير بنعمة الله على المنكرين عسى أن يشكروه، والتنويه بضعفاء المؤمنين وعلو قدرهم وعلو قدرهم، ووقوع الخير من نفوسهم والخشية، وأنهم أعظم عند الله من أصحاب الغنى الذين فقدوا طهارة النفس، وأنهم أحرياء بالتحقير والذم، وأنهم أصحاب الكفر والفجور).

الشرح:

يعني هذه السورة سورة عبس إذا يعني قرأها، إذا تكلم الإنسان، إذا ذكرها؛ إذا وقف يقف سكن، تجي بعض الناس يقول سورة عبس؛ ما سكنت عبسَ مفتوحة، فإذا قلت تقول هذه سورة عبسْ مثل ما تقول جلس ونام سكن إذا وقفت، إذا وقف الإنسان يسكن، جرت عادة الناس أنهم يقولون عبسَ. سورة عبس سميت بهذا الاسم لافتتاحيتها بهذا اللفظ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١].

النبي ﷺ، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من لطفه، ويعني بالنبي ﷺ؛ أنه لم يخاطبه بهذا الخطاب القوي؛ أنك عبست وتوليت عن هذا الرجل، وإنما جاء بأسلوب الالتفات؛ أسلوب الالتفات جاء ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٣]، غير عرفنا المقصود به النبي ﷺ. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]؛ السورة تدور على أي شيء؟

ما غرضها الأساس؟

ومقصدها هو الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذا القرآن هو التذكرة، تذكرة للعالمين كلهم؛ المؤمنين والكافرين، والمقبلين والمعرضين، وأما ذكر قصة ابن مريم، قصة ابن أم مكتوم والمشركين؛ هذه قصة عارضة فقط، يبين لك يعني كمثال أن هذه الدعوة شاملة، والرسول ﷺ اجتهد في دعوته لهؤلاء المشركين؛ لأنه يعرف ﷺ أنهم إذا آمنوا آمن من وراءهم.

وهذا الرجل الأعمى جاء إلى النبي ﷺ وهو واحد ومؤمن وداخل في الإسلام يحتاج إلى توجيهات في وقت آخر، فالنبي ﷺ حرص على هؤلاء اجتهاداً منه؛ ف يعني ومع ذلك عوتب ﷺ بعتاب لطيف.

السورة تدور حول التذكرة ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١]، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢]، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣]؛ تركز على قضية القرآن وأنه تذكرة العالم كلهم، ثم بعد ذلك بين الله موقف الكفار ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، وكيف يكفر؟ وكيف يجحد؟ ومن هو أصله؟ إلى أين يذهب أصلك نطفة؟ ثم بعد ذلك أنك تنتهي، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]؛

أخرجه من بطنه.

ثم بعد ماذا قال؟

قال: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]. العجيب في هذه الآية، وأنا دائماً أقرأها سبحان وتفكر فيها، ما ذكر الدنيا! قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]؛ أخرج من بطنه ثم بعد ماذا قال؟ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]؛ وين الدنيا؟ طواها؛ ما تستحق.

قال على طول ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١].

ما الفرق بين أقبره وقبره؟

قالوا: أقبره يعني أمر بقبره، وقبره يعني باشر قبره، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأمر لا يباشر. ثم بعد ذلك لفت الأنظار إلى يعني قدرة الله في خلق في الخلق، وإنشاء النبات وكذا؛ الذي أنشأ أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يعيد الناس يوم القيامة ويبعثهم، ثم عاد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ساق لنا موقف الكفار وموقف المؤمنين، ويعني انقسام الناس يوم القيامة بعد الصاخة إلى قسمين؛ إلى قسم المتقين الأبرار أو البررة، والكفار.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، وجوه يومئذ قال وجوه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨]؛ وجوه الطاعة والمسفرة، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠] الكفار. نأخذ السورة التالية.

أغراض سورة التكوير

أغراضها اشتملت على تحقيق الجزاء صريحًا، وعلى إثبات البعث، وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به؛ لأنه أوعدهم بالبعث، وزيادة تحقيق وقوع البعث إذ رموا إذ رموا النبي ﷺ بالجنون، والقرآن بأنه يأتي به الشيطان بأنه يأتيه به الشيطان).

الشرح:

سورة التكوير هي انظر من السورة هذه وما بعدها يعني حتى جزء مكامل؛ أغلبه في تقرير قضية أو عقيدة البعث والجزاء والحساب والجنة والنار، كل ما يجري في اليوم الآخر وما يسمى الإيمان باليوم الآخر.

سورة التكوير تكلمت وذكرت لنا علامات يعني أقرب الساعة وعلامات قيام الساعة؛ فذكرت ست علامات لقرب الساعة ثم ست علامات لقيام الساعة؛ فقول مثلاً ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، هذه يعني يقولون إنها تتعلق بالنفخة الأولى؛ اللي هي النفخة الأولى هي خراب الكون؛ اللي هو موت الناس ما في السماوات وما في الأرض.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١-٥]؛ هذه كل ست، بعدها ستة أخري بعد قيام الناس من قبورهم بعد قيام الناس من قبورهم، ثم مثل ما ذكر نوهت بالقرآن؛ لأنه هو الذي جاء بهذه الأخبار، وبالرسول الذي أُوحي إليه، ورمي الكفار الرسول بأنه مجنون، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

أغراض سورة الانفطار

أغراضها واشتملت هذه السورة على إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله بتوحيد الله تعالى، وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء، والإعلام بأن الأعمال محصاة، بيان جزاء الأعمال خيرها وشرها، وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئًا ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيء أعمالهم).

الشرح:

سهلة واضحة يعني جداً، هي يعني قرينة التكوين قر قرينة التكوير وقريبة منها، تتحدث عن قضية البعث وإثبات البعث والأهوال التي تتقدم بعث الناس من قبورهم، وما يجري لهم، وانقسام الناس يعني الأبرار والفجار.

أغراض سورة المطففين

أغراضها اشتملت على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن وتفظيعه؛ بأنه تحيل على أكل مال الناس في حال المعاملة أخذاً وإعطاءً، وأن ذلك مما سيحاسبون عليه يوم القيامة، وتهويل ذلك اليوم بأنه وقوف عند ربهم بأنه وقوف عند ربهم ليفصل بينهم وليجازيهم على أعمالهم، وأن الأعمال محصاة عند الله، ووعيد الذين يكذبون بيوم الجزاء والذين يكذبون بأن القرآن منزل من عند الله، وقوبل حالهم بضده من حال الأبرار أهل الإيمان ورفع درجاتهم وإعلان كرامتهم بين الملائكة والمقربين وذكر صور من نعيمهم، وانتقل من ذلك إلى وصف حال الفريقين في هذا العالم الزائد؛ إذ كان المشركون يسخرون من المؤمنين ويلمزونهم ويستضعفونهم، وكيف انقلب الحال في العالم الأبدي.

الشرح:

السورة هي الآن مختلف فيها هل هي مكية أو مدنية؛ لأنها تتحدث عن المكاييل والموازين وهي في المدينة؛ هم أهل المكاييل والموازين وهم أهل الزروع، مكة ما فيها مثل ما في المدينة، فقال بعضهم إنها مدنية، وقال بعضهم إنها مكية؛ لأنها تتحدث عن أحوال الفجار والأبرار وجزائهم ومآلهم في الجنة والنار، فمختلف فيها، فأقرب ما قيل فيها إنها تع من أواخر ما نزل بمكة ومن أوائل ما نزل بالمدينة؛ يعني كأنها نزلت في الطريق في الهجرة؛ يعني تنبيهاً للنبي ﷺ أنه سيقبل على أناس يعني قد يقعون في التطفيف وهو بخس الناس بخس الناس أموالهم في الموازين؛ يعني ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]؛ إذا جاء يريد أن يأخذ منهم يأخذ حقهم كاملاً، وإذا جاء أن يعطيهم ما يعطيهم حق كامل.

ثم ساقت لنا مصير الفجار وأنهم في ﴿سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] في أسفل سافلين، ومصير الأبرار وأنهم في ﴿عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، إلى آخر الوصف الذي يجري كعادته في السور الأخرى.

أغراض سورة الانشقاق

أغراضها ابتدأت بوصف أشراط الساعة وحلول يوم البعث، اختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم وأهل شقاء).

الشرح: يعني هو اختصر الكلام جداً، سورة الانشقاق هي كالسور السابقة حديث عن اليوم الآخر، ولكنها ركزت على تطاير الصحف وكل أخذ كتابه؛ فذكرت من يأخذ كتابه بيمينه و يأخذ كتابه وراء ظهره؛ يعني بشماله من وراء ظهره.

يعني كل سورة لها يعني دلالة أو تركز على شيء من أحوال القيام؛ مثل سورة القارعة في الموازين، سورة الانشقاق في الكتب وتطايرها الصحف، تجد سورة كذا في كذا؛ كل شيء تعطيك سورةٌ، تعطيك يعني شيئًا من أحوال يوم القيامة.

فهذه السورة تتحدث عن يعني عن الصحف وأخذ شماء كتابه ب وراء ظهره أو بيمينه، ثم بعد ذلك حال هذا الإنسان في الدنيا أنه يتقلب ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، وأقسم الله بأمور تأكيده على قضية أن الإنسان قل في هذه الدنيا؛ صغير أو حامل في بطن أمه، ثم تخرج إلى الدنيا، ثم صغير ثم يكبر ثم يكبر ثم يكبر ثم ينتهي، هذه حاله؛ فلتفكر في نفسه.

أغراض سورة البروج

من أغراض هذه السورة ابتدئت أغراض هذه السورة بضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة؛ بأنهم مثل قوم فتنوا فريقًا ممن آمن بالله؛ فجعلوا أخدود من نار لتعذيبهم؛ ليكون المثل تثبيتًا للمسلمين وتصبيراً لهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى على سلفه على سلف على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله، ولم يص ولم يصدهم ذلك عن دينهم. وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة؛ فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم، ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر، والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى، وضرب المثل بقوم فرعون وثمود، وكيف كانت عاقبة أمرهم؛ ما عاقبة أمرهم؟ ما كذبوا الرسل فحصلت العبرة للمشركين في فتنة في فحصلت العبرة للمشركين في فتنهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرسول ﷺ، والتنويه بشأن القرآن).

الشرح: سورة البروج هي تتحدث عن حادثة عظيمة وقعت في زمن من الأزمان، وهو أصحاب الأخدود أصحاب الأخدود، وهي تبين لنا يعني خاتمة عاقبة المتقين إذا فتنوا وإذا ابتلوا وأنهم يصبرون وان العاقبة لهم حسنة، وبيان شدة عداوة أهل الكفر والجحود والطغيان والتكبر، وأن الله فوقهم وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقوى منهم، ولذلك تتحدث السورة عن أصحاب الأخدود، هي تركز على أخطاء أصحاب الأخدود، وأن الله ناصرهم ومؤيدهم، ولو حصل ما حصل لهم فإن الله معهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فذكر هنا هو إشعار بالقوة العظيمة لله سبحانه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وأنهم ما حفروا الأخدود ووقفوا حولها وقعود عندها ويلقون فيها المسلمين والمسلمون يحترقون في هذا؛ كل هذا لا يعني يشكل شيء بما وعدهم الله من يعني بما وعدهم الله من الأجر العظيم في الدار والآخرة. يعني هي تتكلم عن الصراع بين الحق والباطل أي ونهاية هؤلاء ونهاية هؤلاء.

أغراض سورة الطارق

أغراضها إثبات إحصاء الأعمال والجزاء على الأعمال، وإثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون؛ ببيان إمكان إعادة الأجسام، وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان، والتن والتنويه بشان القرآن وصدق ما ذكر فيه من البعث؛ لأن أخبار القرآن به لما استبعدوه لأن أخبار القرآن به لما استبعدوه، وما هو على الناس وموهوا على الناس بأن ما في ما فيه غير صدق، وتهديد المشركين الذين ناووا المسلمين، وتثبيت النبي ﷺ ووعده بأن الله منتصر له غير بعيد).

الشرح:

أي سورة الطارق هي تتحدث عن الأعمال؛ ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، فما من يتكلم الإنسان أو يعمل عملاً فعليه من يحفظ عمله من الملائكة؛ فكل الأعمال محفوظة ومسجلة وسيجازى عليها كل إنسان، هي تدور حول هذا، ثم تذكر الإنسان الأول ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥-٦]، ثم تتحدث عن شأن القرآن والتنويه به ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤] إلى آخره.

أغراض سورة الأعلى

أغراضها اشتملت على تنزيه الله تعالى، والإشارة إلى وحدانيته انفراده بخلق الإنسان وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه، وعلى تأييد النبي ﷺ وتثبيته على تلقي الوحي، وأن الله معطيه شريعة سمحة وكتابًا يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبؤون بالحياة الأبدية، وأن ما أوحي إليه يصدقه ما في كتب الرسل من قبله، وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين).

الشرح:

يعني سورة الأعلى سورة عجيبة سبحان الله العظيم؛ فيها فضائل أنها يعني تقرأ في صلاة الجمعة الركعة الأولى، والثانية الغاشية، تقرأ في أيضاً العيدين، وتقرأ في أيضاً في صلاة الشفع والوتر الركعة الأولى الشفع مع أو الشفع مع قل يا أيها الكافرون؛ يعني ورد فيها فضائل.

هي مكية نزلت في مكة، هي تتحدث عن تنزيه الله وتعظيمه وذكر شيء مما يتعلق بأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وثم تذكر الناس ب أهمية هذه الشريعة والقرآن الكريم، وأنه فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن الله وعد نبيه أن يقرأه القرآن فلا ينساه، ثم تقارن بين المس التمسك بالقرآن والحياة الدنيا وأن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الحق أن يأخذوا بهذا القرآن وأن يتمسكوا به ويعرفوا تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما قال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣] إلى آخره.

أغراض سورة الغاشية

أغراضها اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب ق وما فيه من عقاب قوم مشوهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم، وعلى وجه الإجمال المرهب أو وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب، والإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله؛ بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب وهي نصب أعين على تفرده بالإلهية، فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون، وعلى إمكان إعادته وعلى إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقًا جديداً بعد الموت يوم البعث، وتثبيت النبي ﷺ على دعوة على دعوة إلى الإسلام، وأن لا يعبأ بإعراضهم، وأن ما وراءهم البعث فهم راجعون إلى الله فهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم).

الشرح:

الغاشية مثل ما ذكرنا في فضائلها واضحة في أنها تقري في هذه الصلوات، والأمر الثاني الغاشية واضح من اسمها هو اسم الأسماء يوم القيامة الغاشية؛ لأنها تغشى الناس بأهوالها، تتحدث عن الوجوه، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، وهم أهل وهم أهل النار، ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤].

الخاشعة شلون خاشعة وتصلى النار الحامية؟

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٣ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣-٤]، قال خاشعة أي ذليلة حقيرة، خاشعة أبصارهم هذا يوم القيامة؛ لأن الله يتحدث عن يوم القيامة وجوه يومئذ، قال يومئذ يعني يوم القيامة زين.

وقابلهم بالوجوه الناعمة وهم أهل الطاعة والخير والصلاح وبما وعدهم فيه، ثم يذكرهم بعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقدرته على البعث بما هو واقع الآن من الآيات المشاهدة؛ الإبل والسماء والجبال والأرض وكيفية خلقها، ويلفت الأنظار إنك إذا خرجت للصحراء انظر إلى هذه الإبل كيف خلقت والسماء.

الإبل ترى فيها قراءة فيها قراءة عجيبة قراءة شاذة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، الإبل السحابة أيه الإبل السحابة؛ فيقول انظر إلى السحاب كيف خلق؟ ما الذي أنشأه

وأتبه؟ ويقول ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

أغراض سورة الفجر

أغراضها حوت من الأغراض ضرب المثل لمشرك أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب في الآخرة، وتثبيت النبي ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه، وإبطال غرور المشركين من أهل مكة؛ إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم، وأن ما فيه المؤمن وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم، وأنهم أضاعوا شي وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة فلم يواسوا ببعضها فلم يواسوا ببعضها الضعفاء، وما زاد وما زادتهم إلا حرصًا على التكثر منها، وإنما يندمون وإنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به؛ يوم لا ينفع نفسًا مالها ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها، وذلك ينفع المؤمن بمصيرهم إلى الجنة).

الشرح:

سورة الفجر أقسم الله فيها بخمسة أمور:

- الأمر الأول: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١].
- الأمر الثاني: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢].
- الأمر الثالث والرابع: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]
- الأمر الخامس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]؛ خمسة.

يقول السعدي: والله واحدة كافية تكفيهم يعني واحدة تكفي، لو قال والفجر يكفي، كيف أتى بخمس؟ على أي شيء أقسم؟ أقسم على أن أهل مكة إن استمروا على كفرهم وعنادهم ليعذبهم الله مثل ما عذب الأمم الماضية؛ فذكر ثلاث أمم ثلاث أمم:

قوم ﴿عَادٍ﴾ [الفجر: ٦] ﴿ثَمُودَ﴾ [الفجر: ٩] ﴿فِرْعَوْنَ﴾ [الفجر: ١٠]، وأنهم طغوا وأفسدوا، وكما طغت كما طغى أهل مقه وأفسدوا في الأرض طغوا وأفسدوا؛ فالنتيجة يعني نزل بهم العذاب ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]. انظر كلمة صب هذه تدل على أنه عمهم العذاب، والسوط دل على قوته؛ لأن السوط دائمًا يستعمل في القوة والتأثير سوط عذاب.

ثم حكى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حالة في السورة حالة الناس في الابتلاء؛ بعض الناس إذا الله عَزَّ وَجَلَّ أنعم عليه بالنعم العظيمة وفتح له كل شيء يقول هذا إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكرمني بهذا الشيء لأني أنا كريم عنده، وإذا الله عَزَّ وَجَلَّ زوى عن هذا الدنيا وجعله فقيراً قال الله عَزَّ وَجَلَّ ما أعطاني شيء لأنه أهانني؛ هذا تفكير إنسان ضعيف مسكين ما يدري، قد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصرف عنك هذا الخير لك وقد يكون الامتحان، قد يكون المال لا عليك؛ فلا تظن أيها الغني أن المال خير لك، ولا تظن أيها الفقير أن فقرك أن فقرك ضرر عليك، بل قد يكون خير.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦] قال: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ليس الأمر كما تتصورون توقعون، الأمر أن من معه المال ليحسن التصرف فيه، ومن صرف الله عنه المال لحكمة عظيمة. ثم تحدث الله عَزَّ وَجَلَّ من هم أهل المال، ومن هم الذين يستحقون المال؛ الفقراء والمساكين إلى آخره، ثم عرض عن يوم القيامة ودك الأرض إلى آخره.

أغراض سورة البلد

أغراضها حوت من الأغراض التنويه بمكة ومقام النبي ﷺ بها ومقام النبي ﷺ بها وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبي ﷺ من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم مثل إبراهيم وإسماعيل، أو من أتباع الحنيفية مثل عدنان ومضى، والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس ونعمة الن ونعمة الفكر ونعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبيل الخير وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه، ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين).

الشرح:

يعني باختصار سورة البلد هي تتحدث عن هذا الإنسان؛ لأن أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣]، والمراد بالبلد مكة، والوالد والولد هو بني هو الإنسان يعني من بني آدم الوالد والولد من كل جنس الإنسان.

أقسم على أن هذا الإنسان مخلوق في مشقة وتعب وعمل ويعني وكد في هذه الحد الدنيا ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]؛ يشتغل ويعمل، لكن يعمل للآخرة ولا يعمل للدنيا؛ هنا الإشكال، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال ذك ذكر لنا حال هذا الكافر أنه يجمع المال وينفقه في غير طريقه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ [البلد: ٦]، فكلمة أهلكت دليل على ألا ينفق في سبيل الله.

ثم أشار الله سبحانه قال ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، يعني ما اقتحم العقبة، ما استطاع أن يقتحم العقبة. العقبة وش هي؟ الأمر العمل الشاق الذي يحتاج إلى جهد. ما هو العمل الشاق الذي يحتاج؟ قال أعظمه ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣]؛ فك الأسارى تحرير الأرقاء، ثم بعد ذلك إطعام الطعام في الأيام الشديدة ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤]، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]؛ لصق في الأرض من شدة من شدة الفقر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله، وصلِّ وسلم على أشرف الأنبياء المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد؛ إخوتي الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اليوم المبارك، هذا اليوم هو يوم الأربعاء الموافق للثالث من شهر شعبان من عام ٤٤ و٤٠٠٠ للهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبارك لنا ولكم. الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب **"أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور"**.

ومرَّ معنا هذا الكتاب قرأنا فيه في مجالس متعددة، وعرفنا أن هذا الكتاب هو يتعلق بأغراض سور القرآن الكريم؛ كل سورة لها غرض معين، أو لها أكثر من غرض، هو المؤلف يهتم بإبراز وذكر هذه الأغراض التي تذكر في السورة، وقف بنا الكلام في اللقاء الماضي عند سورة البلد، واليوم نبدأ بسورة الشمس.

أغراض سورة الشمس

أغراضها تهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب ثمود بإشراكهم وعتوهم على رسول الله إليهم الذي دعاهم إلى التوحيد، وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة، وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره، فهو دليل على أنه المنفرد بالإلهية والذي لا يستحق غيره الإلهية، وخاصة أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى والضلالة والسعادة).

الشرح:

والسعادة والشقاء، يعني المؤلف الآن هو أعطاك تصور عن سورة الشمس، سورة الشمس تعتبر من قصار السور، والحقيقة هي مضمونها، يعني المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أعطانا موضوعات السورة، وقال إن السورة تهدد المشركين المعاندين الكافرين، تهددهم بقصة ثمود لما عاندوا وكفروا وطغوا أهلكهم الله، فكان يقول سيصيبكم ما أصابهم إن عاندتم واستمررتم على كفركم وشرككم وعنادكم، هذا موضوع حقيقة ممكن يكون هو بارز في السورة لكن فيه ما هو أدق منه؛ وهو أولاً نفهم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما

يقسم لا يقسم إلا بعظيم، ولا يقسم إلا على شيء مهم، والله هنا أقسم، أقسم بأي شيء؟

كم تتوقع الأمور التي أقسم الله بها في هذه السورة؟ كم؟ عطنا؛ أربعة؟ خمسة؟ سبعة؟ ثمانية؟ لا أكثر، ١١ أمر، انظر، ١١ أمراً أقسم الله به، بالتأكيد أنه على أمر عظيم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "يكفي العاقل واحد، يكفيه واحد"، لما قال والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، خمسة، قال: **"يكفي واحد"**، هنا ١١؛ والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، هذه ثلاثة، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء، أقسم الله بالسماء وما بناها، يعني أقسم بالسماء وبانيها، والأرض.

وطحاها؛ يعني الذي بسطها، ونفس وما سواها، نفس كل إنسان وما سواها فأودع فيها الخير والشر.

هنا يأتي الآن الجواب، أين هو؟ أقسم الله على هذه المرة على أي شيء؟

أقسم على أنه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. هذا هو؛ إذاً السورة تدور حول هذا الأمر، حول هذا الأمر اللي هو النفس، هذه نفس الإنسان؛ إما أن تسعد وإما أن تشقى، كيف تسعد وكيف تشقى؟ هي الدورة تدور حول هذا، لكن سياق قصة ثمود من باب التمثيل، الاستشهاد والتمثيل، أن هؤلاء كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

فهنا يأتيك الآن الإنسان، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أودع في كل نفس القدرة التي يستخدمها في أن يسلك طريق الخير أو يسلك طريق الشر، فالله أودع في هذا الإنسان القدرة والآلة والمعرفة في كيف يسلك هذا الطريق، مثلما قال الله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

فالله أعطاك المعالم، قال لك هذا طريق النجاة وهذا طريق الهلاك، تريد أن تسلك هذا أو تسلك هذا، فكذلك هنا قال الله عَزَّ وَجَلَّ ألهم هذه النفس وأودع فيها وألهمها الفجور والتقوى، فإن غلب الفجور على التقوى ضاع، وإن غلبت التقوى على الفجور سعد، هذه السورة تدور حول هذا الشيء، ثم أيضاً في لفتة جميلة ذكرها بعض المفسرين وهي القسم بالشمس، وبدايتها بالشمس، كأن نور الهداية والطاعة كالشمس على الأرض وفي قلب الإنسان.

أغراض سورة الليل

أغراضها احتوت على بيان شرف المؤمنين وفضائل أعمالهم ومذمة المشركين ومساويهم وجزاء كلٍّ، وأن الله يهدي الناس إلى الخير فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين والضالين بعكس ذلك، وأنه أرسل رسوله ﷺ للتذكير بالله وما عنده، فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقيًا فيكون جزاؤه النار الكبرى، وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في الحياة، وأدمج في ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه).

الشرح:

سورة الليل، لو قرأتها وتأملتها جيداً لوجدت أن سورة الليل مكملة لسورة الشمس، وسبحان الله العظيم! كأن هذه السورة توضح لك معالم تزكية النفس، فما أسباب ذلك؟ كيف يعرف الإنسان يزكي نفسه؟

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، إذاً أنت تريد الفلاح وتريد أن تزكي نفسك كيف تزكيها؟ وإذا أراد الإنسان أن يهلك نفسه ويضيعها ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]، فيجد هذه الأعمال موجودة هنا، السورة كأنها تبين لك الأعمال وأسباب النجاة، انظر الله هنا في السورة الأولى أقسم بالشمس وهنا بالليل، حتى ذكر بعض المفسرين سبحان الله العظيم!

قال: "والليل إذا يغشى هي إشارة إلى الظلمة، ظلمة الجهل والضلال والعناد والكفر والشرك، أنها انتهت فجاءت رسالة النبي ﷺ ساطعة بنورها".

والنهار إذا تجلى وانكشف، وما خلق الذكر والأنثى، حتى القسم بخلقه الذكر والأنثى إشارة إلى أعمال الناس من ذكور وإناث، قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، هذا جواب القسم، أقسم الله على أن سعي الإنسان مختلف، ولاحظ أنه قال سعي ولم يقل أعمال، في فرق بين سعيكم، السعي هو عمل بجد واجتهاد وحرص، لأن السعي يحتاج إلى عمل شديد وإلى حرص، لذلك قال سعيكم، أنتم تسعون في الدنيا وتسعون للآخرة.

ما هو سعيكم هذا الذي تسعون إليه؟

لشتى غير مختلف لأن شتى يعني اختلاف جذري بعيد جداً، شتان ما بين الليل والنهار، فهذا عمل السعداء وهؤلاء عمل الأشقياء، فرق بينهما فرق شاسع، ولذلك بدأ يفصل في الأعمال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، فأهل الخير والصلاح الذين عرفوا الطريق إلى الله وسلكوا طريق النجاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ييسر لهم اليسرى، يدلهم على الخير ويفتح لهم أبواب الخير.

فتجد الذي يحرص على قراءه القرآن وعلى الصلاة وعلى الصيام وعلى الأعمال الصالحة الله يفتح له أبواب خير كثيرة؛ يفتح له أبواب الصدقة، والبر والإحسان إلى الناس والكلمة الطيبة، والعكس بالعكس: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠]، فيفتح له أبواب الشر، فتجده يشتغل في شر فيفتح الله عليه باب شر أعظم وأعظم وهو لا يدري ويظن أنه على صواب، فالسورة حقيقة تطبيق لسورة الشمس. نأخذ التي بعدها.

أغراض سورة الضحى

أغراضها إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه وذلك يغيظ المشركين، ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله).

الشرح:

سورة الضحى إذا أردت أن تعرفها جيداً فارجع لسبب نزولها حتى تعرف كلمة الضحى ولماذا أقسم الله بالضحى، انظر كل قسم يختار الله له وقتاً له مناسبة، العصر ستأتينا؛ نهاية الدنيا ونهاية الإنسان ولذلك قال خسارة، تظهر النتيجة أن الإنسان في خسر، هنا الضحى؛ الضحى أول النهار، ووقت سطوع الشمس بقوة حتى لا يكون مكان إلا وقد دخلته الشمس ونور الشمس دخله.

السبب أن المشركين زعموا أن الوحي انقطع عن النبي ﷺ فترة، لأن احتباس الوحي مر بمراحل، لما الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى بواسطة جبريل وألقى عليه الآيات الخمس من سورة العلق ثم انقطع فترة ثم جاءه ثم انقطع، جاءت تقطعات كثيرة؛ حتى في بعض السور نزلت مثل سورة الكهف، لما جاء المشركون وسألوا عن ثلاثة أمور أخذوها من اليهود: الفتية، والرجل الذي طاف الأرض، والروح.

☜ **فقال النبي ﷺ:** «أخبركم غداً»، وما قال إن شاء الله، فمكث الوحي ١٥ ليلة منقطعاً، وقال المشركون: **"لو كان محمد رسولاً حقيقة لأخبرنا"**.

فبدأ يشكك بعض المسلمين في النبي ﷺ، فنزلت سورة الكهف تخبر بالتفاصيل الدقيقة حتى بالأرقام ٣٠٩، وجاءت في التفاصيل بقصة ذي القرنين، وجاء الرد في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فرد على اليهود والمشركين.

انقطاع الوحي ورد حتى في قصة الإفك شهراً كاملاً، وانقطع عن الثلاثة الذين خلفوا ٥٠ ليلة، فانقطاعات الوحي مراحل، وعندنا الآن الضحى انقطع الوحي فجاءت امرأة من المشركين فقالت: **"يا محمد إني أرى شيطانك قد هجرك وتركك وقلاك"**، فأنزل الله سبحانه هذه السورة ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].

وسورة الضحى كأنها رد على المشركين أن هذه الدعوة توها في بداياتها في سطوعها، انقطاعها ثم عودتها دليل على أنها ولذلك يقول أهل العلم: **"وبعد نزول سورة الضحى حمي الوحي وبدأ يشتد بالنزول"**، إذاً هي في موضوع معين، والضحى والليل إذا سجى؛ أي ذهبت الظلمة والجهل وجاء الضحى مكانه، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]، وجاءت الآيات التي توضح أن الله هو الذي تولى تربية نبيه محمد ﷺ ودله على هذه الأمور.

نشوف سورة الانشراح، وتسمى بسورة الشرح، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، هذه مكملة لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر عنايته بنبيه محمد في سورة الضحى، وأنه وجده يتيماً فآوى ووجده عائلاً فأغنى، جاءت إكمالها في هذه السورة، ولذلك سورة الانشراح استكمالاً لما في الضحى حتى قال بعض أهل العلم إن سورة الضحى والشرح سورة واحدة، نشوف كلام المؤلف.

أغراض سورة الانشراح

أغراضها احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله ﷺ بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه وتيسير ما عسر عليه وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتاً له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيله للحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان لينقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماضٍ يعلمه النبي ﷺ، وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسراً كدأب الله تعالى في معاملته، فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى الله عونه.

كما ذكر المؤلف هي استكمال لعناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، شرح الله صدره ووضع عنه الأحمال والأثقال والذنوب ورفع ذكره، فلا يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ إلا ويذكر محمد حتى في الأذان، وفي مكة المشركون من شدة عداوتهم كادوا يطمسون الدعوة ويظنون وينتظرون بمحمد ﷺ ريب المنون، ويظنون أن أمره سينتهي، فذهبوا هم وبقي محمد، أنا أدخل مكة وأسمع الجبال تردد **"أشهد أن محمداً رسول الله"**، مساجد فوق الجبال تقول أشهد أن محمداً.

رسول الله، أين أبو لهب وأبو جهل؟ ليس لهم أي ذكر، انتهوا، ومحمد يبقى ذكره كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. نشوف السورة اللي بعدها.

أغراض سورة التين

أغراضها احتوت هذه السورة على التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة ليعلموا أن الإسلام هو الفطرة كما قال في الآية الأخرى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وأن ما يخالف أصوله بالأصالة أو التحريف فساد وضلال، ومتبعو ما يخالف الإسلام أهل ضلالة، والتعريض بالوعيد للمكذبين بالإسلام، والإشارة بالأمر المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة إيماءً إلى أن الإسلام جاء مصدقًا لها وأنها مشاركة أصولها لأصول دين الإسلام، والتنويه بحسن جزاء الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه، واشتملت على الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام في جثمانه ونفسه).

سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد، أربعة أمور على أن هذا المخلوق، هذا الإنسان قد خلقه الله بأحسن صورة لا في الداخل ولا في الخارج، يعني لا في قلبه وفطرته السليمة ولا أيضًا في شكله وخلقه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، لكن هذا الإنسان إذا عرف الله سيبقى على هذه المكانة، وإذا خالف فإنه سيكون في ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، فالذي يرفعك دين الله وتمسكك به، والذي يجعلك تنحط هو مخالفتك لفطرة الله.

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في جواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦]، فمن كان من أهل الخير والصلاح والايمان والطاعة والله قد سلمهم من هذا الأمر. نأخذ العلق وهي أول سورة نزلت في القرآن.

أغراض سورة العلق

أغراضها تلقين محمد ﷺ الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل، والإيماء إلى أن علمه بذلك ميسر لأن الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قادر على تعليم من يشاء ابتداءً، وإيماءً إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم).

الشيخ: مقصود النبي ﷺ ولا أمة محمد؟ أمة محمد.

(وتوجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات وخاصة خلقه الإنسان خلقًا عجيبًا مستخرجًا من علقة، فذلك مبدأ النظر، وتهديد من كذب النبي ﷺ وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى، وإعلام النبي ﷺ أن الله عالم بأمر من يناوونه وأنه قامعهم وناصر رسوله، وتثبيت الرسول ﷺ على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله، وألا يعبأ بقوة أعدائه لأن قوة الله تقهرهم).

الشرح:

سورة العلق هي أول سورة نزلت في القرآن، بل الحقيقة هي الآيات الخمس فقط هي أول ما نزل منها، ثم استكملت السورة بعد ذلك، فهي بشارة لهذه الأمة، وأمر للنبي ﷺ بالقراءة وهو كان أميًا، فهي فاتحة الخير في بداية العلم والتعلم، تضمنت موضوع التعليم والكتابة ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١] ثم قال ﴿بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، فجمعت بين الكتابة والقراءة، ثم بدأت تبين موقف المشركين ونهايتهم، وأمر النبي ﷺ بالثبات أمام هؤلاء.

أغراض سورة القدر

أغراضها التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى رداً على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلاً من الله تعالى، ورفع شأن الوقت الذي أنزل فيه، ونزول الملائكة في ليلة إنزاله، وتفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزالها من كل عام، ويستتبع ذلك تحريض المسلمين على تحين ليلة القدر بالقيام والتصدق).

الشرح:

سورة القدر فيها علاقة قوية بينها وبين سورة العلق، هي أول ما نزلت، متى نزلت؟ ليلة القدر، ولذلك انظر ما ذكر القرآن في سورة القدر، قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

- ما هو الذي أنزلناه؟

أبهمه، يعني القرآن، السورة تتحدث عن هذه الليلة الشريفة وما فيها من المزايا.

أغراض سورة البينة

أغراضها توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها، وتكذيبهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية، والثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضا الله عنهم، وتخلل ذلك تنويههم بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسل من قبل وما فيه من فضل وزيادة).

الشرح:

سورة البينة ظهر موضوعها من عنوان السورة، تسمى بسورة البينة وأحياناً بسورة القيمة ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٣]، فالبينة تبين موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى من هذه الدعوة، وأنهم لما كانوا على دينهم المحرف جاءتهم هذه الدعوة كشفت أحوالهم وبينت زيفهم، كما قال الله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

فلما جاء الرسول ﷺ أسلم من أسلم وكفر من كفر، وحكم الله في كتابه مصير هؤلاء وهؤلاء، فذكر أن ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦]، ومقابلهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] في جنات النعيم، والسورة تبين أثر هذا القرآن ومصير هؤلاء وهؤلاء.

أغراض سورة الزلزلة

أغراضها إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع وحضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر).

الشرح:

سورة الزلزلة تتحدث عن اليوم الآخر، وذكر فيها النفخة الأولى والنفخة الثانية، تقدر تخرج النفخة الأولى والثانية؟ الأولى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، والثانية ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. زلزلة الأرض هذه النفخة الأولى يسمونها نفخة الصعق؛ نفخة الموت، ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، تزلزلت الأرض تحركت بقوة هذه النفخة الأولى، وإذا أخرجت الأرض أثقالها هذه النفخة الثانية لما ينفخ إسرافيل ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦]، يصدرون من أين وإلى أين يذهبون؟ يصدرون من قبورهم إلى أرض المحشر للحساب؟ أم بعد الحساب يتوجهون إلى الجنة والنار؟ تذكر الصادر والوارد؛ الوارد الذي يأتي، والصادر الذي يذهب، الآن الله سبحانه قال يصدر الناس، يذهبون من أرض المحشر إلى الجنة والنار، ولذلك كثير من الناس يقرؤها ولا يدري ما معناها، فالمقصود ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]؛ أي يروا جزاء أعمالهم، فهم الآن حوسبوا وانتهوا وتوجهوا إما للجنة أو للنار.

أغراض سورة العاديات

أغراضها ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين ويراد تحذير المسلمين منها، ووعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت، وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج).

الشرح:

- ما هي الخصال الغالية على المشركين والمنافقين؟

أول خصال هذه كون الإنسان كنود.

- ما معنى كنود؟

الذي يعرف نعمة الله ثم يجحدها، يتقلب فيها بالليل والنهار ثم يجحدها ولا يرد شكرها، ومحبة المال وحب الدنيا وجحود نعمة الله هذه خصال يحبها المنافقون والكفار والله يحذر منها.

العجيب كنت أتأمل هذه السورة، المراد بالعاديات هي الخيول، ووصفها بالعاديات دل على سرعتها واستجابتها لأصحابها، وكل ما شد عليها تطيعه، انظر صفاتها: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ١-٢]، تخرج صوتاً من سرعتها، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣]، تغير صباحاً على العدو، وتتوسط الجموع ﴿فَوَسَطْنَا بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥].

فهي تستجيب لصاحبها ولا تتردد، وصاحبها ماذا قدم لها؟ قدم لها شراباً وطعاماً ومكاناً مناسباً، فلما رأت منه هذا الشيء استجابت له.

الله قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؛ ربه الذي خلقه ورزقه وأنعمه عليه بالنعم يجحد نعمة الله، حيوان لا يجحد ويعرف صاحبه ويستجيب له، وهذا الإنسان يجحد نعمة الله عليه، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]. السورة عجيبة فيها لفتة جميلة.

أغراض سورة القارعة

أغراضها ذكر فيها إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال وإثبات الجزاء على الأعمال، وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم).

الشرح:

السورة واضحة، كل سورة تتحدث عن يوم القيامة تعطيك جانباً؛ العاديات أعطتك جانباً، والزلزلة أعطتك جانباً، والقارعة تعطيك جانب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦].

- سؤال: ما الذي يوزن؛ الإنسان أم عمله؟

☜ **يوزن الجميع؛ يقول النبي ﷺ:** «يأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وابن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه لما ضحك الصحابة من دقة ساقيه.

☜ **قال النبي ﷺ:** «تعجبون من دقة ساقيه؟ والله إنها في الميزان لأثقل من جبل أحد». هذا يدل على أن الإنسان يوزن وتوزن أعمالهم وأجسادهم، فالوزن ليس على كبر الأجسام.

أغراض سورة التكاثر

أغراضها اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف، وعلى الوعيد على ذلك وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم).

الشرح:

سورة التكاثر هي ذم المتفاخرين بالدنيا، والتفاخر الذي قد يضر الإنسان أمر مذموم؛ يتفاخرون بأنسابهم، أموالهم، ألقابهم، وظائفهم، والتفاخر الحقيقي بالعمل الصالح، ولذلك قال: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]؛ أي أشغلتكم حتى متم، وابن آدم لا يقف عند حد معين، ثم هددهم الله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤] أنكم ستحاسبون على أعمالكم.

أغراض سورة العصر

أغراضها واشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها، وعلى إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق وعلى فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ اتخذوها شعاراً لهم في ملتقاهم، وروى الطبراني بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن الحسين الأنصاري أنه قال: "كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر"، وعن الشافعي: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"، وفي رواية: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم).

الشرح:

وقال غيره: "إنها شملت جميع علوم القرآن". سورة قصيرة جداً ومع ذلك المؤلف أطال فيها لأنها أشارت إلى خسارة الإنسان، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ثم استثنى الله الذين تمسكوا بأربعة أمور: آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، السورة تدور في بيان من هو الخاسر ومن هو الناجي، وأقسم الله بالعصر الذي هو نهاية النهار أو الزمان الذي يعيشه الإنسان.

أغراض سورة الهمزة

أغراضها وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربًا من ضروب أذاهم طمعًا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك).

الشرح:

عندك سورتان في القرآن فقط افتتحت بويل؛ ويل للمطففين في أموال الناس، والهمزة في أعراض الناس، فالويل الشديد لمن يتعرض لأعراض الناس بالسب أو السخرية أو الغيبة، فأعراض الناس حرام، والسورة ركزت على قضية الهمزة واللمزة الذي يهمز بلسانه أو يلمز بجوارحه.

أغراض سورة الفيل

أغراضها وقد تضمنت التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماها مما أرادوا به سوءاً، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وألا حظ فيه للأصنام، وتنبيه قريش بما ظهر من كرامة النبي ﷺ عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته، وتثبيت النبي ﷺ بأن الله يدفع عنه كيد المشركين، والتذكير بأن الله غالب على أمره وألا تغر المشركين قوتهم، وألا يوهن ﷺ تألب قبائلهم عليه.

ولم يتكرر في القرآن ذكرى إهلاك أصحاب الفيل لوجهين؛ أحدهما أن إهلاكهم لم يكن لأجل تكذيب رسول، وثانيهما ألا يتخذ منه المشركون غروراً بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وقوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]).

الشرح:

المؤلف أطال الكلام فيها، ذكر أنها هدم مسجد إبراهيم؛ والمقصود الكعبة المعروفة حتى عند الجاهلية، والبيت عرف بأنه بيت الله، وهي باختصار بيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما دافع عن بيت وهو من حجر، فدفاعه عن أوليائه من باب أولى، ولذلك السورة التي بعدها بين الله نعمته على قريش.

أغراض سورة قريش

أغراضها أمر قريش بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيراً لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عادياً، وبأنه آمنهم من المجاعات ومن المخاوف، وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق).

الشرح:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. كثير من المفسرين يرى أن سورة الفيل وسورة قريش كأنها سورة واحدة، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]؛ أي صرفنا عنكم الفيل لتعرفوا نعمة الله وتعبدوه، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

أغراض سورة الماعون

أغراضها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفضيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والمسك عن إطعام المسكين والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة).

الشرح:

سورة الماعون فيها صفات الكفار والمنافقين، الذي يكذب بالدين؛ أي بالبعث والجزاء، هو الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين. ثم ذكر المنافقين ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، المنافق يصلي رياءً، والحسن

البصري يقول: "الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم"، لأن السهو عن الصلاة هو تركها حتى يخرج وقتها. ويمنعون الماعون؛ وهو ما يتعاوره الناس من فاس أو إبرة أو ملح، القرطبي ذكر في معناها ١٢ قولاً، كلها داخلة في منع أتفه الأسباب.

أغراض سورة الكوثر

أغراضها اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو كمال الحق لا ما يتطاول به المشركون بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم وبتر لهم انقطاع الولد الذكر).

الشرح:

سورة الكوثر تتحدث عن الخير الكثير، وأكثر المفسرين على أنه نهر أعطي للنبي ﷺ في الجنة، وهناك يمنعون الماعون وهنا يقول ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛ أي اذبح الذبائح وتصدق بها، فاتحة خير للناس.

أغراض سورة الكافرون

أغراضها وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يطوف فاعترضه نفر من قريش وقالوا: "يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة"، فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره»، فأنزل الله فيها قل يا أيها الكافرون والسورة كلها، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد وقرأها عليهم فيئسوا منه).

السورة تدور على البراءة من الشرك وأهله، ولذلك يشرع قراءتها مع سورة الإخلاص؛ لأن الإخلاص هي أيضًا براءة بالعبادة تكون لله وحده.

أغراض سورة النصر

أغراضها والوعد بنصر كامل أو بفتح مكة، والإيماء إلى أنه حين يقع ذلك فقد اقترب انتقال رسول الله ﷺ إلى الآخرة، ووعده بأن الله غفر له مغفرة تامة).

الشرح:

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سأله عمر في مجلسه عن قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، قال: "هي نعي النبي ﷺ بأن حياته انتهت وأنه سينتقل إلى الآخرة"، فقال عمر: "والله لا أعلم منها إلا ما قاله هذا الشاب".

السورة هي نعي وخاتمة، والعجيب أن المؤلف يقول إنها نزلت عام خيبر، والصحيح أنها نزلت عام حجة الوداع قبل وفاته بنحو ٨٠ يوماً.

أغراض سورة المسد

أغراضها زجر أبي لهب على قوله تبًا لك ألهذا جمعتنا، فوعيد على ذلك ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها وبغضها النبي ﷺ).

الشرح:

سورة المسد فيها إعجاز وعلامة من علامات النبوة؛ كيف يخبر النبي ﷺ عمه وزوجته أنهما في النار؟ هذا خبر لا يكون إلا بوحي.

أغراض سورة الإخلاص

أغراضها إثبات وحدانية الله تعالى وأنه لا يقصد في الحوائج غيره، وتنزيهه عن سمات المحدثات وإبطال أن يكون له ابن، والأحاديث في فضلها كثيرة وقد صح أنها تعدل ثلث القرآن).

الشرح:

سميت بالإخلاص وأحيانًا بسورة الصمد؛ ومعنى الصمد الذي يصمد الناس إليه عند حوائجهم، والسورة تدل على انفراد الله بالإلهية والربوبية والأسماء والصفات، شيخ الإسلام ابن تيمية ألف فيها كتابين؛ **"جواب أهل العلم والإيمان بأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن"** وكتاب **"تفسير سورة الإخلاص"**.

المعوذتان؛ الفلق والناس، يتعوذ بها الإنسان من كل عدو. الله سبحانه في سورة الفلق ابتدأها بقوله قل أعوذ برب الفلق، من أربعة أمور: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٢-٣] وهو الليل إذا اشتد ظلامه، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] الساحرات، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

أغراض سورة الناس

أغراضها إرشاد النبي ﷺ أن يتعوذ بالله ربه من شر الوسواس الذي يحاول إفساد عمل النبي ﷺ وإفساد إرشاده الناس، وفي هذا إيماء إلى أن الله عاصمه من ذلك).

الشرح:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، من شيء واحد وهو الشيطان؛ شيطان الإنس والجن، هاتان السورتان حرز للإنسان يقرأها صباحًا ومساءً وعند النوم.

بهذا ننتهي من هذا الكتاب، كتاب **"أغراض السور"** لابن عاشور، نسأل الله أن يجعله حجة لنا، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

مقدمة الشرح..... ٢
مقدمة الكتاب..... ٤
أغراض سورة الفاتحة..... ٧
أغراض سورة البقرة..... ١٢
أغراض سورة آل عمران..... ٢١
أغراض سورة النساء..... ٢٥
أغراض سورة المائدة..... ٢٨
أغراض سورة الأنعام..... ٣١
أغراض سورة الأعراف..... ٣٥
أغراض سورة الأنفال..... ٣٧
أغراض سورة التوبة..... ٣٨
أغراض سورة يونس..... ٤٠
أغراض سورة هود..... ٤٣
أغراض سورة يوسف..... ٤٦
أغراض سورة الرعد..... ٥١
أغراض سورة إبراهيم..... ٥٤
أغراض سورة الحجر..... ٥٧
أغراض سورة النحل..... ٥٩
أغراض سورة الإسراء..... ٥٩
أغراض سورة الكهف..... ٦٢
أغراض سورة مريم..... ٦٤
أغراض سورة طه..... ٦٧
أغراض سورة الأنبياء..... ٧٠
أغراض سورة الحج..... ٧٣
أغراض سورة المؤمنون..... ٧٦
أغراض سورة النور..... ٧٨
أغراض سورة الفرقان..... ٨١

أغراض سورة الشعراء ٨٤
أغراض سورة النمل ٨٧
أغراض سورة العنكبوت ٩١
أغراض سورة الروم ٩٤
أغراض سورة لقمان ٩٦
أغراض سورة السجدة ٩٩
أغراض سورة الأحزاب ١٠١
أغراض سورة سبأ ١٠٦
أغراض سورة فاطر ١٠٨
أغراض سورة يس ١١٠
أغراض سور الصافات ١١٣
أغراض سورة ص ١١٧
أغراض سورة الزمر ١١٩
أغراض سورة غافر ١٢٢
أغراض سورة فصلت ١٢٤
أغراض سورة الشورى ١٢٦
أغراض سورة الزخرف ١٢٩
أغراض سورة الدخان ١٣٢
أغراض سورة الجاثية ١٣٤
أغراض سورة الأحقاف ١٣٨
أغراض سورة محمد ١٤٠
أغراض سورة الفتح ١٤٢
أغراض سورة الحجرات ١٤٤
أغراض سورة ق ١٤٥
أغراض سورة الذاريات ١٤٧
أغراض سورة الطور ١٤٧
أغراض سورة النجم ١٤٩
أغراض سورة القمر ١٥١

أغراض سورة الرحمن ١٥٣
أغراض سورة الواقعة ١٥٥
أغراض سورة الحديد ١٥٧
أغراض سورة المجادلة ١٥٩
أغراض سورة الحشر ١٦١
أغراض سورة الممتحنة ١٦٣
أغراض سورة الصف ١٦٦
أغراض سورة الجمعة ١٦٧
أغراض سورة المنافقون ١٦٩
أغراض سورة التغابن ١٧٠
أغراض سورة الطلاق ١٧٣
أغراض سورة التحريم ١٧٣
أغراض سورة الملك ١٧٧
أغراض سورة القلم ١٧٨
أغراض سورة الحاقة ١٨١
أغراض سورة المعارج ١٨١
أغراض سورة نوح ١٨١
أغراض سورة الجن ١٨٤
أغراض سورة المزمل ١٨٦
أغراض سورة المدثر ١٨٦
أغراض سورة القيامة ١٨٨
أغراض سورة الإنسان ١٩٠
أغراض سورة المرسلات ١٩٢
أغراض سورة النبأ ١٩٣
أغراض سورة النازعات ١٩٣
أغراض سورة عبس ١٩٥
أغراض سورة التكوير ١٩٨
أغراض سورة الانفطار ١٩٩

أغراض سورة المطففين..... ٢٠٠
أغراض سورة الانشقاق..... ٢٠١
أغراض سورة البروج..... ٢٠٢
أغراض سورة الطارق..... ٢٠٣
أغراض سورة الأعلى..... ٢٠٤
أغراض سورة الغاشية..... ٢٠٥
أغراض سورة الفجر..... ٢٠٧
أغراض سورة البلد..... ٢٠٩
أغراض سورة الشمس..... ٢١٠
أغراض سورة الليل..... ٢١٣
أغراض سورة الضحى..... ٢١٥
أغراض سورة الانشراح..... ٢١٧
أغراض سورة التين..... ٢١٨
أغراض سورة العلق..... ٢١٩
أغراض سورة القدر..... ٢٢٠
أغراض سورة البينة..... ٢٢١
أغراض سورة الزلزلة..... ٢٢٢
أغراض سورة العاديات..... ٢٢٣
أغراض سورة القارعة..... ٢٢٤
أغراض سورة التكاثر..... ٢٢٤
أغراض سورة العصر..... ٢٢٥
أغراض سورة الهمزة..... ٢٢٥
أغراض سورة الفيل..... ٢٢٦
أغراض سورة قريش..... ٢٢٧
أغراض سورة الماعون..... ٢٢٧
أغراض سورة الكوثر..... ٢٢٨
أغراض سورة الكافرون..... ٢٢٨
أغراض سورة النصر..... ٢٢٩

أغراض سورة المسد..... ٢٢٩
أغراض سورة الإخلاص..... ٢٣٠
أغراض سورة الناس..... ٢٣٠
فهرس الموضوعات..... ٢٣١